

مَجَلَّةُ التَّنْزِيلِ

مجلة دورية علمية محكمة في تفسير النصوص والتداسات المتصلة بمجالس تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة رجب ١٤٤٣هـ / شباط ٢٠٢٢م

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَسْتَدَكِّرَ أَوْلِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ١٢٩)

التَّحْقِيقُ الْأَوَّلِيُّ

مَوْضُوعَاتُ الْعُرْوِ:

● مقاصد التلاوة في سنو القرآن الكريم، ورثة موضوعة،
د. باقر ركوب عبد العالي

● الصياغة مشروعية، وآدابها، وسبكها في سنو القرآن الكريم
د. سلطان بن عبد الله الخروع

● بلاغة الخلق الأقران والإنسان في سنو القرآن
بِسْ، وَلَيْعًا، وَأَلْبَتَّ، وَالْعَرَجَ، وَيَحْمَلُ، وَشَرَّ، فَالْجُحُودِ،
د. الأمير محفوظ محمد إبراهيم

● المروءة والحكمة في القصة خروفا من القرآن الكريم
واللهما في المعنى والتدبر، ورثة الخليفة،
محمد بن عبد الكريم بن بشار

● شيخ الرضا عليه السلام في سنو القرآن الكريم
خزرة بن عبد الله سعادة شواهنة



مجلة التنوير

مجلة دورية علمية محكمة تُعنى بحكم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم ، وتصدر مرتين في السنة

الجزء الأول

العدد الثاني عشر - السنة السادسة. رجب ١٤٤٣هـ / فبراير ٢٠٢٢م

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

الأستاذ يقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

أ.د. محمد بن عبد الله الربيعه

استاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

الأمين العام

مصطفى محمود عبد الواحد



حقوق الطبع محفوظة

مجلة تدبير

٤٨٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٣٨ / ٥٨٨٣

بتأريخ: ١٤٣٨ / ٦ / ٢٤

ردمـد: ١٦٥٨-٧٦٤٢

مجلة تدبير

سعر المجلة (٢٥) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥



لِلْمُرْسَلَاتِ وَالْإِسْتِزْكَاتِ

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس هيئة تحرير المجلة

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

المملكة العربية السعودية

ص.ب ٧١١٩

المدينة المنورة ٤١٤٦٢

info@tadabburmag.sa



+966 50 30 72 333



@tadabburmag



http://www.tadabburmag.sa



المواد العلمية المنشورة في المجلة تُعبّر عن آراء أصحابها





مجلة تدبر القرآن الكريم

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات

العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

المرجعية:

◆ مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥ .

الرؤية:

◆ أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

◆ أن تكون وعاءً علمياً محكمةً للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- ◆ تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- ◆ نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- ◆ فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- ◆ تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.



مَجَالَاتُ النَّشْرِ فِي الْمَجَلَّةِ

◆ أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:

🔹 التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.

🔹 تعليم تدبر القرآن الكريم.

🔹 الاستنباط من القرآن الكريم.

🔹 المقاصد القرآنية.

🔹 المناسبات القرآنية.

🔹 الإعجاز القرآني.

🔹 البلاغة القرآنية.

🔹 الموضوعات القرآنية.

◆ ثانياً: تقارير المنتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

◆ ثالثاً: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر

القرآن الكريم.

◆ رابعاً: ما طرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين

في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.





رئيس هيئة التوجيه

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

الأستاذ يقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عضو هيئة التوجيه

أ.د. إبراهيم بن صالح الحمضي

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

أ.د. عبد الرحمن بن ناصر اليوسف

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. يوسف بن عبد الله العليوي

الأستاذ يقسم البلاغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. محمد بن عبد الله الربيعه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

د. بريك بن سعيد القرني

الأستاذ المساعد يقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدير التحرير

أ.د. محمد بن عبد الله الربيعه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مدير التحرير

مصطفى محمد عبد الواحد

الهيئة الاستشارية

د. فيصل بن جميل حسن غزاوي

إمام وخطيب الحرم المكي الشريف

أ.د. الشاهد البوشيخي

رئيس مجلس إدارة مؤسسة مبدع للدراسات والبحوث بالمغرب

أ.د. عبد الرحمن بن معاصرة الشهري

أستاذ الدراسات العليا بجامعة الملك سعود بالرياض

أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. يحيى بن محمد زمرعي

أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ.د. عبد الحكيم بن محمد الأبيسن

كبير الباحثين أول، عضو هيئة كبار العلماء، باحث في الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدني

أ.د. طبر بن عابدين طنبة حمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

أ.د. أحمد خالد شكري

الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

أ.د. أحمد بن محمد الشرفاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف بمصر
عضو اللجنة العلمية الدائمة لتوثيق التراث الإسلامي بجامعة الأزهر.



قَوْلُكَ وَشَرُوطُ النِّشْرِ

◆ أولاً: طَبِيعَةُ الْمَوَادِّ الْمَنْشُورَةِ :

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ على أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ من الفئات الآتية:

- ◀ البحوث الأصلية.
- ◀ مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- ◀ تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

◆ ثانياً: الإِجْرَاءَاتُ الْعِلْمِيَّةُ لِتَقْدِيمِ الْبَحْثِ :

- ١- أن يكون في مجالات المجلة.
- ٢- كتابة مقدمة تحتوي على (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).
- ٣- تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.
- ٤- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.
- ٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.
- ٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.



◆ ثالثاً : الإِجْرَاءَاتُ الْفَنِيَّةُ لِتَقْدِيرِ الْبَحْثِ :

- ◀ لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٦٠) صفحة مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٠) صفحة.
- ◀ هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- ◀ يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- ◀ يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمستخلص والجداول والأشكال.
- ◀ تكتب الآيات القرآنية وَفَقَّ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوّد).
- ◀ توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً، وتُضبط الحواشي آلياً لا يدوياً.
- ◀ تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي على: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- ◀ لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- ◀ يُتبع كل مستخلص (عربي / إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المُعبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.



- ◀ سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- ◀ كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.
- مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).
- أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء: ٥٥].

◆ رابعاً: كيفية توثيق المراجع :

يُوثق للباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي :

- إذا كان المرجع (كتاباً): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى). فاسم المحقق - إن وُجد - .
فيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسم الناشر، فسنة النشر).
- مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى؛ محمد بن عيسى.
تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.
- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).
- مثال: «يعقوب بن شيبه السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية:



كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨ هـ.

■ إذا كان المرجع (مقالاً من دورية): («عنوان المقال»). فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... - إلى ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١ هـ، ٣٥ - ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يوجد لها أي بيان في بيانات المرجع، وهي:

لل بدون اسم الناشر: د. ن

لل بدون رقم الطبعة: د. ط

لل بدون تاريخ النشر: د. ت

■ ترتيب المراجع ترتيباً ألفبائياً.

◆ **خامساً: بيان مسارات البحث المقدم للمجلة:**

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعدُّ تعهداً من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقدَّم للنشر، ولن يُقدَّم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.



- ٣- إطلاع الباحث على خلاصة تقارير المُحكِّمين؛ لِيُعدِّل بحثه وُقَّهًا،
وَيُبيِّن رأيه فيما لا يأخذ به من أقوالهم، وتَحسُم الهيئةُ الخلافَ بينهما.
- ٤- في حال (قبول البحث للنَّشر) يتمُّ إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث
للنَّشر)، وعند رفض البحث للنَّشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).
- ٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرى بعد مُضيِّ
سنة أشهر من صدورها.
- ٦- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعدُّ قبولًا من
الباحث بـ(شروط النَّشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ في تحديد
أولويَّات نشر البحوث.
- ٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعبِّر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا
تُعبَّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ٨- يمنح الباحث خمس مستلات من بحثه ونسختين من العدد الذي نشر فيه
ببحثه.

بفضل الله وتوفيقه حصلت مجلة تدبر على المرتبة الأولى على المستوى
العربي لعام (٢٠٢١م) في معامِل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
(Arcif) من بين (٧٩) مجلة في تصنيف الدراسات الإسلامية.
وحصلت على المرتبة (٦٢ مكرر) من بين (٨٧٧) مجلة في معامِل أرسيف.

المواد العلمية المنشورة في المجلة تُعبَّر عن آراء أصحابها





المَحَبَّات

الصفحة	الموضوع
١٧	◆ كَلِمَاتُ تَبْيِينِ الْبَحْرِينِ
	أولاً: البُحُوث
٢١	◆ مَقَاصِدُ الْبَلَاءِ فِي صَوْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «دِرَاسَةٌ مُؤَسَّسَةٌ» د. بَاقِي زَكُوبُ عَبْدُ الْعَالِي
١٥٥	◆ الصِّيَافَةُ مَشْرُوعِيَّتُهَا، وَآدَابُهَا، وَحِكْمَتُهَا فِي صَوْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ د. سُلْطَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَبُوعِ
٢٣٥	◆ دِلَالَاتُ أَعْمَالِ حَلْقِ الْأَكْوَانِ وَالْإِنْسَانِ فِي صَوْمِ الْقُرْآنِ 'بَتَّ، وَأَحْيَا، وَأَنْبَتَ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَسَرَ' «نَمَازِحُ تَطْبِيقِيَّةٌ» د. الْأَمِيرُ مَحْفُوظُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَاهِيمَ
٣٣٥	◆ الْفُرُوقُ الْحِكْمِيَّةُ فِيمَا اتَّخَذَتْ حُرُوفُهَا مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْشِيَّةِ وَأَثَرُهَا فِي الْمَعْنَى وَالتَّدْبِيرِ «دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ» مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ بَهَّامٍ
٤٢١	◆ تَسْبِيحُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي صَوْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ جَمْرَةٌ بِنُورِ عَبْدِ اللَّهِ سِعَادَةَ شَوَاهِنَةَ



مَجْلَدُ التَّوْحِيدِ
عَشْرَةٌ



اَفْتِنَا حَيْثُ اَلْعَلَمُ



كَلِمَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِّتَحْجِزَ بَيْنَ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب نورًا وهدى للناس، وأمرهم بتعلمه وتدبره والعمل به والدعوة إليه.

والصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الْمُصْطَفِيِّ، الَّذِي عَلَّمَهُ رَبُّهُ فَوْعَى، واجتباها فهدى، وقام بأمر الله فذكر وعلم، ونصح وبلغ، فترك أمته على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وكان لكتاب الله خير المتدبرين، وأنموذج العاملين المخلصين، وقدوة الناس أجمعين، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجه وسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيسر مجلة تدبر أن تختم عامها السادس بعدد حافل مكتنز بالأبحاث العلمية المحكمة، حيث جاء هذا العدد **(الثاني عشر)** في جزأين، وأكثر من (٨٠٠) صفحة، مشتملة على عشرة أبحاث متنوعة في مجالات تدبر القرآن الكريم، ومتنوعة الباحثين وبلدانهم ومراتبهم العلمية، مع تقريرين عن بعض الأعمال والجهود المتعلقة بالتدبر.

وإننا إذ نحمد الله تعالى على هذا الإنجاز، ونشكره على ذلك المستوى الذي وصلت إليه المجلة في مجال التصنيف المحلي والعالمي؛ فإننا نتقدم بالشكر لهيئة التحرير على ما تقدمه من جهد ومتابعة علمية وعملية في مختلف مراحل تحكيم البحوث ونشرها.



◆ والشكر موصول لكل المحكّمين الذين بذلوا جهودًا جليلة في قراءة الأبحاث وتدقيقها، والسعي لكمالها وخروجها بأفضل حال، مع الحرص التّام على الارتقاء بمستوى الباحثين والنصح لهم، وإفادتهم، وفتح الآفاق لهم في قضايا البحث، وذلك وفق المعايير المعتمدة للتحكيم العلمي.

◆ والشكر للباحثين، الذين خَصَّصُوا المجلة بأبحاثهم، والذين تواصلوا بعد التحكيم مقدرين الجهد المبذول لهم، ومعترفين بإفادتهم مما أسدي لهم من آراء، سواء من هيئة التحرير أم من المحكّمين.

◆ والشكر لكل مَنْ دعم المجلة، وأفاد منها، وتابع أعدادها، وسعى للتعريف بها ودعمها في مسيرتها العلمية.

نسأل الله أن يبارك في الجهود وينفع بها، ويجعلنا وإياكم جميعاً من أهل القرآن، ويرزقنا العلم به وحسن التدبر له والعمل بهديه.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

أخوكم

رَبِّكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ

أ.د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعَوَّاجِي

مَجْلَدُ التَّنْزِيلِ
عَشْرَةٌ



أولاً: البحوث

مَجَلَّةُ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

.....

مَقاصِدُ البَلَاءِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ «دراسة موضوعية»



د. باني زكوب عبد العالی

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية

العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

قدم للنشر في: ١٤٤١/٧/١٩

قبل للنشر في: ١٤٤١/١٢/٢٢

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

◆ حصل على درجة الماجستير من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

◆ حصل على درجة الدكتوراه من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

◆ التناج العلمي:

«دور توظيف تدبر القرآن الكريم في تعزيز أخلاق البحث العلمي من وجهة نظر محاضري كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية ماليزيا»، (بحث محكم منشور)، «القلب بين القرآن الكريم والعلم الحديث»، (بحث محكم منشور)، «من خصائص الخطاب الإصلاحى في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكم منشور)، «وجوه الخطاب الإصلاحى في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكم منشور)، «مصطلح المال في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه في الشريعة الإسلامية»، (بحث محكم منشور)، «الطرق المنحرفة في التفسير وأثرها في تفریق الأمة الإسلامية»، (بحث محكم منشور)، «هدايات تشريعية لأحكام الأطمعة في ظلال سورة المائدة: دراسة تفسيرية موضوعية»، (بحث محكم منشور) «مقومات تدبر القرآن الكريم ومعوقاته»، (بحث محكم منشور)، مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه: دراسة قرآنية مقاصدية (بحث محكم منشور) وغير ذلك.

◆ البريد الشبكي: bey.zekkoub@mediu.edu.my/ beyzekoub@yahoo.fr



المستخلص

يُعنى هذا البحث بدراسة: (مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية)، وقد هدف إلى بيان مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو الماثورة في ثنايا سياقاته؛ لِمَا له من أثر عقائديّ، وتربويّ، وأخلاقيّ، في حياة المسلم. موظفًا المنهج الاستقرائي التحليلي، ثم المنهج الاستنباطي. وقد توصلَ البحث إلى أنّ المقصد الرئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتلى من معاني العبوديّة لله وحده، والتعرّف على حاله في الطّاعة والمعصية؛ بتحميله الضيق، والمشقّة، والألم. كما توصلَ إلى استنباط أهمّ مقاصد البلاء من خلال القرآن الكريم، وتحليلها ودراستها، التي أوصلها الباحث إلى اثني عشر مقصدًا قرآنيًّا؛ ليكون ذلك طريقًا هاديًّا في الحفاظ على النعم وإربائها، وفي دفع ما يستجدُّ من أنواع المصائب ودرئها؛ ذلك أنّ البلاء يُظهرُ حالَ المبتلين، ومدى تطبيقهم للتكاليف والنّواهي، وتتجلّى به نيّاتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني، والحكم، للبلاء في الخير، والشرّ.

الكلمات المفتاحية: مقاصد، البلاء والابتلاء، القرآن الكريم، الخير والشرّ،

المفسّرون.





states of those in trouble as well as the extent of their compliance with religious obligations and prohibitions and their responsiveness to Allâh and the Prophet (may Allâh's blessings and peace be upon him). All of this varies from one person to another according to the strength of his faith, sensemaking and the rationales behind tribulations and trials.

Keywords: Rationales- tribulation and trial- the Noble Quran- good and evil-exegetes





The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: A Thematic Study

The Rationales behind Tribulations from a Quranic Perspective (An Objective Study)

Prepared by:

Dr. Bey Zekkoub Abdelali

Associate Professor, the Department of Qur'an and its Sciences, the Faculty of Islamic Sciences at Al-Madinah International University, Malaysia

Abstract

This research examines the rationales behind tribulations from a Quranic perspective. It aims to shed light on the objectives of tribulations as reflected in the Noble Quran because of their doctrinal, educational, and moral impacts on the Muslim's life. It also employs the inductive analytical and the deductive approaches. The research found that the main rationale behind tribulation is to elicit the meanings of servitude to Allāh alone from the afflicted person's psyche and find out about the extent of his religiousness by burdening him with distress, hardship and agony. The research concluded the main rationales behind tribulation in accordance with the Noble Quran, analyzed and explored them, which reached twelve Quranic purposes according to the researcher. This is designed to be a guiding way of preserving and maximizing divine blessings and warding off new types of misfortunes. This is because tribulation shows the spiritual



المقدمة

الحمد لله الذي كتب الرحمة على نفسه، وحرّم الظلم على ذاته، وابتلى عباده بالخير والشر بمقتضى رحمته وعدله، فمنهم من شكر الله على نعمه؛ فسخرها في مرضاته؛ فوفّقهم لطاعته، وزادهم من خيره، ومنهم من جحد نعمة الله عليه؛ فوظّفها في سخطه؛ فخذلهم عن طاعته، وحرّمهم من خيره، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبينا محمد، أكثر من ابتلي؛ فشكر وصبر؛ ولذلك وصفه الله تعالى في أشرف المقامات بالعبودية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: 1]، ورضي الله تعالى عن آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه العرّ الميامين، الذين قاموا بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله أحسن قيام: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ فنالوا بذلك شرف الصّحبة، والشّاء، والرّضى من ربّهم، ومن اقتفى أثره، ودان بدينه إلى يوم الدّين. أمّا بعد؛

فقد أنزل الله القرآن الكريم؛ ليكون منهج حياة للنّاس جميعاً، فأمرنا بتدبره؛ لفهم معانيه، واستنباط أحكامه، وكشف وجوه إعجازه، واستخراج سنّنه، وسبر أغواره، والولوج في أعماق أسراره وحكمه، فقال تعالى ذكره: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ومن المعلوم أنّ الله لمّا خلق هذا الكون جعل له سنناً يسير وفتحها؛ حتى ينتظم أمر الخلق، وخرق هذه السنن يقود إلى ظهور الفساد في برّ الأرض وبحرها، ومن هذه السنن الإلهية: سنّة البلاء بالخير والشر المنصوص عليها في القرآن الكريم، وهي سنّة من سنن الله تعالى في



الأوليين والآخرين، من الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم، التي تجري باطراد في حياة البشر، يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَنْ نَجْدِلُكَ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجْدِلُكَ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، والمعنى: «لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مردّ لقضائه»^(١)، وفي الصحيح عن عياض بن حمار المُجاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، روى عن ربّه ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ»^(٢).

يبد أن إخلال بعض الناس بهذه السنّة الكونيّة؛ أدّى إلى فقدان الرّخاء في العيش، والصّحّة في البدن، وحلول الشّظف في العيش، والاعتلال في البدن، ولا شكّ أنّ هذا ناتج عن قلّة الوعي لدى الناس بشأن مقاصد البلاء المذكورة في القرآن الكريم.

لذا، بات من الأهميّة بمكان التعرّف على مقاصد البلاء، وإدراك حكمه؛ حتى يحسن تعامل الناس معه، ولا يتأتّى لنا هذا إلا بعد تتبّع مواضع ذكر البلاء، ونظائره في القرآن الكريم، ثم الاطلاع على أقوال المفسّرين القدماء والمعاصرين لتلك المواضع، وما يتعلّق بها من سنّة رسول الله ﷺ؛ لأنّها بمنزلة القرآن في التشريع، ثم تحليلها ودراستها؛ حتى نهتدي في الأخير إلى بعض مقاصد البلاء، التي قد تخفى على بعض عباد الله، وتظهر لآخرين، ونحن إذ نقوم باستخراج هذه المقاصد، لا ندعي أنّها تقتصر على ما ذكرناه في هذا البحث فحسب؛ ذلك لأنّ هذه المقاصد لها ارتباط بواقع النّاس، وبما أنّ الواقع يتجدّد، فإنّ المقاصد والحكم والغايات تتجدّد معه، وقد يظهر لنا في هذا الزّمان ما لم يظهر لغيرنا في الأزمنة الماضية، وقد يظهر للأجيال القادمة ما لا يظهر لنا في الوقت الحالي؛ لأنّ القرآن الكريم له علاقة وطيدة

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا

أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).



بواقع الناس، ومنه يقوم العلماء باستخراج هداياته، وأحكامه، وحكمه، كل حسب توفيق الله له: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال إبراهيم النخعي رحمته الله: «الحكمة معرفة معاني الأشياء وفهمها»^(١).

◆ مجالات النشر:

تصبُّ هذه الدراسة في مجال الاستنباط من القرآن الكريم، وقد تناولت فيها استخراج مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم؛ مستعيناً في ذلك بآراء العلماء المفسرين، أصيلها ومعاصرها، مع دراستها وتحليلها؛ لأجل الوصول إلى أهم مقاصد البلاء، التي من الممكن أن تكون طريقاً هادياً في حسن التعامل مع البلاء في الخير والشر.

◆ حدود الدراسة:

تدور الحدود الموضوعية لهذه الدراسة حول الآيات ذات الصلة بمقاصد البلاء في القرآن الكريم، مع الرجوع في فهمها واستخراج مقاصدها إلى كتب تفسير القرآن الكريم، والأخذ بعين الاعتبار بما أتانا به رحمته الله في سنته؛ لأنه بمنزلة القرآن في التشريع.

◆ أهداف الدراسة:

- ١- التعريف بمقاصد البلاء في القرآن الكريم.
- ٢- استنباط أهم مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو الماثلة في ثنايا سياقاته.
- ٣- بيان معاني مقاصد البلاء المستنبطة من القرآن الكريم، وذلك من وجهات نظر عدة للمفسرين.

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (١/٣٧٣).



٤- لفت انتباه القراء إلى كيفية التعامل مع البلاء في الخير والشر بمشيئة الله تعالى.

◆ منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث يقوم الباحث باستقراء الآيات التي تحدتت عن موضوع مقاصد البلاء في القرآن الكريم، ثم باستقراء آراء العلماء المفسرين حول تلك الآيات، وما يتعلق بها من سنة رسول الله ﷺ، ثم تحلل وتصنف حسب الخطة البحثية للموضوع، كما استفادت الدراسة من المنهج الاستنباطي في استخراج أهم مقاصد البلاء بناءً على ما تم استقراؤه.

◆ الدراسات السابقة :

١- أجرى الباحث محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) دراسة بعنوان «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى، في المملكة العربية السعودية، هدفت إلى الكشف عن معنى الابتلاء في القرآن الكريم، وأنواعه وصوره، وموقف الإنسان منه، ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة: أن الابتلاء يكون في ميدان الخير بالصبر على الطاعة، من حيث امتثال أمر الله واجتناب نهيهِ، وفي ميدان الشر بالصبر على ما يلقي الإنسان من مكاره ومصاعب، وأن الابتلاء طريق لإظهار موقف المكلف من الأوامر والنواهي التي تعبدنا الله بها على وجه الاختيار، فكان الخلق للابتلاء وسيلة لإظهار نتيجة الخلق للعبادة؛ فكل من الخلق للابتلاء والخلق للعبادة لازم للآخر ومكمل له، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي^(١).

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد عبدالعزيز الرحالي، (ص ٤١٩) وما بعدها.



٢- وتناول الباحث محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨) دراسة بعنوان:

«الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة ماجستير في التفسير من قسم أصول الدين، بالجامعة الأردنية، والبحث عبارة عن دراسة قرآنية لسنة البلاء، وقد هدفت إلى تجلية هذه السنة وتحديد موقف الإنسان تجاهها، محاولةً الكشف عن مزايا الأسلوب القرآني في تناولها، ومعالجة لبعض التصورات الخاطئة العالقة في أذهان الناس، وقد ضمّنها الباحث تمهيداً، وأربعة فصول، وخاتمة، وخصص في الفصل الثاني مبحثاً مختصراً عن حكم البلاء، أورد فيه الباحث الأهداف والغايات التي يحقّقها الابتلاء، وقد توصلت الدراسة إلى أهم ما ينبغي أن يتزوّد به الإنسان لمواجهة البلاء، وتخفيف شدّته، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي (١).

٣- وأما الباحث رجب نصر موسى الأّنس (٢٠٠٧)، فقد أجرى دراسةً بعنوان: «سنة الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، هدفت إلى الكشف عن ظواهر المحن والابتلاء في القرآن الكريم، وضروره، وموقف الإنسان منه، وقد توصلت الدراسة إلى أهمية التثبّت بالصبر وضرورته، والعقيدة مهما تكن الظروف والأحوال، موظّفة المنهج الاستقرائي التحليلي (٢).

٤- بينما الباحث حمدي سلمان معمر (٢٠٠٩)، قد تناول دراسةً بعنوان: «التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم»، وهو بحث نشرته مجلّة جامعة الأّقصى، في غزّة، فلسطين، هدفت إلى بيان

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد يوسف أحمد دوفش، (ص ٣ و٣٣٧) وما بعدها.

(٢) سنة الابتلاء في القرآن الكريم، لرجب نصر موسى الأّنس، (ص ٣ و١٧٦) وما بعدها.



الغرض من إصابة المسلمين بأنواع المصائب، مستخدماً المنهج الفلسفي التحليلي، وخرج البحث بعدة نتائج، من أهمها: أن الابتلاء سُنَّة دائمة لله في خلقه، وهو للمؤمنين تطهير، وللكافرين تذكير وعقاب (١).

◆ التعلُّيق على الدِّراسات السَّابِقة :

تناولت الدِّراسة الحاليَّة تحديد أهم مقاصد البلاء واستنباطها من خلال القرآن الكريم؛ حيث قام الباحث باستقراء لفظي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم، وتتبع معانيهما دراسةً وتحليلًا في كتب التفسير، ثم باستنباط أهم مقاصد البلاء بناء على ما تم استقراؤه ودراسته، موظفًا المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وهذا ما لم تفعله الدِّراسات السَّابِقة، باستثناء تطرُّقها إلى مفهوم البلاء في اللغة والاصطلاح، وبعض الحِكم العامَّة للبلاء، واقتصارها على المنهج الاستقرائي والفلسفي التحليلي، وقد لوحظ أنَّ دراسة محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨)، ودراسة رجب نصر موسى الأُنس (٢٠٠٧)، مماثلة لرسالة محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) في بعض أجزاء موضوعاتها وتقسيماتها، إلَّا أنَّ دراسة محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨)، اتَّسمت بالأصالة والعمق والمنهجية العلمية؛ ذلك ويلاحظ أنَّ الدِّراسة الحاليَّة تختلف عن الدِّراسات السَّابِقة من حيث هدفها ومنهجها المستخدم، ومن حيث موضوعها وتقسيماتها، وطريقة تناولها لمقاصد البلاء القرآنية؛ حيث يتناول هذا البحث استخراج مقاصد البلاء في القرآن الكريم، من خلال نظرة تفسيرية موضوعية، وهذا يؤكِّد أنَّ موضوع الدِّراسة الحاليَّة جدير بالتناول؛ لأنَّه يركِّز على مقاصد البلاء التفصيلية من خلال القرآن الكريم.

(١) التربة بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم، (ص ٩٤).



◆ خُطَّةُ البَحْثِ:

وتشتمل على مقدمة، ومبحثين، ثم الخاتمة، هذا هو بيانها:

المقدمة: موضوع البحث، مجاله، حدوده، أهدافه، منهجه، الدراسات السابقة وخطه البحث.

المبحث الأول: تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرحمة وابتلاء العقوبة.

المطلب السادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

المطلب السابع: رسومات بيانية تبين الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في القرآن الكريم.

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرسومات البيانية.

المبحث الثاني: مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الأول: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكل.

المطلب الثالث: البلاء بمقصد استخراج الدعاء.



- المطلب الرابع: البلاء بمقصد استخراج الصبر.
- المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرضا.
- المطلب السادس: البلاء بمقصد استخراج الشكر.
- المطلب السابع: البلاء بمقصد استخراج التوبة.
- المطلب الثامن: البلاء بمقصد الرحمة.
- المطلب التاسع: البلاء بمقصد التمحيص.
- المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج.
- المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التخويف.
- المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة.
- ثم الخاتمة.





المبحث الأول:

تعريف المقاصد القرآنية،

وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم

سيطرَّق هذا المبحث إلى تعريف المصطلحات الأساسية للبحث، والوقوف مع معاني البلاء والابتلاء في اللغة وفي اصطلاح المفسرين، ثم محاولة استخراج الفرق بينهما، وتتبع الألفاظ ذات الصلة بهما؛ ذلك وقد تمّ تتبُّع مفردتي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم وتحديد مواطن ورودهما، ثم دارستها وتحليلهما، ويتضمَّن هذا المبحث ثمانية مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرّحمة وابتلاء العقوبة.

المطلب السادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

المطلب السابع: رسومات بيانية تبيِّن الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في القرآن الكريم.

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرُّسومات البيانية.



المطلب الأول:

تعريف المقاصد القرآنية

المقاصد في اللغة مصدر الفعل الثلاثي لمأذة: قصد، يقصد، قصدًا، ومقصدًا، فهو قاصد، والمفعول مقصود، والقصد لغة هو: التوجه والاعتزام والنهوض والهدف، قال ابن جنِّي: «أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام، والتَّوجُّه، والنُّهُود، والنُّهُوض نحو الشَّيء، على اعتدال كان ذلك أو جَوْر»^(١)، ويأتي في اللغة لمعانٍ متنوِّعة، هي: استقامة الطَّرِيق، وطريق سهل، والعدل، والاعتماد والأَمُّ، وإتيان الشيء، والتوسُّط، والكسر، واللحم اليابس^(٢)، وجاء في المعجم: «القصد: «الهدف»^(٣)، وقد ورد لفظ القصد في ستَّة مواضع في القرآن الكريم، تحمل معاني: الاعتدال، والسهولة، والتبيين، والتواضع، كما سيأتي:

١. التوسُّط في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦].
 ويعني بـ: ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾؛ أي: «عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية»^(٤)،
 وقوله: ﴿وَإِذَا عَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهِمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]. روي عن ابن زيد ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ قال: «هو

(١) المحكم والمحيط الأعظم، للمرسي أبي الحسن (١٨٧/٦).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/٣٥٣-٣٥٦).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (٣/١٨٢٠).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/٦٨).



المتوسط في العمل»^(١)، وقوله: ﴿تُرْأَوْرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].
 ويعني بـ﴿مُقْتَصِدٌ﴾؛ أي: «متوسط في الطاعات»^(٢).

٢. السهولة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]. وقوله: ﴿قَاصِدًا﴾ فمعناه: «قريباً سهلاً»^(٣).

٣. التبيين في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ﴾ [النحل: ٩].
 وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ فإنه يعني: «تبيين الطريق المستقيم إليه بالحُجج والبراهين»^(٤).

٤. التواضع في قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. رُوي عن مجاهد
 ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ قال: «التواضع»^(٥)، وعن الماتريدي قال: «اقصد في المشي في الناس، ولا تمش متكبراً مستخفاً بهم؛ لتؤذيمهم»^(٦).

وقد عُرِّفت المقاصد اصطلاحاً، مضافةً إلى علم مقاصد القرآن الكريم، بأنها: «الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها»^(٧)، وهذا التعريف قريب من تعريفات علماء مقاصد الشريعة، وعرفها آخر بأنها:

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٥١).

(٢) النكت والعيون، الماوردي (٤/ ٤٧٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ٢٧١).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٤٦).

(٦) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٣٠٨).

(٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام (٣/ ١٠).

«الكشف عن المعاني المعقولة، والغايات المتنوعة التي يدور حولها القرآن الكريم كلياً أو جزئياً، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد»^(١)، ومن هنا يمكننا تعريف علم مقاصد القرآن الكريم بأنه: الغايات والأهداف التي أنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقاً لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقاً لدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرى.



(١) نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم: رؤية تأسيسية، لوصفي عاشور (ص ٤٣).



المطلب الثاني:

تعريف البلاء في القرآن الكريم

البلاء مصدر الفعل الثلاثي على وزن فعل، وتصريفه: بَلَا، يبلو، أبْل، بلواً وبلاءً، فهو بال، والمفعول مبلوٌ، والابتلاء مصدر الفعل الثلاثي المزيد بحرفين، أصله من بلا، فزيد فيه الألف في أوله، والتاء بين الفاء والعين على وزن افتعل، وتصريفه: ابتلى، يتلى، ابتلي، ابتل، ابتلاء، فهو مُبتلٍ، والمفعول مبتلىٌ.

البلاء والابتلاء لغة هو: «التجربة»^(١)، و«الامتحان والاختبار»^(٢)، وفي اللسان: «البلاء: الاختبار، يكون بالخير والشرِّ، يقال: ابتليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً، والله تعالى يُبلي العبد بلاءً حسناً ويُبليهِ بلاءً سيئاً، والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشرِّ معاً»^(٣). وأمّا اصطلاحاً فهو: «الاختبار بالخير والشرِّ، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وهو مجاز مشهور حقيقته بلاء الثواب، وهو تخلُّقه، وترهله، ولَمَّا كان الاختبار يوجب الضَّجر، والتَّعب؛ سُمي بلاءً، كأنه يخلِّق النَّفس، ثم شاع في اختبار الشرِّ؛ لأنَّه أكثر إعناتاً للنَّفس، وأشهر استعماله إذا أُطلق أن يكون للشرِّ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح، فيُطلق غالباً على المصيبة التي تحلُّ بالعبء؛ لأنَّ بها يُختبر مقدار الصَّبر، والأناة»^(٤). وأمّا الابتلاء فهو: «استخراج ما عند المبتلى، وتعرُّف

(١) كتاب العين، للفراهيدي (٨/ ٣٤٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٢٩٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٨٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٩٣).



حاله في الطَّاعة، والمعصية؛ بتحميله المشقَّة»^(١). ويبدو لي بعد عرض المعنى اللُّغوي والاصطلاحي للبلاء والابتلاء، أنَّ البلاء أعَمُّ من الابتلاء، والابتلاء فيه معنى المشقَّة، والاختبار أكثر، فزيادة المبنى تدلُّ على الزيادة في المعنى، وهما يشتركان في أنهما يحملان معنى الاختبار، وكلاهما يكون في الخير والشرِّ معاً من غير فرق بين فعليهما.



المطلب الثالث:

مفهوم مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم

مما سبق من تعريفات لمقاصد البلاء؛ يتبين لنا أنه يدور حول الكشف عن الغايات، واختبار أحوال النَّاس، وذلك في مجال القرآن الكريم. ومن هنا يمكننا تعريف مقاصد البلاء في القرآن الكريم على أنها: الحِكم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقِّي التكاليف، وأنواع النِّعم، والنِّقم، من منظور القرآن الكريم.



(١) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (١/٢١٦).



المطلب الرابع:

الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في القرآن الكريم

لقد أخبر الله في كتابه أنه يتبلي عباده تارةً بالخير، وتارةً بالشرّ، فقال: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْتَا تَرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن أهمّ الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في الخير والشرّ، كما سيأتي:

♦ أولاً: البلاء بالخير:

١- الإملاء:

تعود لفظة الإملاء إلى جذرها اللغوي (مَلَى)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعاً»^(١)، والإملاء في اللغة: «الإمهال، والتأخير، وإطالة العمر»^(٢)، وقد جاء الإملاء بمعنى البلاء بالتأخير، والتمتع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٨]، وعلق ابن عجيبة رحمه الله على الآية فقال: «والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة»^(٣)، ويتضمّن الإملاء: «التمتع بطيبات الدنيا وزينتها»^(٤)، مع استمرار الظالمين على ظلمهم؛ حتى يزدادوا إثماً بذلك التأخير، ونحو ذلك من الآيات التي دلّت على هذا المعنى.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٦٧٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢٩٠/١٥).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٥٤٢/٣).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (١١٨/٢).

٢- الحسنة:

تعود لفظة الحسنة إلى جذرها اللُّغوي (حَسُنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلِّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وتسعين»^(١)، ومعناها في اللُّغة: «النَّعمة»^(٢)، وعن مجاهد رضي الله عنه: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «الحسنة: الخير»^(٣). وقد جاءت الحسنة بمعنى البلاء بالخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ ذُهُمُ الْحَسَنَةِ قَالُوا لِنَا هَذِهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «العافية والرِّخاء»^(٤)، وكما في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ويعني بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾: «رخاء وظفر»^(٥)، ونحو ذلك من الآيات.

٣- النِّعمة:

تعود لفظة النِّعمة إلى جذرها اللُّغوي (نَعِمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلِّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وأربعين»^(٦)، ومعناها في اللُّغة: «التَّعَمُّمُ وَطِيبُ الْعَيْشِ»^(٧)، وقد جاءت النِّعمة بمعنى البلاء بالنِّعم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣]، قال المفسِّرون: «وهذا الإِنعام: سعة الرزق، وكشف البلاء»^(٨)، وكما في قوله بشأن فرعون: ﴿وَتَعَمَّةٌ كَأُنُوسٍ﴾

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٢٠٢-٢٠٥).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١١٦/١٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٥٧٤/١٢).

(٤) المصدر السابق (٤٧/١٣).

(٥) المصدر السابق (٥٥٥/٨).

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٧٠٧-٧٠٩).

(٧) معجم مقاييس اللُّغة، لابن فارس (٤٤٦/٥).

(٨) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤٩/٣).



فِيهَا فَكِّهَيْنِ ﴿ [الدخان: ٢٧]، ويعني بالنعمة: «متعة، وعيشًا لِيْنًا»^(١)، قال قتادة رضي الله عنه: «أخرجه الله [أي: فرعون] من جنَّاته، وعيونه، وزروعه؛ حتى ورَّطه في البحر»^(٢)، ونحو ذلك من الآيات.

٤- الرَّحْمَةُ:

تعود لفظة الرَّحْمَةِ إلى جذرها اللُّغوي (رَحِمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثمائة وتسعًا وثلاثين»^(٣)، ومعناها في اللُّغة: «الرَّأْفَةُ»^(٤)، وعن ابن جرير رضي الله عنه: ﴿وَلَيْنٌ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: ٩]؛ أي: «رخاء وسعة في الرِّزق والعيش»^(٥)، وقد جاءت الرَّحْمَةُ بهذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ: ﴿رَحْمَةً﴾: «خصب، ورخاء، وعافية في الأبدان، والأموال»^(٦)، ونحو ذلك من الآيات.

◆ ثانياً: البلاء بالشر:

١- الفتنة:

تعود لفظة الفتنة إلى جذرها اللُّغوي (فَتَنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ستين»^(٧)، ومعناها في اللُّغة: «الابتلاء، والامتحان،

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري (٤/ ١٧٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٢/ ٣٢).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٣٠٤-٣٠٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٤٦).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٠٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٤١٩-٤٢٠).



والاختبار»^(١)، وقد جاءت الفتنة بمعنى البلاء، كما في قوله تعالى: ﴿أَحْسِبْ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيَّاكُمْ آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، عن مجاهد رضي الله عنه في قول الله: ﴿إِيَّاكُمْ آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ قال: «يُتْلَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ»^(٢)، وكما في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، عن قتادة رضي الله عنه، قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ يقول: «بلاء»^(٣)، ونحو ذلك من الآيات.

٢- البؤس:

تعود لفظة البؤس إلى جذرها اللغوي (بَأَسَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثاً وسبعين»^(٤)، والبؤس في اللغة: «الشدة، والفقر، والبائس: المبتلى»^(٥)، وقد جاء البؤس بمعنى شدة الفقر والبلاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقوله: ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾ معناه: «شدة الفقر، والضيق في المعيشة»^(٦)، وكما في قوله سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِنَّمَا وَأَطْعَمُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ومعنى قوله: ﴿الْبَآئِسِ﴾ هو: «الذي به ضرُّ الجوع، والزَّمانَة والحاجة»^(٧)، ونحو ذلك من الآيات.

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣١٧/١٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٧/١٩).

(٣) المرجع السابق (٤٢٦/٢٣).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ١١٣-١١٤).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٢١-٢٠/٦).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٣٥٤/١١).

(٧) المرجع السابق (٦١١/١٨).



٣- الضَّرُّ:

تعود لفظة الضَّرُّ إلى جذرها اللُّغوي (ضَرَرَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «أربعاً وسبعين»^(١)، ومعناها في اللُّغة: «الهزال، وسوء الحال»^(٢)، ويقول آخر: «الشدة، والبلاء»^(٣)، وقد جاء الضَّرُّ بمعنى الشدة والبلاء كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا لَهُمْ بِالْبَاسِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] قال ابن قتيبة: «والضَّرَّاء: البلاء»^(٤)، وقال ابن جرير: «والضَّرَّاء هي الأسقام، والعلل العارضة في الأجسام»^(٥)، وكما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، عن قتادة رضي الله عنه في قول الله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ قال: «الوجع، والبلاء، والشدة»^(٦)، ونحو ذلك من الآيات.

٤- المصيبة:

تعود لفظة المصيبة إلى جذرها اللُّغوي (صَوَّبَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعاً وسبعين»^(٧)، والمصيبة في اللُّغة: «الأمر المكروه ينزل بالإنسان»^(٨)، وقد جاءت المصيبة بمعنى الشدة والبلاء كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]،

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٥١١-٥١٢).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٧٢٠).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (١/ ٤٠٣).

(٤) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ١٣٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٥).

(٦) المرجع السابق (٢١/ ٢٦٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٤١٥-٤١٦).

(٨) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٥٣٥).



وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ فمعناها: «بليّة، وشدة»^(١)، وكقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢]، والمصيبة في الأرض هي: «قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، وغلاء الأسعار، وتتابع الجوع»^(٢)، والمصيبة في الأنفس هي: «الأمراض، والفقر، وذهاب الأولاد، وإقامة الحدود عليها»^(٣)، ونحو ذلك من الآيات.

٥- السُّوء:

تعود لفظة السُّوء إلى جذرها اللُّغوي (سَوْء)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلبي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وسبعا وستين»^(٤)، والسُّوء في اللُّغة: «اسم للضّرّ، وسوء الحال»^(٥)، وعن مجاهد رضي الله عنه: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَا كَانَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «السَّيِّئَةُ: الشَّرُّ»^(٦). وقد جاء السُّوء بمعنى الضّرّ والبلاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْشَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ أي: «الضّرّ، والفقر، والجوع»^(٧)، وكقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، عن ابن جريج رضي الله عنه، قوله: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ قال: «الضّرُّ»^(٨)، كما وردت لفظة السُّوء في كثير

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (١/٩٦٦).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/٤٦٦).

(٣) المرجع السابق (٢٩/٤٦٦).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٣٦٧-٣٧٠).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١/٩٨).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/٥٧٤).

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري (٢/٢٥٧).

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/٤٨٥).



من المواضع بمعنى السيئة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]؛ أي: «مصيبة ومكروه»^(١)، وكقوله أيضاً: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «بلاء، وعقوبة»^(٢)، وقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ لِّمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ ﴿سَيِّئَةٌ﴾: «شدة من جذب، وقحط، وبلاء في الأموال والأبدان»^(٣)، ونحو ذلك من الآيات.



المطلب الخامس:

الفرق بين ابتلاء الرحمة وابتلاء العقوبة

لا شك أن البلاء يختلف بين كونه رحمة للناس، وكونه عقوبة لهم.

فيكون رحمة للناس بثلاثة معانٍ:

فالأول: الإنعام والإفضال، والمقصود أن الله ﷻ يُنعم على جميع خلقه بنعمه الظاهرة والباطنة، قال تعالى على لسان رسوله سليمان ﷺ: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

والثاني: التطهير والتكفير، والمقصود أن الله ﷻ يطهر المسلمين خصوصاً بما كسبت أيديهم من الآثام والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

والثالث: التأخير والإمهال، والمقصود أن الله ﷻ يمهل الناس عموماً،

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/٩٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢٠/١٠٢).



ولا يعجل لهم العقوبة على اقرارهم المعاصي، من كفر لأنعم الله، ومن فساد في برّ الأرض وبحرها، ومن ظلم وطغيان؛ حتى يتوبوا على ما صدر منهم من تفریط في جنب الله، وتقصير في الأعمال التي تُرضي الله ﷻ، يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَاتِ بَتٍّ وَلَا لَكِن يُوَخِّضُهُم إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَيَأْتِيهِمْ فَيَأْتِي اللَّهُ كَانَ يَعْبَادِهِ بَصِيرَةً﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد يكون عقوبةً للناس بثلاثة معانٍ:

فالأول: الردع، والمقصود أن الله ﷻ شرع عقوبات رادعة مغلظة من حدود وقصاص وتعازير شرعية على مرتكبي المعاصي، والجرائم والسّاعين في الأرض فساداً؛ لأجل ضبط سلوكياتهم، وردعهم عن اقتراف الجرائم، قال تعالى - في حدّ الزّنى تمثيلاً، لا حصراً -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

والثاني: الاستدراج والإملاء، والمقصود أن الله ﷻ يُرغِد عيش العاصين من الكفّرة والفسقة والجهلة لمدة طويلة؛ حتى يغتروا بما هم فيه، ويعتقدون أنّهم على خير، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣].

والثالث: الأخذ، والتي تأتي بعد مرحلة الاستدراج والإملاء، والمقصود أن الله ﷻ يوقع عقوبة الأخذ على الكافرين بأحكامه، والمستحلين لمحرماته، والصّادّين عن دينه، والمؤذنين لأوليائه، والسّاعين في الأرض ظلماً، وطغياناً، وفسقاً، وجهلاً، وفساداً، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].





المطلب السادس:

اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم

لقد ورد فعل «بلا» باشتقاقاته، وتصريفاته المختلفة في سبعة وثلاثين موضعاً، من خلال أربع وثلاثين آية من آي الذكر الحكيم، منها ست عشرة آية مكية، وثمانية عشرة آية مدنيّة، وذلك في مجموع أربع وعشرين سورة^(١).

والصيغ التي ورد بها فعل «بلا» في القرآن الكريم هي: ابْتَلَى (١)، بَلَاءٌ (٤)، بَلَاءٌ (١)، مُبْتَلِيكُمْ (١)، وَلَنْبَلُونَكُمْ (٢)، لِيَبْتَلِيَكُمْ (١)، لِيَبْلُوكُمْ (٤)، وَلِيَبْتَلِيَ (١)، لِيَبْلُونَكُمْ (١)، لَتُبْلَوْنَ (١)، وَابْتَلُوا (١)، لِمُبْتَلِينَ (١)، نَبَلُوهُمْ (١)، ابْتَلِيَ (١)، بَلُونَاهُمْ (٢)، نَبْتَلِيهِ (١)، وَلِيَبْلِيَ (١)، ابْتَلَاهُ (٢)، تَبَلُو (١)، يَبْلُوكُمْ (١)، لِنَبْلُوهُمْ (١)، وَنَبْلُوكُمْ (١)، لِيَبْلُونِي (١)، الْبَلَاءُ (١)، لِيَبْلُوا (١)، وَنَبَلُوا (١)، بَلُونَا (١)، تُبْلَى (١).



(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقى (٥/ ٣١١).



المطلب السابع: رسومات بيانية تبين الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في سور القرآن الكريم

الرَّسْمُ البياني الأوَّل: يبيِّن عدد تكرار تصريفات فعل «بلا» في سور القرآن الكريم على حدة:

النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغ التصريف	
٪ ٦	٢	لَمُبْتَلِينَ (١): ﴿وَأَن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠] مُبْتَلِيكُمْ (١): ﴿إِنَّا لَنَبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]	اسم فاعل	١
٪ ٨	٣	أَبْتَلِي (١): ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١] تُبَلَى (١): ﴿يَوْمَ تُبَلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] لَتُبْلَوْنَ (١): ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]	الفعل المبني للمجهول	٢
		أَبْتَلَى (١): ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] بَلَوْنَاهُمْ (٢): ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ [القلم: ١٧]		



النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغ التصريف
% ٧٠	٢٦	<p>اِبْتَلَاهُ (٢): ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥]</p> <p>﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]</p> <p>بَلَوْنَا (١): ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]</p> <p>لَنبَلُونَكُمْ (٢): ﴿وَلَنبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ﴾ [البقرة: ١٥٥]</p> <p>﴿وَلَنبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]</p> <p>اِبْتَلُوا (١): ﴿وَابْتَلُوا الَّتِي﴾ [النساء: ٦]</p> <p>لِيَبْتَلِيَكُمْ (١): ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]</p> <p>لِيَبْلُوكُمْ (٤): ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُمِ﴾ [المائدة: ٤٨]</p> <p>﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُمِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]</p> <p>﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]</p> <p>﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]</p> <p>وَلِيَبْتَلِي (١): ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]</p>	<p>الفاعل المبني للمعلوم</p>

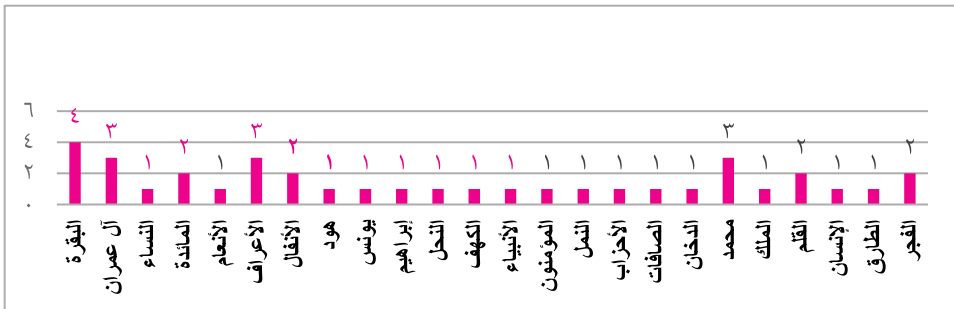
النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغ التصريف
		<p>لَيَبْلُوكُمْ (١): ﴿لَيَبْلُوكُمْ اللَّهُ﴾</p> <p>بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ ﴿[المائدة: ٩٤]</p> <p>نَبْلُوهُمْ (١): ﴿كَذَلِكَ﴾</p> <p>[الأعراف: ١٦٣]</p> <p>نَبْتَلِيهِ (١): ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾</p> <p>أَمْشِجْ نَبْتَلِيهِ ﴿[الانسان: ٢]</p> <p>وَلَيُبْلِي (١): ﴿وَلَيُبْلِي الْمُؤْمِنِينَ﴾</p> <p>[الأنفال: ١٧]</p> <p>لَيَبْلُونِي (١): ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾</p> <p>لَيَبْلُونِيءَ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ ﴿[النمل: ٤٠]</p> <p>لَيَبْلُوا (١): ﴿وَلَكِنْ لَيَبْلُوا بَعْضُكُمْ﴾</p> <p>بِبَعْضٍ ﴿[محمد: ٤]</p> <p>وَنَبْلُوا (١): ﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾</p> <p>[محمد: ٣١].</p> <p>لَنَبْلُوهُمْ (١): ﴿لَنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ﴾</p> <p>عَمَلًا ﴿[الكهف: ٧].</p> <p>وَنَبْلُوكُمْ (١): ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ﴾</p> <p>وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴿[الأنبياء: ٣٥]</p> <p>يَبْلُوكُمْ (١): ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ﴾</p> <p>بِهِٔ ﴿[النحل: ٩٢]</p>	



النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغ التصريف	
			تَبَلَّوْا (١): ﴿هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠]	
١٦٪	٦	٤	بَلَاءٌ (١): ﴿بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] بَلَاءٌ (٤): ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ / الأعراف: ١٤١ / إبراهيم: ٦] ﴿وَأَتَيْنَهُم مِّنَ آيَاتِنَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣] بَلَاءٌ (١): ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصفات: ١٠٦]	الاسم
١٠٠٪	٣٧ مرة	٤ صيغ	المجموع	

الرسم البياني الثاني: يبين نسبة تكرار صيغ التصريف لفعل «بلا» في القرآن

الكريم

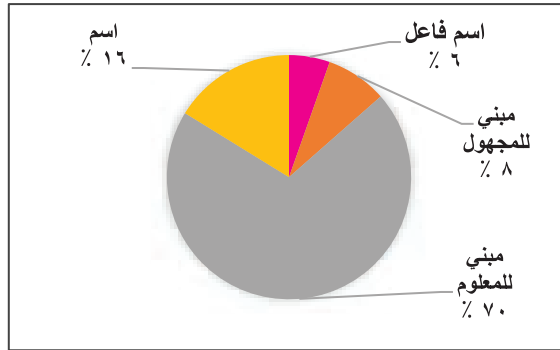




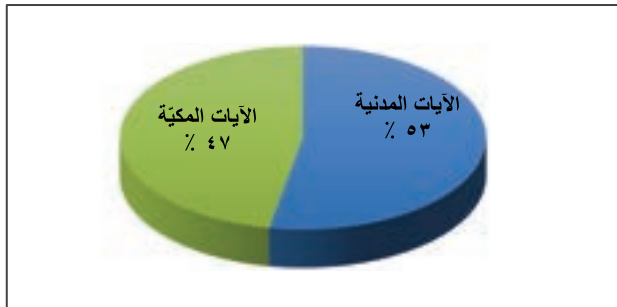
الرسم البياني الثالث: يبيّن نسبة الآيات التي تحدّثت عن البلاء والابتلاء



الرّسم البياني الرابع: يوضّح نسب الصيغ التصريفية التي ذكر بها فعل بلا في القرآن الكريم



الرّسم البياني الخامس: يوضّح نسبة ذكر تصريفات فعل «بلا» في الآيات المكيّة والمدنيّة





المطلب الثامن:

تحليل نتائج الرسوم البيانية:

١. نستنتج أنّ فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، ذُكر في القرآن الكريم سبعاً وثلاثين مرة، منها إحدى وعشرين مرة في النصف الأول، وستّ عشرة مرة في النصف الثاني.

٢. نستنتج أنّ فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، ذكر في القرآن الكريم سبع وثلاثين مرة من خلال أربع صيغ، وهي: اسم الفاعل (٢)، المبني للمجهول (٣)، المبني للمعلوم (٢٦)، والاسم (٦).

٣. نستنتج تكرار فعل «بلا» بصيغته المختلفة في مختلف السور على النحو الآتي:
 ✓ اسم فاعل: تكرر ذكره مرتين في سورتين هما: البقرة، والمؤمنون، وهذا بنسبة مئوية قدرّت بـ: ٦٪.

✓ صيغة الفعل المبني للمجهول: تكرر ذكرها ثلاث مرات في ثلاث سور قرآنية، هي: آل عمران، الأحزاب، والطلاق، وهذا بنسبة مئوية قدرّت بـ: ٨٪.

✓ صيغة الفعل المبني للمعلوم: تكرر ذكرها ستاً وعشرين مرة في ثماني عشرة سور قرآنية، هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، هود، يونس، النحل، الكهف، الأنبياء، النمل، محمد، الملك، القلم، الإنسان، الفجر، وهذا بنسبة مئوية قدرّت بـ: ٧٠٪.

✓ صيغة الاسم: تكرر ذكرها ست مرات في ست سور قرآنية، هي: البقرة، الأعراف، الأنفال، إبراهيم، الصافات، والدخان، وهذا بنسبة مئوية قدرّت بـ: ١٦٪.



٤. نلاحظ أنَّ عدد السور التي ورد فيها فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة أربع وعشرون سورة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الأحزاب، الصافات، الدخان، محمد، الملك، القلم، الإنسان الطارق، الفجر.

٥. يلاحظ في مجموع السور التي ورد فيها فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، سبع عشرة سورة مكية، وسبع سور مدنية، فالمكية: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الصافات، الدخان، الملك، القلم، الإنسان، الطارق والفجر، والمدنية هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، الأحزاب ومحمد ﷺ.

٦. يلاحظ أنَّ الآيات المدنية التي ورد فيها لفظ «بلا» باشتقاقاته المختلفة بلغت نسبتها ٥٣ بالمائة، بينما المكيَّة بلغت نسبتها ٤٧ بالمائة.

٧. يلاحظ أنَّ نسبة الآيات التي تحدثت عن البلاء بلغت ٧٠ بالمائة، بينما نسبة الآيات التي تحدثت عن الابتلاء بلغت ٣٠ بالمائة، وهذا يؤيد ما تمَّ التوصل إليه سابقاً؛ أنَّ بين البلاء والابتلاء عمومًا وخصوصًا، فكل بلاء ابتلاء، وليس كلُّ ابتلاء بلاء.

٨. يلاحظ تكرار آيات البلاء والابتلاء في السور المدنية، وأنها عُنيَت بالتكليف والنهي والضيق، وهذا يؤيد قاعدة أنَّ القرآن المدني اهتمَّ اهتمامًا بارزًا بالعبادات، والتكليف بما يُطاق، والحرص على تطهير القلوب من الأمراض القلبية، وميز خبيثها عن طيِّبها؛ لأجل تهيئتها في آخر المطاف إلى حمل أعباء رسالة الإسلام، والدعوة إلى الله ﷻ، والجهاد في سبيله.

٩. ويلاحظ تكرار آيات البلاء والابتلاء في السور المكية، وأنها عُنيَت بتبليغ



الدعوة، والاعتاظ بقصص الأولين، ويوم الحساب، والمصائب، والنعم، والوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وهذا يؤيد قاعدة أن القرآن المكي اهتم اهتمامًا بارزًا بتزكية النفوس، ودعوتها إلى الإيمان بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، والالتزام بالعهود، والمواثيق، وعدم نقضها.

١٠. يستفاد من خلال ورود تصريفات «بلا» في الآيات المكية والمدنية؛ ضرورة الشُّكر على المسارِّ، والصَّبْر على المضارِّ، وتحمُّل التكاليف والنواهي.
١١. ونلاحظ أن مصدر «البلاء» باشتقاقته المختلفة ضُمَّن في ثمانية عشر محورًا رئيسًا في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالى إبراهيم ﷺ بتكليفه ذبح ولده إسماعيل، فسارع إلى ذلك ممثلاً لأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].
- اختبار الله تعالى سليمان ﷺ بإحضار العرش إليه؛ ليرى منه أي شكر أم يكفر، وما كان منه إلا أن اعترف بفضل ربه عليه وشكر نعمه، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].
- اختبار الله تعالى عباده بالمال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك؛ ليرى المحسن من المسيء، وضده، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكَ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
- اختبار الله تعالى عباده بالمصائب تارةً، وبالنعم أخرى؛ لينظر من يشكر، ومن يكفر، ومن يصبر، ومن يقنط، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].
- اختبار الله تعالى عباده بإيجاد الموت والحياة؛ ليرى منهم أيهم أكثر استعدادًا



للموت، وأسرع إلى طاعة ربه، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

• اختبار الله تعالى كل نفس مؤمنة أو كافرة في موقف الحساب يوم القيامة على ما عملت من خير أو شر، وترى الجزاء المناسب عن كل عمل؛ ليقضى الله بينهم بقضائه العادل، قال تعالى: ﴿هَذَا لِكَيْ تَبْلُؤْا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩].

• اختبار الله تعالى عباده عن طريق خلق السموات والأرض، وكسوتهما بالزينة، وترتيبه فيهما جميع ما يحتاجون إليه من أسباب المعاش؛ لتمييز المطيع من العاصي، فيثيب المطيعين، ويعاقب العاصين، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

• اختبار الله تعالى بني إسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب؛ لأجل استخراج الشكر على المسار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوَاءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، [الأعراف: ١٤١]، [إبراهيم: ٦].

• اختبار الله تعالى بني إسرائيل بظهور السمك في اليوم المحرم عليهم صيده؛ ليرتب الجزاء على عملهم بسبب فسقهم المستمر عن أمر ربهم، وتعديهم حدود شرعه، قال تعالى: ﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا لَايَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].



• اختبار الله تعالى بني إسرائيل بالنعم والنقم؛ رجاء أن يرجع العصاة منهم إلى طاعة ربهم، ويتركوا ما نهوا عنه من المعاصي والسيئات حين يرون حسن حال الصالحين، وسوء حال من هم دون ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

• اختبار الله تعالى بني إسرائيل بالحجج والبراهين وخوارق العادات الدالة على صدق رسلهم؛ لتمييز الخبيث من الطيب، والكافر من المؤمن، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْأَيَّاتِ مَا فِيهَا بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣].

• اختبار الله تعالى عباده المؤمنين بنعمة النصر والغنيمة يوم بدر؛ لإظهار الشكر منهم، قال تعالى: ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَيُغِئ أَلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

• اختبار الله تعالى عباده المؤمنين بأمره إياهم بالوفاء والعهد، وألا يغدروا لكثرتهم، وقلة أعدائهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالِبِينَ كُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ [النحل: ٩٢].

• اختبار الله تعالى عباده المسلمين بقليل من الضراء؛ لأجل استخراج الصبر على المضار، قال تعالى: ﴿وَلْيَبْلُوكُمْ بَشْيَءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

• اختبار الله تعالى عباده فيما أتاهم من الشرائع مختلفة؛ ليشيهم على طاعته أو يعاقبهم على معصيته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

• اختبار الله تعالى عباده المسلمين بإرسال شيء كثير من الصيد في الوقت



المحرم عليهم صيده، وهو وقت الإحرام والحلول في الحرم؛ ليعلم من يخافه في السر والجهر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشْيَءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۗ﴾ [المائدة: ٩٤].

• اختبار الله تعالى عباده المسلمين بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة؛ حتى يتميز قويُّ الإيمان من ضعيفه، والصادق من المنافق، والمجاهد من المتخلف، قال تعالى: وقوله: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصِرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

• اختبار الله تعالى مشركي قريش بالقحط والجوع بعد جحودهم لنعمة الخير، وتكذيبهم لرسول ﷺ، كما اختبر من قبلهم أصحاب الجنة، بأن دمرها تدميراً، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧].

١٢. ونلاحظ أيضاً أن مصدر «الابتلاء» باشتقاقاته المختلفة ضَمَّنَ في تسعة محاور رئيسة في القرآن، هي:

• اختبار الله تعالى إبراهيم ﷺ بما كلفه به من الأوامر والنواهي، فقام بها كلها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

• اختبار الله تعالى جنود طالوت قبل ملاقاتهم جالوت وجنوده؛ حتى يتميز من يصبر على الحرب ممن لا يصبر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

• اختبار الله تعالى المسلمين يوم أحد بزيادة في عدد جرحاهم وشهادتهم



على عدد الجرحى والقتلى من المشركين؛ حتى يتبين الخبيث من الطيب، ويتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والصابر من غيره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٤].

• اختبار الله تعالى المسلمين بنزول الأحزاب حول المدينة وهم محصورون في غاية الجهد والضيق؛ ليظهر المخلص من المنافق، والراسخ من المتزلزل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ ﴿هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّكُمْ لَفِي قَلْبِهِمْ لَخَبِيرَاتٌ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

• اختبار الله تعالى المسلمين بألوان المصائب؛ لتمييز الصادق من المنافق، والصابر من المضطرب، والثابت من الخائف، قال تعالى: ﴿لَتَبْلُوتَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَيْكُم مِّن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

• اختبار الله للأوصياء حول اليتامى المقارين للرشد بدفع شيء من أموالهم؛ حتى يتبين بذلك رشدهم من سفههم، قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْبِرَّاحَ فَإِنْ أَنْتَرْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

• اختبار الله تعالى نوحًا ﷺ بتكذيب قومه وأذاهم إياه والمؤمنين معه؛ ليميز الله للناس الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩-٣٠].

• اختبار الله الإنسان بالتكليف، بعد إرشاده إلى طريق الحق وتزويده بالعقل؛ للتفكير في آيات الله الدالة على وحدانيته، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الانسان: ٢].

- اختبار الله تعالى الإنسان بالسعة والضيق؛ ليستخرج منه الشكر والصبر، والكفر والجزع، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥-١٦].





المبحث الثاني:

مقاصد البلاء في القرآن الكريم

ليس من شك أن البلاء بالخير والشر الذي ينزل على الناس لا يخلو من مقاصد وغايات وحكم وأغراض، علمها من علم، وجهلها من جهل، فما علمناه سيأتي الحديث عنه في هذا المبحث، وأما ما جهلناه فكثير جدًا وفقًا لاتساع معلومات الله ﷻ وحكمه، وإنما غير متناهية، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقد ضرب الله مثلًا على اتساع علمه وحكمته بأنه لو كُتِبَ علم الله بمداد البحر لاندثر البحر ولم يندثر علم الله، فقال تعالى ذكره: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُمِتَ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] والمراد بكلمات ربي: «كلام الله، وعلمه، وحكمته»^(١)، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. ويهدف هذا المبحث إلى تبصير الناس بمقاصد البلاء الواردة في القرآن الكريم؛ حتى يحسن تعاملهم مع هذه السنة الكونية، وذلك باستحضار قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويتضمن هذا المبحث اثني عشر مطلبًا، هي:

المطلب الأول: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٥ / ٢٥١).



- المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكل.
- المطلب الثالث: البلاء بمقصد استخراج الدعاء.
- المطلب الرابع: البلاء بمقصد استخراج الصبر.
- المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرضا.
- المطلب السادس: البلاء بمقصد استخراج الشكر.
- المطلب السابع: البلاء بمقصد استخراج التوبة.
- المطلب الثامن: البلاء بمقصد الرّحمة.
- المطلب التاسع: البلاء بمقصد التّمحيص.
- المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج.
- المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التّخويف.
- المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة.





المطلب الأول:

البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده

وردت مادة «عبد» في مائتين وخمسة وسبعين موضعاً من آي الذكر الحكيم، بصياغات واشتقاقات مختلفة^(١).

«العبادة» مصدر الفعل الثلاثي: عَبَدَ، يَعْبُدُ، عِبَادَةٌ، وَعُبُودِيَّةٌ، فهو عَابِدٌ، والمفعول مَعْبُودٌ، وفي معاني القرآن: «العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق مُعَبَّدٌ، إذا كان مَذَلَّلاً بكثرة الوطء، فمعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: نطيعُ الطَّاعَةَ التي نخضع معها، وقوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، أي: «أطاع الشَّيْطَانَ فيما سَوَّلَ له وأغراه به»^(٢)، وفي الصَّحاح: «وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبد: التذليل، يقال: طريق مُعَبَّدٌ، والبعير المعبد: المهنوء بالقطران المذلل، والتعبد: التنسك»^(٣)، وجاء في اللسان أن: «أصل العبودية الخضوع والتذلل، فلان عابد، وهو الخاضع لربِّه المستسلم المُتَّقَادُ لأمره»^(٤)، ومعنى العبادة في اصطلاح المفسرين هي: «الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة، والإقرار له بالربوبية، لا لغيره»^(٥)، وعرفها آخر بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»^(٦)، ويقول غيره: هي:

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٤٤١-٤٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤٨/١)، (١٨٧/٢).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٥٠٢-٥٠٣).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١٠/٩-١٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٥٥/١ و ٣٦٢).

(٦) العبودية، لابن تيمية (ص ٢٠).



«التعظيم لأمر الله والشَّفقة على خلق الله»^(١)، ويقول آخر: هي: «إفراد الله بالعبادة، أي الاعتراف بوحدانيته»^(٢)، هذا وإنَّ المعنى الذي تدلُّ عليه العبادة في اللُّغة هو الطاعة، مع الخضوع، والتذلل، والانقياد، والاستسلام طوعاً، أو كرهاً، غير أنَّ العبادة في الاصطلاح لا تقتصر على هذه المعاني فحسب، وإنما تشتمل على معنى الحبِّ أيضاً، فهي تتضمَّن غاية الدُّلِّ لله، وغاية المحبَّة له، وغاية الاتِّباع له، وغاية التدبُّين له، وغاية الانقياد لشرعه، وغاية الخضوع لمشيئته، فيجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كلِّ شيء، وأن تكون شريعة الله أحبَّ إلى العبد من كلِّ الشرائع. لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «العبادة المأمور بها تتضمَّن معنى الدُّلِّ ومعنى الحبِّ، فهي تتضمَّن غاية الدُّلِّ لله بغاية المحبَّة له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحبَّ شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحبُّ ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كلِّ شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كلِّ شيء، بل لا يستحقُّ المحبَّة والخضوع التامَّ إلا الله»^(٣)، ومن هنا يمكننا تعريف العبادة على أنها: إفراد من بيده الأمر سبحانه بالطَّاعة، قولاً وفعلاً واعتقاداً، مع غاية الخضوع والمحبَّة له، ولا يُشركُ معه في الطَّاعة غيره؛ لأنَّ غيره ليس بيده الأمر، وامتنال جميع تكاليفه التشريعية من الأوامر، والنواهي، وإرضاءه.

لقد بيَّن الله تعالى المقصد الأسنى من العبادة فقال: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وجملته قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتعليل للأمر بـ ﴿أَعْبُدُوا﴾، والمعنى: «لتتقوا سخطه وغضبه أن يحلَّ عليكم،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٩٣/٢٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٨٢/٢٤).

(٣) العبودية، لابن تيمية (ص ٤٩).



وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم»^(١)، وهذا دليل على أن ترك الخضوع لله بالطاعة والإقرار له بالوحدانية موجب للقوارع والجوائح والمصائب التي تصيب بعض بني البشر، ويؤيد هذا ما أخبر الله تعالى به في مواضع من كتابه عن سنته في الأمم المستنكفة عن طاعته والمكذبة برسله كيف أنه أبادهم بأنواع من المصائب، يقول تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّهُمَّ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي: «وهم قوم لوط»^(٢)، وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: «وهم قوم ثمود، ومدين»^(٣)، وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي: «وهم قارون وأصحابه»^(٤)، وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ أي: «قوم نوح وفرعون وقومه»^(٥)، وقد دلت آيات كثيرة في القرآن الكريم على النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن طاعة الله جل وعز، أو الشك فيها، أو الإشراك فيها، فمنها الإنذار بالصاعقة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٣-١٤]، ومنها الوعيد بالمعيشة الضيقة المليئة بالهموم، والغموم، والأحزان، وسوء العاقبة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/٣٦٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٤/١٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/١٦٩).

(٤) المرجع السابق (٤/١٦٩).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/٣٧).



ومنها تهينة القرناء من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ، وَشَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ وَفَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ومنها الطبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنة المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذْ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، ومنها الخسران في الدنيا، والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ فمعناه: «صحة في جسمه وسعة في معيشته»^(١)، وقوله: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، فمعناه: «شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته»^(٢)، قال المفسرون: «نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة، فإن صحَّ بها جسمه، ونتجت فرسه مهرًا حسنًا، وولدت امرأته غلامًا، وكثر ماله وماشيته، رضي عنه واطمأنَّ، وقال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرًا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وأجهضت رماكُهُ، وذهب ماله، وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرًا، فينقلب على دينه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾»^(٣). والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا.

وَأَمَّا النَّابِثُونَ إِلَى اللَّهِ، وَالخَاضِعُونَ لَطَاعَتِهِ؛ فَيُنَجِّهِمْ بِذَلِكَ مِنْ مِصَابِ الدُّنْيَا،

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/٤٣٠).

(٢) المرجع السابق (٢/٤٣٠).

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي (١/٣٠٧)، وأخرج معناه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] شك، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، برقم (٤٧٤٢).



ويرفع عنهم شدائدھا، كما أخبر تعالى عن قوم يونس عليه السلام الذين آمنوا قبل نزول العذاب، فنفعهم إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءِعَذَابَ الْحِزْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، وقال ابن تيمية رحمته الله: «ومن تدبّر أحوال العالم، وجد كل صلاح في الأرض؛ فسببه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل شر في العالم، وفتنه، وبلاء، وقحط، وتسليط عدو، وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى غير الله»^(١). ومن المواقف العملية التي كان يستعين بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مواجهة الأحداث المفاجئة، الإسراع إلى عبادة الصلاة، فروي عن حذيفة رضي الله عنه، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر، صلى»^(٢)، وروي أيضاً عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن الله تعالى أنه قال: «ابن آدم، اركع لي أربع ركعات من أول النهار، أكفك آخره»^(٣).



(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٢٥ / ١٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل برقم

(١٣١٩)، كما أخرجه: أحمد في مسنده: أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث حذيفة بن

اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٢٣٢٩٧). وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٣١٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الضحى، كما أخرجه الطبراني في

معجمه: باب الصاد، القاسم بن عبد الرحمن بن يزيد الشامي مولى معاوية، عن أبي أمامة، برقم

(٧٧٤٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٤٧٥).



المطلب الثاني:

البلاء بمقصد استخراج التوكل

لقد ورد لفظ «التوكل» في سبعين موضعاً من آي الذكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة^(١).

«التوكل» مصدر الفعل الثلاثي وَكَلَّ، ولكن زيد فيه تاء في أوله، وَضَعَفَتْ عَيْنُهُ في وسطه؛ ليصير على وزن تَفَعَّلَ، وهي صيغة الفعل الثلاثي المزيد بحرف: تَوَكَّلَ، يَتَوَكَّلُ، تَوَكُّلاً، فهو متوكلٌ، والمفعول مُتَوَكَّلٌ عليه، وأصل التوكل في اللغة مركب من: «(وَكَأَل) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدلُّ على إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك»^(٢)، والتوكل في اصطلاح المفسرين هو: «التعويل على من يدبر أمره، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه»^(٣). والحاصل أن التوكل هو: عمل قلبي، يستشعر العبد من خلاله شدة حاجته إلى الله في تدبير جميع أموره، وذلك بالاعتماد عليه وحده، وقد يصاحب هذا الافتقار القول باللسان (حسبنا الله ونعم الوكيل)، كما قد يصاحبه دعاء التوكل المعروف بصلاة الاستخارة.

إنَّ القرآن الكريم مملوء بالحديث عن موضوع التوكل، وحثَّ العباد على التحلِّي به، ومن مقاصد البلاء؛ هو إظهار المبتلى عجزه في دفع البلاء الذي ألمَّ به من جهة، ومن جهة ثانية إظهار المبتلى اعتماده وحاجته وافتقاره إلى الله ﷻ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (٧٢٦-٧٢٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٣٦/٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/٨)، (١٥٢-١٥١/٤).



وحده لتدبير أمره، ومن جهة أخرى الإخلاص في إسناد الأمور إلى الله وحده لأنّ تفويضها إلى غير الله ليس من الهدى، ولا يليق مع مقام التوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٢]، ومعنى الوكيل هو: «من يتوكل عليه، فتفوّض الأمور إليه، ليأتي بالخير، ويدفع الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده ﷻ، ولهذا حذّر من اتخاذ وكيل دونه، لأنه لا نافع ولا ضارّ، ولا كافي إلا هو وحده ﷻ، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل»^(١).

كان من دعاء إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، والمعنى: «وإذا سقم جسمي واعتلّ، فهو يُبرئني ويعافيني»^(٢)، ويلاحظ في الآية خلُق الأديب في التخاطب مع الله؛ حيث إنّ إبراهيم ﷺ نسب المرض إلى نفسه، ولم ينسبه إلى ربّه ﷻ، وهذا وجه الدلالة في الآية أنّ الله يتبلي عباده بالمرض، والجراحة، والألم في الجسد؛ لأجل أن يتوكلوا عليه وحده في دفعها؛ لذا ينبغي للمريض أن يتوكل على الله خالق الأسباب، وألّا يتعلّق قلبه بالأسباب، كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلّق القلب بالذي أنزل الداء والدواء، فالذي أنزل المرض قادر على أن يرفعه، لذا قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

هذا وإنّ التوكل على الله تبارك أعلى مقامات التوحيد؛ لما فيه من بؤء العبد بعجزه في مدافعة المضارّ إلا بإذن الله تعالى، قال سعيد بن جبیر: «التوكل على الله جماع الإيمان»^(٣)، ولهذا عدّ التوكل عملاً قلبياً، فهو ليس بقول اللسان، ولا بعمل

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١٢/٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٣٦٣/١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٢/٤).



الجوارح، كما عبّر بذلك ابن القيم في المدارج (١). ولا يكون التوكل كاملاً، إلا بعد بذل الجهد المادّي، والجهد المعنوي في دفع المضارّ، أو تدبير الأمور، والجهد المادّي يعبر عنه باتخاذ الأسباب الماديّة، مثل طلب العلاج لمن ابتلي بالمرض، أو طلب الرزق لمن ابتلي بالفقر، وغير ذلك، أما الجهد المعنوي فيعبر عنه باتخاذ الأسباب المعنوية المكتملة للتوكل، مثل: الدّعاء، والتضرّع إلى الله، وحسن الظنّ به، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللّجء، والرّغبة، والرّهبة إليه، وغير ذلك. ومن أجمل معاني التوكل على الله، والاستعانة به وحده وقت الشدّة؛ موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم في غزوة حمرات الأسد؛ حيث يخبرنا القرآن الكريم أن المشركين توعدوا النبي محمداً ﷺ، وصحبه رضوان الله عليهم؛ بالقتل والأسر والأذى، وخوفهم بكثرة العدد، وشدّة البطش، فلم يكثرثوا لذلك، بل توكلوا على الله، واستعانوا به، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقد صحّ عن ابن عباس ﷺ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ» حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] (٢)، وكذلك موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، في غزوة الأحزاب، حيث يصوّر لنا القرآن الكريم تلك الساعات العصيبة التي عاشها المسلمون وقتذاك، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ وَكُرْمٍ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١]، وقوله: ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ﴾ الآية

[آل عمران: ١٧٣]، برقم (٤٥٦٣).



زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿ فمعناه: «مُحْصُوا، وَحُرِّكُوا بِالْفِتْنَةِ تَحْرِيكًا شَدِيدًا، وَابْتَلُوا وَفْتِنُوا»^(١)، وفي هذا الجَوُّ العَصِيب، يخبرنا الله تعالى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بوعْدِ اللَّهِ، وَبِنَصْرِ رِسَالَتِهِ، تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، فَبَدَّلُوا النَّفْسَ وَالتَّنْفِيسَ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ الدِّينِ فَقَالَ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وعن ابن رومان قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ قال: «صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ، وَتَسْلِيمًا لِلْقَضَاءِ، وَتَصَدِيقًا بِتَحْقِيقِ مَا كَانَ اللَّهُ وَعْدَهُمْ وَرَسُولُهُ»^(٢)، وقد صحَّحَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قوله: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(٣). ومن التَّطْبِيقَاتِ الْعَمَلِيَّةِ لِلتَّوَكُّلِ مَا سَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ فِي دَعَاءِ التَّوَكُّلِ الْمَعْرُوفِ بِصَلَاةِ الْاسْتِخَارَةِ، وَهُمَا رَكَعَتَانِ يَصَلِّيهِمَا الْمُسْلِمُ إِذَا احْتَارَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَيُّهُمَا يَخْتَارُ، دَاعِيًا اللَّهُ بِدَعَاءِ مَخْصُوصٍ أَنْ يُوَفِّقَهُ إِلَى خَيْرِ الْأَمْرَيْنِ، وَصَلَاةِ الْاسْتِخَارَةِ هِيَ بِمَثَابَةِ التَّوَكُّلِ الْعَمَلِيِّ عَلَى اللَّهِ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُنَا الْاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: «إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدِرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/٢٢٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة

والزلزلة، برقم (٢٩٣٣).



أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به. ويسمي حاجته»^(١). ومن وصايا رسول الله ﷺ في أدعية الصُّبْحِ والمساء، ما رواه عثمان بن عبدالله بن موهَّب ﷺ قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنحك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقولي إذا أصبحت، وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه^(٢).

المطلب الثالث:

البلاء بمقصد استخراج الدعاء

لقد ورد لفظ «الدُّعاء» في مائتين واثنى عشر موضعًا من آي الذكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة^(٣).

و«الدُّعاء» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المعتلُّ النَّاقِص: دعا، يدْعُو، ادْعُ، دُعَاءٌ، ودَعْوَةٌ، ودَعْوَى، فهو دَاعٍ، والمفعول مَدْعُوٌّ، وأصل الدُّعاء في اللُّغة مركب من: «(دَعَوَ) الدَّالُّ والعَيْنُ والحَرْفُ المعتلُّ أصل واحد، وهو أن تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء»^(٤)، وفي اللُّسان: «الدُّعاء:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، وأما حديث رافع بن خديج، برقم (٢٠٠٠)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب الخاء، من اسمه خالد، برقم

(٤٤٤)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٢٧).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (ص ٢٥٧-٢٦٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/١٣٦).



الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، دعاه دعاء ودعوى؛ ويقال: دعوت الله له بخير وعليه بشر، ومنه الحديث: «فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»^(١)، أي: تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، ومعنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه: فضرب منها توحيده والثناء عليه، كقولك: يا الله، لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناء والتوحيد، ومثله قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ فهذا ضرب من الدعاء، والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه تعالى، كقولك: اللهم اغفر لنا، والضرب الثالث مسألة الحظ من الدنيا، كقولك: اللهم ارزقني مالا وولدا، وإنما سمي هذا جميعه دعاءً لأن الإنسان يُصدّر في هذه الأشياء بقوله يا الله، يا رب، يا رحمن؛ فلذلك سمي دعاءً^(٢)، أمّا الدعاء في اصطلاح المفسرين فهو: «النداء لطلب مهم، واستعمل مجازاً في العبادة؛ لاشتغالها على الدعاء، والطلب بالقول، أو بلسان الحال، كما في الرُكوع والسُّجود»^(٣)، ويرى آخر أن الدعاء: «يطلق على سؤال العبد من الله حاجته، وهو ظاهر معناه في اللغة، ويطلق على عبادة الله على طريق الكناية؛ لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بثناء تعظيمه، والتضرع إليه، وهذا إطلاق أقل

(١) الحديثه بطوله عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من ورائهم»، أخرجه الترمذي في سننه: أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، برقم (٢٦٥٨)، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المناسك، باب الخطبة، يوم النحر برقم (٣٠٥٦)، قال الألباني في صحيح وضعيف الترمذي: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٤/٢٥٧-٢٦١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/١٨٢).



شيوعاً من الأوَّل»^(١)، مما سبق من تعريفات للدُّعاء في اللُّغة والاصطلاح يتبيَّن لنا أنَّه يدور حول النَّداء لطلب مُهمٍّ، وسؤال العبد من الله تعالى حاجته.

ومن حالات الدُّعاء التي تَظهر على الدَّاعي في حال الدُّعاء، مُصَدَّرًا بعبارات الشَّناء على الله تعالى:

• توحيد الله، والشَّناء عليه، كقولك: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»^(٢) بعد الرَّفْع من الرُّكُوع.

• سؤال الله العفو، والرَّحمة، والرِّزق، وما يقرب منه تعالى، كقولك: «اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني وارزقني»^(٣) بين السَّجْدَتَيْنِ.

• التَضَرُّع إلى الله، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّجْوَاء، والرَّغْبَة والرَّهْبَة إليه؛ عند النَّوْازِل العظام، وذلك على هيئة استقبال القبلة، ومدِّ اليدين، ورفع الصوت؛ إظهاراً للمسكنة، والحاجة إلى الله، كقول نبيِّ الله مُحَمَّد ﷺ لَمَّا كان يوم بدر، مادًّا يديه، وصوته، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»^(٤).

• تذكُّر الله، ومناجاته في جميع الأحوال، والهيئات، كدعاء رسول الله ﷺ يوم

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لرشيد رضا (١٨٢/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب: فضل اللهم ربنا لك الحمد، برقم (٧٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣).



عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(١).

والحاصل أن الدعاء هو: توجه العبد إلى الله تعالى بتوحيده، والشأن عليه بما هو أهله، وسؤاله العفو والرحمة، والاستعانة به في قضاء الحوائج، والتضرع إليه لكشف البلايا، والظفر على الأعداء، وتذكّره في جميع الأحوال، بذكره ومناجاته، وقراءة القرآن الكريم، والفرع إلى الصلاة.

والقرآن الكريم مملوء بالحديث عن أنواع الدعاء، ومن ذلك قوله تعالى -أمراً عباده بدعائه جهراً وسراً وخوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه-: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، والتضرع: إظهار التذلل بهيئة خاصة، ويطلق التضرع على الجهر بالدعاء؛ لأن الجهر من هيئة التضرع، لأنه تذلل جهري^(٢)، وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦]، بيان لأغراض الدعاء، وأنه على نوعين، هما: الخوف من غضب الله وعقابه، والطمع في رضاه وثوابه، يقول ابن عاشور: «والدعاء لأجل الخوف نحو الدعاء بالمغفرة، والدعاء لأجل الطمع نحو الدعاء بالتوفيق وبالرحمة»^(٣)، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال لأوليائه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِّي يَدْعُونَ سَيِّدًا لَوْلَا جَهَنَّمُ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وعن النعمان بن

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٨٥)، كما أخرجه مالك في موطنه: كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، برقم (٧٢٦). وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم (٣٥٨٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٧١).

(٣) المرجع السابق، (٨/ ١٧٦).



بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وقرأ الآية ^(١)، وقد ابتلي الله صلى الله عليه وسلم عدداً من أنبيائه ورسله؛ حتى يستخرج منهم الدُّعَاءَ، والتضرُّع والالتجاء إليه وحده في قضاء الحوائج، فهذا نبي الله نوح عليه السلام، نجده يتضرَّع إلى ربه؛ طالباً منه العون، والغلبة على قومه، بعد أن دعاهم زمناً طويلاً إلى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، مع صبره على إيدائهم وبطشهم، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَتَّصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، وقال عن مناجاة نبيِّ الله أيوب عليه السلام الذي اشتدَّ بلاؤه مدةً طويلة؛ فتوسَّل إلى الله بالشكوى عن حاله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَنَّى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنَّى أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقد بيَّن الله تعالى ما كان يردُّه يونس عليه السلام، لَمَّا ابْتَلِي بِالتَّقَامِ الْحَوْتِ لَهُ، فقال: ﴿وَدَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهذا نبي الله موسى عليه السلام، نجده في وقت المحنة يلجأ إلى ربه؛ طالباً منه النَّصْرَةَ من جبروت فرعون، وشيعته، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان: ٢٢]، وقد حكى سبحانه عن أصحاب الكهف حين التجؤوا إلى الكهف؛ فراراً بدينهم، سائلين الله تعالى أن يتغمدهم برحمته؛ ليؤمنهم من الأعداء: ﴿إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رِسَدًا﴾ [الكهف: ١٠]. هذا ووجه الدلالة في الآيات؛ أن الله يبتلي عباده بصنوف الابتلاءات والمصائب؛ ليظهر منهم التوجُّه إلى الله وحده بالدُّعَاءِ في قضاء حوائجهم، وكفائتهم شرور الأعداء، وشدة بطشهم. ولهذا فقد بيَّن الله تعالى أنَّ الغاية من أخذ العباد بالبأساء والضراء؛ حتى يرجوه ويتضرعوا إليه بالدُّعَاءِ فقال:

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة البقرة، برقم (٢٩٦٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٢٩٦٩). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، قال ابن جرير رحمه الله: «فعلنا ذلك بهم ليتضرَّعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفردوا رغبتهم إليّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطَّاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة»^(١)، كما بيَّن سبحانه، أنَّ بعض الناس يتضرعون إليه بالدُّعاء؛ ليكشف عنهم البلاء، ثم إذا رفع عنهم البلاء عادوا إلى ما كانوا عليه من المعاصي، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ أُجِيتْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَجْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣]، ونظيره: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤]، ونظيره: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّتَّبِعِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

ويفهم من مجموع هذه الآيات أنَّ الغايات والحكم من أخذ الناس بالفقر والضيق في العيش، وبالأمرض والأسقام والآلام في البدن؛ لأجل استخراج الصبر لله وحده على المضارِّ، وإظهار غاية التوجُّه والافتقار إلى الله تعالى في تدبير الأمور، وقضاء الحوائج، وكشف الكربات، والاعتراف بقدرته وقهره وسلطانه، وأنَّه لا مدبِّر لأمر الله إلا هو سبحانه، وأنَّه لا أحد يستطيع أن يدفع هذا الشرَّ إلا الله؛ إذ لا مُعْطِي لما منع، وأنَّ الغايات والحكم من التفضُّل على النَّاس بالغنَى، وسعة العيش، وبالصَّحَّة، والعافية، والقوَّة في البدن؛ لأجل استخراج الشُّكر لله وحده على المسارِّ، وإظهار توحيد الله بحمده والثناء عليه في تدبير الأمور، وتفريج الهموم والغموم، والاعتراف بنعمته ومنته وفضله، وأنَّه لا يستطيع أحد أن يردَّ هذا الخير إلا الله؛ إذ لا مانع لِمَا أعطى، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فمن تمام نعمة الله على عباده

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١ / ٣٥٥).



المؤمنين، أن ينزل بهم الشدة، والضَّرَّ، وما يُلجئهم إلى توحيدهِ؛ فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونهُ، ولا يرجون أحدًا سواه، وتتعلق قلوبهم به، لا بغيره؛ فيحصل لهم من التوكل عليه، والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان، وذوق طعمه، والبراءة من الشرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف»^(١).

ومن المواقف العملية الماثورة عن النَّبِيِّ ﷺ لدفع البلاء فيما صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغنتي البارحة. قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خلق، لم تضرك»^(٢)، وفي رواية أخرى عن خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّةِ، أنها سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إذا نزل أحدكم منزلًا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خلق، فَإِنَّه لا يضرُّه شيء حتى يرتحل منه»^(٣). ورُوي عن أبان بن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كلِّ يوم ومساء كلِّ ليلة: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السَّمِيعُ العَلِيمُ ثلاث مرات، فيضرُّه شيء» وكان أبان، قد أصابه طَرْفُ فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: «ما تنظر؟ أما إِنَّ الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ؛ لِيُضَيِّبَ اللهُ عَلَيَّ قَدْرَهُ»^(٤)، ومن

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٥/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٩).

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٧٠٨).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم (٣٣٨٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٣٨٨). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا



الأذكار التي تقي من السوء وتدفع الضرر بإذن الله، ما رواه عبد الله بن حبيب عن أبيه، قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلّي لنا، قال: فأدركته، فقال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، قال: «قل»، فقلت: ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرّات، تكفيك من كلّ شيء»^(١). وفي الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»^(٢).

فالحاصل أنّ الأدعية، والأذكار السابقة، تحفظ المسلم من الضرر، والأذى، بجميع أنواعه، بإذن الله تعالى، ولكن ليس على وجه اللزوم، فمن أصابه من البلاء مع محافظته على هذه الأذكار؛ فذلك بقدر الله تعالى، وله سبحانه الحكمة البالغة في أمره وقدره.



= أمسى، برقم (٣٨٦٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسمّ بابه، برقم (٣٥٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٥٧٥)، كما أخرجه عبد بن حميد في متخبه: عبد الله بن حبيب، برقم (٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم (٢٧٣٠).



المطلب الرابع:

البلاء بمقصد استخراج الصبر

ورد لفظ «الصَّبْر» في مائة وثلاثة مواضع من آي الذكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة^(١).

«الصَّبْر» في اللُّغة: مصدر الفعل الثلاثي: صَبَرَ، يَصْبِرُ، صَبْرًا، فهو صابر، والمفعول مصبور، وأصل الصَّبْر مركَّب من: «(صَبَرَ) الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة، فالأول: الصَّبْر، وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي: حبستها، والمصبورة المحبوسة على الموت، ومن الباب: الصبير، هو الكفيل، وإنما سُمي بذلك؛ لأنه يصبر على الغرم، يقال: صبرت نفسي به أَصْبِرُ صَبْرًا، إذا كفلت به، فأنا به صبير، وصبرت الإنسان، إذا حلَّفته بالله جهد القسم»^(٢)، وجاء في اللسان: «صَبْرَهُ عن الشيء يَصْبِرُهُ صَبْرًا، حبسه؛ والصَّبْر: نقيض الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صَبْرًا، فهو صابِرٌ وصَبَّارٌ وصَبِيرٌ وصَبُورٌ، وصبرته أنا: حَبَسْتُهُ، والتصَبُّر: تكَلُّفُ الصَّبْرِ؛ وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]؛ معناه: وتواصوا بالصَّبْر على طاعة الله، والصَّبْر على الدُّخول في معاصيه، وقوله ﷺ: ﴿أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ أي: اصبروا واثبتوا على دينكم، وصابروا أي: صابروا أعداءكم في الجهاد، وقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؛ أي: بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان، وشهر الصَّبْر: هو شهر رمضان، وأصل

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٩٩-٤٠١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٢٩).



الصَّبْرُ الحَبْسُ، وسمي الصوم صبراً لِمَا فِيهِ مِنْ حَبْسِ النَّفْسِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالتَّكَاحِ^(١)، وفي أسماء الله تعالى الحسنى: الصَّبُورُ، وهو: «الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصَّبُورِ، كما يأمنها في صفة الحليم»^(٢)، والصَّبْرُ في اصطلاح المفسرين هو: «الإمساك في ضيق، وحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع»^(٣)، وعبر عنه آخر بأنه: «ثبات النفس، وتحملها المشاق والآلام ونحوها»^(٤). والحاصل أن الصَّبْرَ هو: تحمُّلُ المبتلى التكاليف التشريعية الشاقة من الأوامر والنواهي والضيق، أو الصَّبْرَ على الدنيا.

لقد أخبر الله ﷻ عَمَّا مَنَّ بِهِ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ؛ إِذْ جَعَلَ مِنْهُمْ رُؤَسَاءَ فِي الْخَيْرِ، وَقَدَوَاتٍ يُقْتَدَى بِهِمْ؛ لِأَجْلِ صَبْرِهِمْ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ؛ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَإِقَانِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ، وَتَصَدِيقِهِمْ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٤]؛ وَقَوْلُهُ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ فَمَعْنَاهُ: «صَبْرُهُمْ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ، وَمُقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ، أَوْ صَبْرُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا»^(٥)، وَفِي الْآيَةِ: «تَعْرِيفُ بِالْبَشَارَةِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ بِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ أُمَّةً لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَهَدَاةً لِلْمُسْلِمِينَ، إِذَا صَبَرُوا عَلَى مَا لِحَقَّهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ مِنْ أَدْوَى قَوْمِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى مَشَاقِّ التَّكْلِيفِ، وَمَعَادَاةِ أَهْلِهِمْ، وَقَوْمِهِمْ، وَظَلْمِهِمْ إِيَّاهُمْ»^(٦)،

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/٤٣٨-٤٣٩).

(٢) المرجع السابق، (٤/٤٣٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/٤٧٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/٢٩٩).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٧/٨٧).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/٢٣٧).



وقد دعا القرآن الكريم إلى الثبات والصبر لوجه الله تعالى فقال: ﴿وَلِيَّتِكَ فَأَصْبِرْ﴾ [المدثر: 7] بمعنى: «اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك ﷻ» (١)، والآية: «تثبيت للنبي ﷺ على تحمُّل ما يلقاه من أذى المشركين، وعلى مشاقِّ الدَّعوة» (٢)، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصبر على طاعة الله، ورسوله، فيما أمر به من جهاد الأعداء، ثم نهاهم عن التنازع والاختلاف؛ لأنَّه يبعث على الفشل والجنون أمام الأعداء فقال: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٤٦]، وفي الآية إيحاء إلى: «إعانة الله لمن صبر؛ امتثالاً لأمره، وهذا مُشاهد في تصرُّفات الحياة كُلِّها» (٣)، وقد أمر الله تعالى بالمواظبة على العبادة، وشدة الصبر عليها فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، والاصطبار هو: «شدة الصبر على الأمر الشاقِّ» (٤)، وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: «اثبت للعبادة، لأنَّ العبادة مراتب كثيرة، من مجاهدة النفس، وقد يغلب بعضها بعض النفوس؛ فتستطيع الصبر على بعض العبادات دون بعض» (٥)؛ لقد أقسم تعالى بأنَّه مبتل عباده المسلمين في أموالهم، وأنفسهم، وسماع ما يكرهون من أهل الكتاب فيقول: ﴿لَتُجَابِلُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فحثَّهم سبحانه في الآية على ملازمة الصبر، والتقوى عند مواجهة تحديات البلاء، وأنَّ ذلك: ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: «مما أمر

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٦٤/٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩٩/٢٩).

(٣) المرجع السابق (٣٢/١٠).

(٤) المرجع السابق (١٤٢/١٦).

(٥) المرجع السابق (١٤٢/١٦).



[الله] به وبالغ فيه، والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه^(١)، والآية دلالة واضحة على أن من مقاصد البلاء؛ استخراج الصبر، وأنه لا يمكن للعباد أن يستمرروا على أداء الطاعات إذا لم يستعينوا بالصبر؛ لأن الصبر حسب النفس عن الشكوى، وثباتها، وتحملها مشاق الطاعات والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، كما أقسم أيضًا بأنه سيبتلي عباده المسلمين بالأمر بالجهاد، ونحوه من التكاليف التشريعية الشاقة من الأوامر والنواهي؛ حتى يستخرج منهم الصبر، ويظهر حالهم للناس؛ فيتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والصادق من المنافق، والمجاهد من المتخلف فقال: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وحرف الغاية: ﴿حَتَّى﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ﴾، والمعنى: «أن الله تعالى يبلو الناس؛ أي: يختبرهم بالتكاليف، كبذل الأنفس، والأموال في الجهاد؛ ليميز بذلك صادقهم من كاذبهم، ومؤمنهم من كافرهم»^(٢)، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وحسبك بفضيلة الصبر أن الله جعله سببًا للنجاح، والظفر على ما يبلو الله به عباده من أنواع الابتلاءات والمصائب، فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فإنه يعني: «وتواصوا بالصبر عن المعاصي، وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده»^(٣)؛ ويستشف من هذه الآيات وما جاء موضحة في آيات أخر؛ أن الصبر شرط أساسي لتحقيق النصر على أنواع الابتلاءات والمصائب، ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «... واعلم أن النصر مع

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٢/ ٥٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٣٨٤).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٤/ ٧٩٤).



الصَّبْرُ...»^(١). ويلاحظ في الحديث أن النبي ﷺ قرن بين النصر والصبر؛ للدلالة على أنه لا نصر على أنواع البلايا والمصائب إلا بالصبر؛ لأنه سبب في النجاح والانتصار، والحديث قاعدة ثابتة مطردة المعنى، لا تتغير ولا تتبدل؛ حيث يدرکها العقلاء بعقولهم، والمجربون بتجاربهم. ولقد قيل: «الشجاعة صبر ساعة»^(٢)، وقال زفر بن الحارث الكلابي، يعتذر عن انتصار أعدائهم عليهم:

«سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبراً»^(٣)

ويقول تعالى -مخبراً عن طاعة أصحاب طالوت الصّادقين؛ لقتال جالوت وأصحابه الكافرين، مُعتبرين أن النصر ليس من كثرة عدد، ولا من عدد، وإنما بالصبر على لأواء الجهاد في سبيل الله، فقال: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَرِهْنَ فِتَّةً قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وكان من دعائهم في تلك المعركة الحاسمة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقد استفاضت السُّنَّة النبوية بالأحاديث التي تحثُّ على الصبر، وتأمر به، فمنها ما رواه صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر، فكان خيراً له»^(٤)، وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه الحاكم في مستدرکه: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، برقم (٦٣٠٤)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب العين، عبید بن أبي مليكة، عن ابن عباس، برقم (١١٢٤٣)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٣٨٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/٤٧٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (٢/٢٤٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩).



أتى على امرأة تبكي على صبيِّ لها، فقال لها: «اتقي الله واصبري»، فقالت: وما تُبالي بمصيبتي. فلما ذهب، قيل لها: إنَّه رسول الله ﷺ. فأخذها مثل الموت، فأنت باه، فلم تجد على باه بوايين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: «إنما الصَّبر عند أوَّل صدمة»، أو قال: «عند أوَّل الصدمة»^(١)، وروى عبدالله ﷺ، أنه: لَمَّا كان يوم حُنين، أثار النبي ﷺ أناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب، فأثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله. فقلت: والله لأخبرنَّ النبي ﷺ. فأتيته، فأخبرته، فقال: «فَمَنْ يعدل إذا لم يعدلِ الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر»^(٢).



المطلب الخامس:

البلاء بمقصد استخراج الرضا

وردت مادة «رَضِي» في ثلاثة وسبعين موضعًا من آي الذكر الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة^(٣).

و«الرِّضَا» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي معتل الآخر: رَضِيَ، يَرْضَى، ارْضَ، رِضًا وإِرضاءً، فهو رَاضٍ، والمفعول مَرْضِيٌّ، ومادة (رضي): «الرَّاء والضاد والحرف المعتلُّ أصل واحد يدلُّ على خلاف السُّخْط»^(٤)؛ وفي اللِّسان: «الرِّضَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب في الصَّبر على المصيبة عند أوَّل الصدمة، برقم (٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (٣١٥٠).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (٣٢١-٣٢٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٠٢/٢).



ضُدُّ السُّخْطِ، وقوله ﷺ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ تأويله أن الله تعالى رضي عنهم أفعالهم، ورضوا عنه ما جازاهم به، وأرضاه: أعطاه ما يرضى به، وترضاه: طلب رضاه، وارتضاه: رآه له أهلاً، وترضيته؛ أي: أرضيته بعد جهد، واسترضيته؛ فأرضاني، ورجل رضى: قُنعانٌ مرضيٌّ^(١)، وفي اصطلاح المفسرين: «رضا العبد عن الله: ألا يكره ما يجري به قضاءؤه، ورضا الله عن العبد: أن يراه مؤتمراً لأمره، ومنتھياً عن نهيهِ»^(٢). ويقول آخر: «وأصل الرضا أنه ضدُّ الغضب، فهو المحبَّة وأثرها من الإكرام والإحسان، فرضا الله مستعمل في إكرامه وإحسانه مثل محبته في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، ورضا الخلق عن الله هو محبته وحصول ما أملوه منه بحيث لا يبقى في نفوسهم متطع»^(٣).

والحاصل أن الرضا هو: التسليم الكلي؛ لما قسمه الله تعالى، وقدره على عباده، من غير امتعاض من قسمته، ولا اعتراض على أقداره، والتسليم الكلي؛ لأحكامه الشرعية، من غير شك في حكمها، ولا منازعة في أحكامها، والانقياد الكلي لرسوله ﷺ، من غير تقدُّم على هديهِ، ولا افتئات على سنته.

لقد أخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين أنهم راضون كل الرضا بما ساقَت إليهم أقداره، من همٍّ، وغمٍّ، وحزنٍ، وغيرها من مصائب الدنيا؛ لأنهم يعلمون أنه لا يصيبهم شيء من المصائب إلا وهو مقدر عند الله في كتاب، فقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، والآية تعليم للمسلمين بأن يرضوا بما قدر الله لهم وقضاه؛ لأن الرضا مزيل للبلاء، ومؤذن بالفرج، بينما السخط مطيل للبلاء، ومجلب للغمَّة، وما تضمنته هذه الآية الكريمة

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٤/٣٢٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/٣٥٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/١١٩).



أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعني: «يهد قلبه لليقين؛ فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»^(١)، وعن علقمة رضي الله عنه قال: «هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند الله؛ فيسلم لها ويرضى»^(٢)، والآيتان دللتا دلالة واضحة على أن كل ما أصاب الناس من مصائب في الأرض، كالفقح والجذب، وفي الأنفس، كالأمراض والأوصاب، إنما هو بقضاء الله وقدره، وإذا أيقن المبتلى أن البلاء من عند الله؛ فإنه سيرضى حتمًا عن كل شيء أصابه في حياته، لأنه يعلم أن الغرض من جميع البلاء هو إظهار المبتلى تسليمه التام، ورضاه الكامل عن كل شيء أصابه في حياته لوجه الله تعالى.

هذا ويُستفاد من الآيتين أن كل ما يصاب به الناس من المصائب في الأرض، والأنفس، والأموال، واقع لا محالة، وأنها مقدرة قبل وقوعها، وأن من بعض حكمها: استخراج الرضا، أو السخط على المصائب، وقد روى سعد بن سنان رضي الله عنه، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٣)، ولهذا فإنه ينبغي على المؤمنين الاستعداد لأقدار الله، حلوها ومرها، ومقابلتها بالرضا في الاعتقاد والقول والعمل، وإن كان خلاف هواهم، فإنها مثبتة في كتاب الله، ولهذا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٣/٤٢١).

(٢) المرجع السابق (٢٣/٤٢١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٩٦)، كما

أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١)، وحسنه

الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم (٢٣٩٦).



قال النبي ﷺ: «إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»^(١)، وقد قال تعالى ذكره: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] يقول ابن عاشور ﷺ: «إن حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفساد، ولا تعتمد ملاءمة الطبع ومانفرتة؛ إذ يكره الطبع شيئاً وفيه نفعه، وقد يحب شيئاً وفيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات... وشأن جمهور الناس الغفلة عن العاقبة والغاية، أو جهلها، فكانت الشرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرض الناس على الأفعال، والتروك، باعتبار الغايات، والعواقب»^(٢)؛ ذلك وقد بشر الله تعالى عباده المؤمنين بالفوز العظيم؛ إذا استسلموا لجميع أقدار الله، وأحكامه الشرعية، من الأوامر والنواهي، فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فمعناه: «رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه، من العمل بطاعته، واجتناب معاصيه»^(٣)، وقوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فمعناه: «ورضوا هم عن الله تعالى ذكره في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه»^(٤). وقد عاب الله تعالى على المنافقين ضجرهم من تقسيم رسول الله ﷺ مصارف الزكاة وتوزيعها على مستحقيها بالعدل، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْمُرُكَ فِي الْوَدَعَاتِ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض

المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٣٢١-٣٢٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) المرجع السابق (١١/ ٢٤٥).



فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴿ [التوبة: ٥٨] هذا وقد أرشد الله تعالى المنافقين إلى ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَاءَ أُنْهَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿ [التوبة: ٥٩] وفي الآية: «إخبار بأن الرضا بفعل الله؛ يوجب المزيد من الخير جزاء للراضي على فعله»^(١)، وأن السخط بفعل الله؛ يوجب المزيد من الشرور والمصائب جزاء للساخط على فعله. ويؤيد هذا ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»^(٢). ومن مواقف رسول الله ﷺ في الرضا ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظمرا^(٣) لإبراهيم رضي الله عنه، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله، وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(٤)، ومن أعظم

(١) أحكام القرآن، للرازي (٤/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٣٠٥). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٨٠٩٦).

(٣) أي مرضعا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطف على غير ولدها، فقبل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبًا. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٣/ ١٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، برقم (١٣٠٣).



المواقف التي خلدها القرآن الكريم: حادثة الإفك، في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين؛ فصبرت على غمها؛ طلباً لمرضاة الله تعالى، وكذلك صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون رضي الله عنهم على ما صبرت عليه؛ حتى أنزل الله براءتها في عشر آيات تتلى على مسامع الناس إلى يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مَتَّهَرٌ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقوله تعالى: ﴿لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم﴾؛ أي: «لرجحان النفع والخير على جانب الشر»^(١)، ومعنى كونه خيراً لهم: «أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبيئاً ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسليته له، وتنزيهه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به، فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها»^(٢)، هذا وإن صبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وثباتها في هذه المحنة العظيمة - طلباً لمرضاة الله تعالى - لدلالة واضحة على فضلها، وقد عبرت بنفسها عن هذا حين قالت: «والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، وكشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها»^(٣). وقد كان من دعائه رضي الله عنه كما نقل عنه سماعاً عمّار بن ياسر رضي الله عنه: «وأسألك الرضا بعد

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/١٩٨).

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٣/٢١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿أُولَٰئِكَ سَمِعُوا هَذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا

هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] إلى قوله: ﴿أَلَكَذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، برقم ٤٧٥٠، ج ٦، ص ١٠١.

وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠).



القضاء»^(١)، وكان من ذكره ﷺ حين يسمع تشهد المؤذن كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، عُفِر له ذنبه»^(٢).



المطلب السادس:

البلاء بمقصد استخراج الشكر

جاء لفظ «الشُّكر» في خمسة وسبعين موضعًا من آي الذكر الحكيم، بعدة صيغ، واشتقاقات^(٣).

الشُّكر في اللغة مصدر الفعل الثلاثي: شَكَرَ، يَشْكُرُ، اشْكُرْ، شَكَرًا، فهو شاكر، والمفعول مشكور، وأصل كلمة الشُّكر مركبة من: «الشين والكاف والراء، أصول أربعة متباينة، بعيدة القياس. فالأول: الشُّكر: الثناء على الإنسان بمعروف يُؤليكَه»^(٤)، وفي اللسان: «الشُّكر: عرفان الإحسان ونشره، والشُّكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، وشكره لعباده: مغفرته لهم. والشُّكور: من أبنية المبالغة.

(١) أخرجه الحاكم في مستدرکه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسييح والذكر، برقم (١٩٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٩٧١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، برقم (٣٨٦).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (٣٨٥-٣٨٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٠٧/٣).



وأما الشُّكُور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وَظَّفَ عليه من عبادته. وقال الله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والشُّكْر: مثل الحمد، إلا أن الحمد أعمُّ منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته. والشُّكْر: مقابلة النُّعْمَة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مؤليها^(١)، إذن فالشُّكْر لغة يدور حول الثناء؛ لذا يقول ابن منظور: «والشُّكْر: الثناء على المحسن بما أولاهُ من المعروف»^(٢)، ومن أسماء الله الحسنى الشُّكُور، ومعناه: «هو الذي يُجَازِي بيسير الطَّاعات؛ كثير الدَّرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود»^(٣)، وفي اصطلاح المفسِّرين: الشُّكْر لله هو الاستخداء لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه^(٤)، والشُّكْر للرجل هو الثناء عليه بأفعاله المحمودة^(٥)، ويقول آخر: «الشُّكْر تصوُّر النُّعْمَة وإظهارها، وهو ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النُّعْمَة، وشكر اللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النُّعْمَة بقدر استحقاقه»^(٦)، ويقول غيره: «الشُّكْر الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه»^(٧)، ويرى آخر أن: «شكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحقِّ سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلا

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/٤٢٣-٤٢٤).

(٢) المرجع السابق (٤/٤٢٤).

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي (١/١٠٥).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/١٣٥).

(٥) المرجع السابق (٤/٢١٣).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/٤٦١).

(٧) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/١٢٣).



أنَّ شُكْرَ الْعَبْدِ نَطَقَ بِاللِّسَانِ، وَإِقْرَارَ بِالْقَلْبِ بِإِنْعَامِ الرَّبِّ، مَعَ الطَّاعَاتِ»^(١)، وَعَرَفَهُ غَيْرُهُ بِقَوْلِهِ: «شُكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ يَنْحَصِرُ مَعْنَاهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ جَمِيعَ نِعْمِهِ فِيمَا يَرْضِيهِ تَعَالَى، وَأَمَّا شُكْرُ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ فَهُوَ أَنْ يَثْبِيهِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ مِنْ عَمَلِهِ الْقَلِيلِ»^(٢). والحاصل أن الشكر يأتي بمعنيين، الأوَّل: شكر العبد لربه؛ باعترافه بحق المنعم، والثناء عليه، والعمل بطاعته، والآخر: شكر الرَّبِّ لِعَبْدِهِ؛ بإثابته؛ إذا اعترف العبد بالنعمة، وأثنى على باريها، وعمل بطاعته.

لقد أخبر تعالى ذكره أنه في غنى عن تعذيب عباده إن هم تابوا إليه وأطاعوه في أمره ونهيه، وأنه إنما يعذبهم بذنوبهم ومخالفتهم أمره ونهيه فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، يقول الزمخشري رحمته: «فإن قمتم بشكر نعمته وأمتتم به فقد أبعدم عن أنفسكم استحقاق العذاب»^(٣)، قال قتادة رحمته: «إنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعْذِبُ شَاكِرًا وَلَا مُؤْمِنًا»^(٤)، هذا وفي الآية دلالة واضحة على أن الشُّكْرَ لله طريق إلى معرفة الله والإيمان به، وهو أمان -أي: الشُّكْرَ لله- من نزول البلايا والمصائب، ولهذا أخبر تعالى عن قوم لوط كيف أخذهم بالعذاب الشَّدِيدِ؛ بسبب مخالفتهم أمر الله، غير أهل لوط الذين شكروا الله فصدَّقوا لوطاً واتبعوه على دينه، فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: ٣٤-٣٥]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ فمعناه: «كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/ ١٧٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٥٣٤).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٥٨٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩/ ٣٤٣).



ونهبنا من جميع خلقنا»^(١). وقد امتنَّ اللهُ تعالى على بني اسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب، وذلك لأجل استخراج شكرهم على المسارِّ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦]، وقد بين تعالى أن الشُّكر يُربي النعم، والكفر يزيلها، إلا ما كان منها على وجه الاستدراج، فقال في شكر النعمة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وضرب مثلاً بأهل القرى الذين كفروا بأنعم الله التي أنعم بها عليهم، فقال في قرية مكة التي سكنها أهل الشُّرك بالله، والتي كانت آمنة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَّاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وأخبر الله تعالى عن قوم سبأ الذين أعرضوا عن شكر المنعم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشِئٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِیْنَ كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٥-١٧]، ووجه الدلالة من الآيات: «النحل» و«سبأ»؛ أن الله ﷻ يتبلي عباده بالنعم والخيرات؛ لأجل استخراج شكرهم على المسارِّ، وأنهم إن لم يقابلوا بلاء الله الحسن بالشُّكر والطاعة؛ فإن مآلهم مآل تلك القرى التي هانت على الله غاية الهوان، وحلَّ عليها سخط الله، وغضبه، بعد جحود أهلها لكلِّ نعم الله وعدم شكره، وقد أمر الله تعالى آل داود ﷺ بعد امتنانه عليهم بأصناف من النعم، وألوان من المنن؛ بأن يشكروه حقَّ الشُّكر على نِعْمته التي سخرها لهم ما لم يسخر مثلها لغيرهم، فقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]،

(١) المرجع السابق (٢٢/٥٩٦).



والمعنى: «اشكروا ربكم بطاعتكم إياه يا آل داود؛ على ما أنعم عليكم من النعم [في الدين والدنيا]»^(١)، والآية دلالة واضحة على أن شكر النعم بالحال والمقال؛ مؤذن بحفظ النعم، ورفع النقم، وقد كان آل داود قائلين بشكر الله قولاً وعملاً، ففي الصحيحين أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخبره: أن رسول الله ﷺ قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ﷺ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً»^(٢).

وقد ابتهل سليمان ﷺ إلى ربه؛ ليوفقه على شكر نعمه التي أنعمها عليه وعلى والديه؛ لما في الشكر من الثواب، ومن ازدياد النعم، ومن اندثار النقم فقال: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، كما استشعر سليمان ﷺ فضل الله عليه بالنبوة، والملك، والعلم، وتسخير الجن، والإنس، والطير له، وأن ذلك بلاء من ربه عظيم؛ ليرى منه أيشكر على نعمائه، أم أيكفر، فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. يقول النسفي رحمته الله في تعليقه على قول سليمان ﷺ: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ﴾: «فالشكر قيد للنعمة الموجودة، وصيد للنعمة المفقودة»^(٣). ويخبر تعالى ذكره بأنه اختبر عباده بأن فاوت بينهم في الأرزاق، والقوة، والجاه، والأخلاق، وغير ذلك؛ ليستخرج منهم الشكر على المسار والصبور على المضار، فقال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٣٦٨/٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم (١١٣١)، وأخرجه

مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم

يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، برقم (١١٥٩).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٦٠٧/٢).



لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءٍ أَنْتُمْ كَرِيمٌ ﴿الأنعام: ١٦٥﴾ وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءٍ أَنْتُمْ كَرِيمٌ﴾ أي: «ليختبر الغني في غناه، ويسأله عن شكره، والفقير في فقره، ويسأله عن صبره»^(١)، وقد اختبر الله عباده المؤمنين بنعمة النصر والغنيمة يوم بدر؛ لإظهار الشكر منهم؛ فيزدادوا شكرًا فقال: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] ويعني بالبلاء الحسن: «النَّعْمَةُ الْحَسَنَةُ الْجَمِيلَةُ»^(٢).

ومن التطبيقات النبوية للشكر على النعمة الحسنة الجميلة ما صح عن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا»، فلما كثر لحمه صلى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع^(٣)، ومن دعائه المأثور رضي الله عنه في التعامل مع السراء تارة، والضراء تارة أخرى، ما روته أمنا عائشة رضي الله عنها: أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الأمر يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا أتاه الأمر يكرهه، قال: «الحمد لله على كل حال»^(٤).



(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٨٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٤٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنَبِّئَكَ بِمَا عَمِلْتَ عَلَيْهِ وَعَلَيْكَ وَهَدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، برقم ٤٨٣٧، ج ٦، ص ١٣٥.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدرکه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٨٤٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم (٣٨٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٣٨٠٣).



المطلب السابع:

البلاء بمقصد استخراج التوبة

جاء لفظ «التَّوْبَةُ» في سبعة وثمانين موضعاً من آيات الذكر الحكيم، بعدة صيغ، واشتقاقات (١).

التَّوْبَةُ في اللغة مصدر الفعل الثلاثي: تابَ، يتوب، تَبَّ، توبةً، فهو تائب، والمفعول مُتَوَّبٌ، وأصل كلمة التَّوْبَةُ مركبة من: «التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه؛ أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبةً ومَتَابًا، فهو تائب، والتَّوْبُ: التَّوْبَةُ، وهو العودة إلى الله» (٢)، وفي اللسان: «أصل تاب: عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه، أي: عاد عليه بالمغفرة، وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١]، والتَّوْبَةُ: الرجوع من الذنب، وتاب الله عليه: وفقه لها، ورجل تَوَّابٌ: تائب إلى الله، والله تَوَّابٌ: يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه، واستتبت فلاناً: عرضت عليه التَّوْبَةَ مما اقترف؛ أي الرجوع والندم على ما فرط منه، واستتابه: سأله أن يتوب» (٣)، وفي الحديث عن ابن مَعْقِلٍ، وأبيه، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» (٤)، ومن

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٥٥-٤٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/٣٥٧).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١/٢٣٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٤٢٥٢). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، برقم الحديث: (٤١٢٣)، وقال عنه محققو المسند: «صحيح، وهذا إسناد حسن».



أسماء الله الحسنی التَّوَابِ، ومعناه: «هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى، بما يُظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويُطلعهم عليه من تخويفاته، وتحذيراته؛ حتى إذا أُطِّلعوا بتعريفه على غوائل الذُّنُوبِ، استشعروا الخوف بتخويفه؛ فرجعوا إلى التَّوْبَةِ؛ فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول»^(١)، بينما التَّوْبَةُ في اصطلاح المفسِّرين هي: «ترك الذَّنْبِ لِقُبْحِهِ، والنَّدَمُ على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة»^(٢)، ويقول آخر: هي: «أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعا على ألا يعود إليه»^(٣)، ويقول غيره: «العزم على عدم العود إلى العصيان مع النَّدَمِ على ما فرط منه فيما مضى»^(٤)، وقد أورد محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه أنَّ التوبة تنعقد بتوافر أربعة أمور، وهي: «الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سَيِّئِ الإخوان»^(٥). والحاصل أنَّ التوبة هي: الرجوع إلى طاعة الله تعالى قلباً، ولساناً، وحالاً، وترك معاصيه؛ عاجلاً غير آجل.

لقد أخبر الله تعالى أنَّه علَّم آدم رضي الله عنه كلمات التوبة؛ فتلقَّها بالقبول، والعمل، والتسليم، فقال: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهذه الكلمات التي تلقَّها آدم من ربه رضي الله عنه مفسَّرة بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ووجه الدلالة من الآية أنَّ المقصد من ابتلاء آدم وزوجه رضي الله عنهما بالأكل من الشجرة؛ هو استخراج التوبة منهما،

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی، للغزالي (١/١٣٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/١٦٩).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، للبخاري (٤/٣١٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/٣٦٧).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٩/٣٥٠).



وبيان أن عداوة إبليس للناس جميعاً ممتدة جذورها في عمق التاريخ، من آدم ﷺ، وقد قام آدم وزوجه بواجب التوبة تجاه ربهما؛ فأنعم الله عليهما بالرحمة والمغفرة، بينما أعرض إبليس عن التوبة إلى الله؛ فسخط الله عليه، ولعنه، وطرده من رحمته. هذا وقد بين المولى ﷺ في كتابه أن من مقاصد البلاء استخراج التوبة من عباده فقال: ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ويعني بالحسنات: «الرخاء في العيش، والخفض في الدنيا والدعة، والسعة في الرزق»^(١)، ويعني بالسيئات: «الشدة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال»^(٢)، وجملة قوله تعالى: ﴿لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تعليل لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ والمعنى: «ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينبوا إليه، ويتوبوا من معاصيه»^(٣)، ونظيره: ﴿وَتَبَلَّوْا بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، عن ابن عباس ﷺ ﴿وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِيِّ﴾ يقول: «مصائب الدنيا، وأسقامها، وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد؛ حتى يتوبوا»^(٤)، وقد بين الله ﷻ أن الغرض من ابتلاء عباده بظهور الفساد في برّ الأرض وبحرها؛ استخراج التوبة، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، قال أبو العالية ﷻ: «من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأنّ صلاح الأرض والسماء بالطاعة»^(٥)، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: «كي ينبوا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠٨/١٣).

(٢) المرجع السابق (٢٠٩/١٣).

(٣) المرجع السابق (٢٠٩/١٣).

(٤) المرجع السابق (١٨٩/٢٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٢٠/٦).



إلى الحق، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله»^(١)، ومن أروع النماذج التي تروى لنا صوراً رائعة عن التوبة بعد البلاء، ما قصّه القرآن الكريم في حق ثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ، وهم: «كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع [رضوان الله عليهم جميعاً]، وكلهم من الأنصار»^(٢)، الذين تخلفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاحَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاحَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تُرْتَابًا عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقوله: ﴿وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تُرْتَابًا عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ يقول ابن جرير رحمه الله: «وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء؛ بتخلفهم خلاف رسول الله ﷺ، ينجيهم من كربته، ولا مما يحذرون من عذاب الله، إلا الله، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته، والرُّجوع إلى ما يُرضيه عنهم، لينبئوا إليه، ويرجعوا إلى طاعته والانتهاة إلى أمره ونهيه»^(٣)، في حين ذمَّ الله تعالى المنافقين؛ لتخلفهم عن التوبة من المعاصي بقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَاصٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فإنه يعني: «ثم هم مع البلاء الذي يحلُّ بهم من الله، والاختبار الذي يعرض لهم، لا ينيبون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته؛ فيتعظوا بها، ولكنهم مصرُّون على نفاقهم»^(٤)، هذا، والآيتان دلالة واضحة على أن الله تعالى يبتلي عباده بأنواع البلايا والمصائب؛ لأجل أن يستخرج منهم التوبة وقت

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٠٩/٢٠).

(٢) المرجع السابق (٥٤٤/١٤).

(٣) المرجع السابق (٥٤٤/١٤).

(٤) المرجع السابق (٥٧٩/١٤).



البلاء، أو عدمها، فيميز التائب من المصّر، والطيب من الخيث.

ومن الأدعية النبوية الجامعة لمعاني التوبة ما صحَّ عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه:
عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت، خلقتني
وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء
لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، قال:
«ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة،
ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»^(١).



المطلب الثامن:

البلاء بمقصد الرّحمة

لقد وردت مادة «رحم» في ثلاثمائة وتسعة وثلاثين موضعاً من آي الذكر
الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة^(٢).

و«الرّحمة» في اللغة مصدر الفعل الثلاثي المتعدّي: رَحِمَ، يَرَحِمُ، ارْحَمَ، رحمة،
فهو رَاحِمٌ، والمفعول مَرْحُومٌ، وأصل مادة (رحم) يدلُّ على: «الرّقة والعطف
والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رَقَّ له وتعطف عليه، والرّحْمُ والرّحْمَةُ
والرّحمة بمعنى»^(٣)؛ وفي اللسان: «الرّحمة: الرّقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد
رحمته وترحّمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً، والرّحمة: المغفرة»^(٤)،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدّعاء، باب أفضل الاستغفار، برقم (٦٣٠٦).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (٣٠٤-٣٠٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٩٨/٢).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (٢٣٠/١٢).



ومن أسماء الله تعالى الحسنى: الرَّحْمَنُ، والرَّحِيمُ، وهما اسمان مشتقان من الرَّحْمَةِ على وجه المبالغة، والرَّحْمَنُ أشدُّ مبالغةً من الرَّحِيمِ؛ لأنَّ «رَبَّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَحْمَنٌ جَمِيعٌ خَلَقَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَحِيمٌ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَمَّا الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَتِهِ فَكَانَ رَحْمَانًا لَهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤] ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة النحل: ١٨]، فِي البَسْطِ فِي الرِّزْقِ، وَتَسْخِيرِ السَّحَابِ بِالغَيْثِ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، وَصِحَّةِ الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ، وَسَائِرِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَالَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِيهَا مِنْ رَحْمَتِهِ، فَكَانَ لَهُمْ رَحْمَانًا، تَسْوِيَتَهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ، فَلَا يَظْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَذَلِكَ مَعْنَى عَمُومِهِ فِي الْآخِرَةِ جَمِيعَهُمْ بِرَحْمَتِهِ، وَأَمَّا مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَتِهِ، الَّذِي كَانَ بِهِ رَحِيمًا لَهُمْ فِيهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرَهُ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣] بِمَا لَطَفَ بِهِمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لَطَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَاتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابَ مَعَاصِيهِ، مِمَّا خُذِلَ عَنْهُ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَكَفَرَ وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَرَكِبَ مَعَاصِيَهُ؛ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، مَا أَعَدَّ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ فِي جَنَّاتِهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْفَوْزِ الْمُبِينِ، لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَ رِسْلَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ، خَالِصًا، دُونَ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ»^(١)؛ أَمَّا الرَّحْمَةُ فِي اصْطِلَاحِ الْمَفْسَّرِينَ فَهِيَ: «رِقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الرِّقَّةِ الْمَجْرَدَةِ، وَتَارَةً فِي الْإِحْسَانِ الْمَجْرَدِ عَنِ الرِّقَّةِ، وَعَلَى هَذَا رُوي أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنْ اللَّهِ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالٌ، وَمِنَ الْآدَمِيِّينَ رِقَّةٌ وَتَعْطَفٌ»^(٢)، وَيَقُولُ آخَرٌ: هِيَ: «الرِّفْقُ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/١٢٨-١٢٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/٣٤٧).



بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضرر عنه، وإعانتته على المشاق»^(١)، والحاصل أن الرحمة المقصودة في بحثنا تأتي بمعنيين؛ الأول: الإفضال والإمهال، وهي التي يشترك فيها جميع الخلق في عاجل الدنيا، والآخر: التطهير والتوفيق، وهي التي تخص المؤمنين، دون غيرهم في عاجل الدنيا.

لقد أوجب الله تعالى على نفسه الكريمة تفضلاً منه، وتكرماً؛ أن يرحم ويغفر؛ لمن تاب من عباده، وأصلح العمل، وأن يمهل، ولا يعجل العقوبة؛ لمن لم يتب من عباده، فقال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ معناه: «قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا من الله -تعالى ذكره- استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة»^(٢)، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «إن الله تعالى كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي»^(٣)، وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»^(٤)، والآيتان مع الحديثين دلالة واضحة على أن رحمة الله تسع جميع خلقه في عاجل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/١٦٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، برقم (٧٤٢٢) ١١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، برقم (٦٠٠٠).



ديانهم، بطريق الإفضال، والإنعام عليهم بالذات المقدسة، فيرحم أهل الكفر والظلم والطُّغيان بامهالهم، واستعطف قلوبهم؛ إلى الإقبال إليه بالتوبة، والإنابة، مع إفراطهم في الكفر والظلم والطُّغيان ومحاربتهم الله ورسوله والمؤمنين، ويرحم أهل المعصية؛ بتوفيقهم للإنابة إليه، ومغفرة ذنوبهم، مع إفراطهم في هتك محارم الله، ويرحم أهل طاعته؛ بتثبيتهم على العمل الصالح، والاستقامة في الدين، كما أمروا، مع تقصيرهم في العبادة.

ثم ذكر - تعالى ذكره - دليل رحمته بجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، وهو كونه تعالى لويعاقب الناس على ما اقترفوه من المعاصي والآثام؛ لعجل لهم العذاب في الدنيا، غير أنه سبحانه أمهلهم لوقت معلوم؛ حتى يتوبوا من سوء أعمالهم فقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف: ٥٨]، وقوله: ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ فمعناه: «يؤخر العذاب عنهم» (١) و«يقبل توبتهم إذا تابوا» (٢).

لقد أوضح الله تعالى في سورتي الأعراف، وهود، ومواضع أخرى؛ أنه أنجى هوداً، وصالحاً، وشعيباً، وسائر أنبيائه ﷺ، والذين آمنوا معهم، برحمة منه، وتفضل، وتكرم، من بطش الذين كفروا، فقال في هود ﷺ، ومن آمن معه: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقال في صالح ﷺ، ومن آمن معه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال في شعيب ﷺ، ومن آمن معه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٥٢).

(٢) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٧/ ١٨٩).



الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾ [هود: ٩٤]، ويستفاد من آيات الإنجاء، أنه من تمام رحمة الله بعباده عند اشتداد البلاء، أنه لا يسلط أعداءه على أوليائه؛ لأنهم إذا ظفروا؛ طغوا في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد، وأهلكوا الحرث والنسل.

وسنبرز الآن أهم مقاصد الابتلاء بغرض الرحمة في النقاط الآتية:

١- زيادة الثواب ومضاعفة الأجر؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧]، ووجه الدلالة من الآية؛ أن الله يتبلي عباده بصنوف المصائب، والابتلاءات في الأرض، وفي أنفسهم؛ لأن أعمالنا وطاعاتنا لا تؤهلنا لنيل مغفرة الله ورضوانه، ولأجل هذا قضى الله علينا برحمة منه، وتفضل، وتكرم، أن نمرض ونعتل، ونصاب بأنواع المصائب، والبلايا؛ حتى نستكمل جانب التقص فينا؛ إذ لو لم نُبتَلْ؛ لَمَا تَلَذَّذْنَا مَوْمن قَطُّ بنعيم الجنة، وقد صح أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لن يدخل أحدًا عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعيب» (١).

وقد ورد في عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم اؤجرني في مصيبتى، وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله من مصيبتى، وأخلف له خيرًا منها» قالت: فلما تُوفِّي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)، روي في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: تمنى المريض الموت، برقم (٥٦٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم (٩١٨).



وهو يوعك وعكاً شديداً، فمستته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»^(١). وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٢).

٢- تكفير السيئات، لقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣).

٣- إرادة الخير بالناس، لما رواه محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة رضي الله عنه، أنه قال: سمعت سعيد بن يسار أبا الحباب، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه»^(٤)، وروى الترمذي في سننه عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: ما يقال للمريض، وما يجب، برقم (٥٦٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو عبد الناس، برقم (٢٣٩٦)،

وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٢٣٩٦). كما أخرجه ابن ماجه في سننه:

كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤٥).



في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(١).

٤- نيل أجر الشهيد لمن أصيب بالأوباء والطَّواعين، لما روي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرني «أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»^(٢).

٥- رفع الدرجات للمبتلى كما هو في حق الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وشواهد ذلك متعددة في القرآن الكريم، ومن ذلك نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم الذي ابتلاه الله بالمرض في جسده، فصبر واحتسب؛ حتى فرج الله عنه، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَبْصِبُ وَعَذَابِي ۖ أَزْكَضُ بَرِّجًا ۖ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۗ ۝٤٤ وَوَهَبْنَا لَهُ وَأَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ ۝٤٥ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرًا ۖ فَضَرْبِ يَدَيْهِ وَلَا تَحْنُتْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۖ نِعْمَ الْعَبْدُ ۗ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۗ﴾ [ص: ٤١-٤٤]، قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده أو ماله أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه»^(٣)، وكما هو في حق الجهاد في سبيل الله، الذي فيه أصناف من الأذى والابتلاء، في الأموال بنقصها وهلاكها، وفي الأنفس بالقروح والآلام والقتل، قال تعالى: ﴿لَتَسْلُوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٦)، وقد صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦). كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب العلم، برقم (٨٧٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الأنبياء، باب: حديث الغار، برقم (٣٤٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/٢٢٤).



أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَدِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْوَ الْأُمُورِ ﴿[آل عمران: ١٨٦]، وقوله: ﴿ذَلِكَ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصَرَفَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَسَبَلُونَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

٦- تطهير القلوب من الكبر والخيلاء، كما حدث يوم حنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَوَّاتٍ عَلَيْكُمْ وَالْأَرْضُ بِمَازِحَّتٍ ثَمَّ وَلَيْتُمْ مُدْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

٧- الرَّدْعُ عن القبائح، والآثام، والظلم، والطغيان، لذا أخبر الله تعالى بأنه قادر على أن يذيق الجاحدين بألوهيته ألوان المصائب والابتلاءات، فلا يدفعه عنهم أحد، فقال: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ قال أبو السعود رحمته: «كي يفقهوا ويقفوا على جليلة الأمر فيرجعوا عمَّا هم عليه من المكابرة والعناد»^(١)، ووجه الدلالة من هذه الآية؛ أن هذا التهديد للمشركين، هو رحمة من رحمت الله تعالى عليهم؛ حتى يصرفهم عمَّا هم فيه من الشرك، وعبادة الأوثان، والأهواء، إلى ما هم مكلفون به من أنواع العبادة، كما يُستفاد من الآية الكريمة أن الله تعالى رحم هذه الأمة، وحفظها من الإهلاك العام، وعذاب الاستئصال، كحال الأمم السابقة، ودلَّ على هذا ما رواه جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعوذ وجهك»، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٣/ ١٤٦).



رسول الله ﷺ: «هذا أهون - أو: هذا أيسر» (١).

٨- إظهار الإسلام على الدين كله، وإقامة الحُجَّة على جميع الخلق ليميزوا بين الحق والباطل، والكفر والضلال، والزيغ والإيمان، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ونظيره قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، يقول ابن عاشور: «وظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم باتِّباع أهل الملل إيَّاه في سائر الأقطار، بالرَّغم على كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إيَّاه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله على الأديان التي جاورها، وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلَّقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلَّا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره على الأديان أن تنقرض تلك الأديان» (٢).

ذلك أن إقامة الله حُجَّته على الكفار بإظهار الإسلام على الدين كله، وبارسال آياته الدالَّة عليه، لهو من تمام رحمة الله تعالى المقتضية إمهال عباده، وعدم تعجيل العقوبة على كفرهم وفسقهم، وتذكيرهم بين الحين والآخر بأحقية ملة الإسلام على الدين كله، واستعطاف قلوبهم إلى الإقبال إليه بالتَّوبة والإنابة، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، ويقول: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويقول:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا

مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] الآية، برقم (٤٦٢٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٧٣/١٧٤).



﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

إِذْ نَفِئْنَا عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ، يَتَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْإِصَابَةَ بِالْإِبْتِلَاءِ مِنْ تَمَامِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَحُبِّهِ لَهُمْ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يُوقِظُهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، فَيُظْهِرُ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَيُوقِّعُهُمُ لِلتَّوْبَةِ، فَيُرِييَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، فَيُكْفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيُضَاعَفُ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ، فَيُرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ، فَيُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَيَرْضَىٰ عَنْهُمْ.

وَقَدْ تَعَلَّمْنَا مِنْ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَامَّةً، وَهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ كَثْرَةُ التَّعَوُّذِ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ، وَاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، مَعَ كَثْرَةِ التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ فِي حَالِ الْإِصَابَةِ بِالْبَلَاءِ، وَالصَّبْرِ وَالْإِحْتِسَابِ عَلَىٰ ذَلِكَ، مَعَ الْإِيْقَانِ التَّامِّ أَنَّهُ: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وَاتِّخَاذِ الْإِصَابَةِ بِالْبَلَاءِ، فَرْصَةً لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَالتَّكْثِيرِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَالْقُرْبَاتِ، مَعَ الْعِنَايَةِ الْكَامِلَةِ بِغَسْلِ أَدْرَانِ النَّفْسِ، وَالْقَلْبِ، صَبَاحًا وَمَسَاءً؛ حَتَّىٰ نَظْفِرَ عِنْدَ اللَّهِ بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْآخِرَوِيَّةِ.





المطلب التاسع: البلاء بمقصد التَّمْحِيسِ

لقد ورد لفظ «التَّمْحِيسِ» في موضعين من آي الذكر الحكيم بصيغة الفعل المضارع^(١).

و«التَّمْحِيسِ» في اللغة مصدر الفعل الثلاثي المضعف: مَحَّصَ يُمَحِّصُ، تَمْحِصًا، فهو مُمَحِّصٌ، والمفعول مُمَحَّصٌ، أصل التَّمْحِيسِ في اللغة مركَّب من: «(مَحَص) الميم والحاء والصاد أصل واحد صحيح يدلُّ على تَخْلِيسِ شَيْءٍ وَتَنْقِيته. وَمَحَصَهُ مَحْصًا: خَلَّصَهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، [و] مَحَّصَ اللهُ الْعَبْدَ مِنَ الذَّنْبِ: طَهَّرَهُ مِنْهُ وَنَقَّاهُ، وَمَحَّصَهُ، وَمَحَّصَتِ الذَّهَبَ بِالنَّارِ: خَلَّصَتْهُ مِنَ الشُّوبِ»^(٢)، وفي اللسان: «وَمَحَّصَ الشَّيْءَ يَمَحِّصُهُ مَحْصًا، وَمَحَّصَهُ: خَلَّصَهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَالْمَحْصُ فِي اللُّغَةِ: التَّخْلِيسُ وَالتَّنْقِيَةُ، وَتَمْحِيسُ الذُّنُوبِ: تَطْهِيرُهَا، وَمَعْنَى التَّمْحِيسِ النِّقْصُ. يُقَالُ: مَحَّصَ اللهُ عَنْكَ ذُنُوبَكَ؛ أَي نَقَصَهَا، فَسَمِيَ اللهُ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَلَاءٍ تَمْحِصًا؛ لِأَنَّهُ يَنْقُصُ بِهِ ذُنُوبَهُمْ، وَالتَّمْحِيسُ: الْإِخْتِبَارُ وَالْإِبْتِلَاءُ»^(٣)، أمَّا التَّمْحِيسُ فِي إِصْطِلَاحِ الْمَفْسَّرِينَ فَهُوَ: «التَّطْهِيرُ وَالتَّصْفِيَةُ»^(٤)، ويقول غيره: هو: «إِزَالَةُ مَا قَدْ انْفَصَلَ مِنَ الْخَيْرِ عَنِ الشَّرِّ، وَكَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَمِيزَ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقى (٦٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٠٠/٥).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٩٠/٧).

(٤) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٤٢٠/١).



اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿ [الأنفال: ٣٧] ﴾^(١)، ويرى آخر أنه: «تخليص الشيء مما يخالطه مما فيه عيب له، فهو كالتركية»^(٢)، وعبر عنه آخر بأنه: «محو للآثار وإزالة للأضرار»^(٣)، إذن مما سبق من تعريفات للتمحيص لغةً واصطلاحًا؛ يتبين لنا أن التَّمْحِصَ هو عبارة عن اختبار قلوب الناس بتنقيتها من المعائب والمثالب؛ حتى يتميّز المؤمن من غيره في الدنيا والآخرة، أو يتطهر المؤمن من الذنب إن كان له ذنب، وإلا فهو رفع لدرجاته.

يقول ابن القيم رحمته: «وهذا التَّمْحِصُ يكون في دار الدنيا بأربعة أشياء: بالتوبة، والاستغفار، وعمل الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وإن لم تف هذه الأربعة بتمحيصه وتخليصه، محص في البرزخ بثلاثة أشياء: بصلاة أهل الإيمان الجنابة عليه، وبفتنة القبر، وبما يهدي إخوانه المسلمون إليه من هدايا الأعمال، وجعل ثواب ذلك له، فإن لم تف هذه بالتَّمْحِصِ، مُحْص بين يدي ربّه في الموقف بأربعة أشياء: أهوال القيامة، وشدة الموقف، وشفاعة الشُّعَاء، وعفو الله ﷻ، فإن لم تف هذه الثلاثة بتمحيصه فلا بدّ له من دخول الكير، رحمة في حقّه؛ ليتخلّص ويتمحصّ، ويتطهر في النَّار، ويكون مكثه فيها على حسب كثرة الخبث وقلته، فإذا خرج خبثه وصار خالصًا طيبًا، أُخرج من النَّار، وأدخل الجنة»^(٤).

لقد أخبر الله تعالى في كتابه أن سنّته جارية في امتحان النَّاسِ بضروب الفتن والمحن فقال: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]، فتارة يكون الامتحان بشدائد التَّكْلِيفِ؛ حتى يطهر قلوب المؤمنين، ويخلصها من

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، للراغب (٣/ ٩٣٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٣٩).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٢/ ٩١).

(٤) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لابن قيم (١/ ١٦٣).



العيوب، أو يكرمها بالشهادة؛ لتنال الدرجات العُلا، يقول الله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ معناه: «يكفر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب، وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به»^(١)، وبهذا المعنى صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قاربوا، وسددوا؛ ففي كلِّ ما يُصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها»^(٢)، وفيه أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب، أو أم المُسيَّب فقال: «مالك يا أم السائب -أو: يا أم المسيَّب- تزفزين؟» قالت: الحمى، لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى؛ فإنها تُذهب خطايا بني آدم، كما يُذهب الكير خبث الحديد»^(٣)، ونظير هذا قد ذُكر في السنة في غير موضع. وتارة يكون الامتحان بشدائد التَّكليف حتى يميِّز الصَّادق في إيمانه من غيره، ويظهر أمره للنَّاس؛ لأجل أخذ الحذر والحِطة، ممن يدَّعي شيئًا ليس فيه، فيقول: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: «وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للنَّاس في الأقوال والأفعال»^(٤)، وهذا تمامًا مثل ما حصل يوم أحد عندما اشتدَّت الحرب بين المسلمين وكفَّار قريش، فكاد الانتصار

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، برقم (٢٥٧٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكها، برقم (٢٥٧٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/١٤٦).



وقتئذ يكون حليف المومنين، لولا معصية الرّامة أمر رسول الله ﷺ، ومخالفتهم طاعته، فقال: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فمعناه: «ليختبركم، فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق في إيمانه منكم»^(١)، ورُوي أنّ رأس النّفاق عبد الله بن أبي بن سلول انفصل وقتئذ بثلاث الجيش، أو قريب منه، فعن معمر عن الزهري عن عروة في قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا حُبُّوتَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قوله: «حتى إذا كان بالشّوط من الجبّانة انخزل عبدالله بن أبيّ، ابن سلول بثلاث الجيش، أو قريب من ثلاث الجيش»^(٢)، ويدخل في معنى التمحيص تطهير قلوب المؤمنين الصادقين من الكبر والخيلاء، كما حدث يوم حنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْهَاتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وفي الآية دلالة على «أنّ النصر بيده [أي: الله تعالى] ومن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش»^(٣).

ومن خلال هذا التّمحيص تتمايز العناصر المؤمنة الصّالحة من العناصر

السّيئة، فيظهر:

١ - الخبيث من الطيب؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ أي: «حتى يفرق»^(٤).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٩٨/٧).

(٢) أخرجه الصنعاني في مصنفه: كتاب المغازي، باب ما جاء في حفر زمزم، وقد دخل في الحج أول ما ذكر من عبدالمطلب، وقعة أحد، برقم (٩٧٣٥)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٧١/٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧٩/١٤).

(٤) المرجع السابق (٥٣٥/١٣).



٢- الصادق من الكاذب؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا

وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

٣- الشَّاكر من الجاحد؛ لقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ

يَرْدَكَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

٤- الصَّابر على مناجزة الأعداء من الفار؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا

يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٥- المؤمن من المنافق؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

[العنكبوت: ١١]، وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذِنَ اللَّهُ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٦] وَلَيَعْلَمَنَّ

الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ

يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

[آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

٦- الخائف من الله بالغيب من الجريء؛ لقوله: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَكُمْ

اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ وَيَالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَا لَهُ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

٧- النَّاصر لدين الله من المتقاعس؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَن يَبْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

٨- الْمُحْسِن من المُسيء؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ

أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ



أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾، [الكهف: ٧]، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٩- المفسد من المصلح؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالُطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، والآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ابتلى الأوصياء بجواز مخالطة أموالهم مع أموال اليتامى؛ ليظهر منهم المفسد من المصلح؛ لهذا روي عن ابن زيد في قول الله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ﴾ أنه قال: «الله يعلم حين تخلط مالك بماله: أتريد أن تصلح ماله، أو تفسده، فتأكله بغير حق»^(١).

إذن فالمقصد من ابتلاء التَّمَحِيصِ كما دلت الآيات؛ هو تنقية القلوب وتخليصها من العيوب، وتكفير السيئات؛ لأنَّ كلَّ ما يصاب به المسلم في الدنيا من المصائب والأحزان هو كَفَّارَةٌ له، كما تقدَّم في الحديث^(٢)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى المقصد من ابتلاء التَّمَحِيصِ هو التَّفْرِيقُ بين الصَّادِقِ في إيمانه والكاذب فيه، وبين الشَّاكِرِ لِأَنْعَمِ اللَّهِ وَالْجَاهِدِ لَهَا، وبين الصَّابِرِ عَلَى أَنْوَاعِ الْبَلَايَا، وَالْجَاذِعِ لَهَا، وبين الْمُخْلِصِ فِي عِبَادَتِهِ وَالْمُنَافِقِ فِيهَا، وبين الثَّابِتِ فِي الدِّينِ وَالْمُضْطَرَبِ فِيهِ، وبين النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَالْخَاذِلِ لَهُ، وبين الْخَائِفِ مِنْ اللَّهِ بِالْغَيْبِ وَالْجَرِيءِ، وبين الْمُحْسِنِ فِي عَمَلِهِ وَالْمُسِيءِ فِيهِ، وبين الْمَصْلِحِ فِي تَعَامُلِهِ وَالْمُفْسِدِ فِيهِ.

هذا وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُحَنَّةُ؛ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِيبُهُ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَأَنَّ الْمِحْنَ وَالْإِحْنَ تَرْبِيَةٌ، وَتَنْقِيَةٌ، وَتَخْلُصَةٌ، وَتَهْدِيَةٌ، فَتَزِيدُهُ إِيمَانًا وَثَبَاتًا، أَمَا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْكَافِرُ، أَوِ الْفَاسِقُ، أَوِ الْجَاهِلُ،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٤/٣٥٧).

(٢) ينظر: الابتلاء بمقصد الرحمة، هامش ٢، (ص ٥٢).



فإذا أصابه شرٌّ وبلاءٌ في جسده وضيق في معيشته؛ فزع واضطرب، وجزع وغضب، وأساء الظنَّ بالله تعالى، يقول ابن القيم رحمه الله: «إنَّ الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النَّفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيِّبها من خبيثها، ومن يصلح لمولاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحصَّ النَّفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشِّه إلا بالامتحان؛ إذ النَّفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظُّلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السِّبْك والتَّصفية، فإن خرج في هذه الدَّار وإلا ففي كير جهنَّم، فإذا هُدِّب العبد ونُقِّي أُذن له في دخول الجنَّة»^(١).



المطلب العاشر:

البلاء بمقصد الاستدرج

لقد وردت لفظة «استدرج» في موضعين من القرآن الكريم^(٢)، بصيغة الفعل المضارع المبدوء بسين الاستقبال، وفاعله «نحن»؛ للتعظيم.

«الاستدرج» في اللغة مصدر الفعل الثلاثي (درج) المزيد بثلاثة أحرف: استدرج، يستدرج، استدرج، استدرجاً، فهو مُستدرج، والمفعول مُستدرج، وأصل مادة (درج) يدلُّ على: «مُضِيَّ الشَّيء، والمُضِيَّ في الشَّيء، من ذلك قولهم: درج الشيء، إذا مضى لسبيله، ورجع فلان أدراجه، إذا رجع في الطَّرِيق الذي جاء منه، ودرج الصَّبي، إذا مشى مشيته»^(٣)؛ وفي اللُّسان: «استدرجه؛ أي أدناه منه على التَّدرِج،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/١٦-١٧).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (٢٥٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٧٧-٧٨).



فتدرج هو، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]؛ قال بعضهم: معناه سناخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم؛ وقيل: معناه سناخذهم من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأمنون به، فلا يذكرون الموت، فيأخذهم على غربتهم أغفل ما كانوا، ورؤي عن أبي الهيثم: امتنع فلان من كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه؛ أي خدعه حتى حمّله على أن درج في ذلك، أبو سعيد: استدرجه كلامي؛ أي أفلقه حتى تركه يدرج على الأرض؛ قال الأعشى: لَيْسْتَدْرِجَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْزَهُ... وتعلم أي منكم غير مُلْجَمٍ^(١)، وفي اصطلاح المفسرين، الاستدراج: «أن تأتيه من حيث لا يعلم، ومن حيث تُلَطِّفُ له حتى تغتبه»^(٢)، ويقول آخر: «اغترأُ المستدرج بلطف من استدرجه، حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسنٌ، حتى يورطه مكروهاً»^(٣)، ويرى أحدهم أنه عبارة عن: «الإمداد بالنعم وإنساء الشكر عليها، فإذا سكنوا وحجّبوا عن المنعم أخذوا»^(٤)، ويرى آخر أن الاستدراج: «هو الأخذ في حال الغفلة، من حيث أمِنَ الرَّجُلُ بَغْتَةً»^(٥)، ويرى ابن عجيبة رحمته الله أن الاستدراج ليس خاصاً بالكفّار، بل يكون في المؤمنين خواصهم وعوامهم، ثم نقل عن ابن عبّاد رحمته الله قوله: «الخوف من الاستدراج بالنعم من صفة المؤمنين، وعدم الخوف منه مع الدوام على الإساءة من صفة الكافرين»^(٦)، وبعد الوقوف على معنى الاستدراج في اللّغة والاصطلاح، نجد أن الاستدراج لغة يدور حول معنى الاستدناء والتقريب، وحاصل معناه في الاصطلاح

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/٢٦٨).

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (١/٢٣٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/٢٨٧).

(٤) تفسير التستري، للتستري (١/٧٠).

(٥) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٥/١٠١).

(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/٢٨٧).



هو: سوق الجاحدين، والماردين على المعاصي، شيئاً بعد شيء، ودرجة بعد درجة، إلى ما يهلكهم، ويضاعف لهم العذاب، دون أن يعلموا ما يراد بهم، وذلك بالإفضال عليهم بازدياد النعمة، ورخاء العيش، والإمهال لهم بالإنساء في الأجل، والإطالة في العمر، مع إدامة الصّحة؛ حتى يزعّموا أنه تكريم لهم من الله، وإيثار لهم على سائر المخلوقين؛ فيتمادوا في المعاصي؛ «ليبلغوا بمعصيتهم ربهم، المقدر الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب، ثم يقبضهم إليه»^(١) في حال غفلة، أو فتور.

لقد ورد لفظ الاستدراج كما بيّنا آنفاً في موضعين في القرآن الكريم، الأول في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، والآخر في قوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]، وقوله في الآيتين: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: «سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغيِّ، فكلما جدّ عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجدّدوا معصية، فيتدرّجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أن مواترة النعم أثره من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالى، نعوذ بالله منه»^(٢)، ويقول آخر: «أي: سنمهّلهم بغرّتهم، ونزيّن لهم سوء أعمالهم؛ حتى يحسب أنه في كفره محسن، فإذا بلغ الغاية التي كتبت له، أخذ بأعماله السيئة من حيث لا يعلم»^(٣)، قال ابن قتبية رحمته الله: «الاستدراج أن يأخذهم قليلاً قليلاً، ولا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/٢٨٨).

(٢) الكشف عن حقائق التزليل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/١٨٢).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي

محمد مكي (٤/٢٦٥٣).



يَاغْتَهُمْ»^(١)، وقال الضَّحَّاكُ رضي الله عنه: «كلما جَدَّدُوا معصية جَدَّدْنَا لهم نعمة»^(٢)، وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: «نسبغ عليهم النعمة ونسيهم الشُّكر»^(٣)، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لَمَّا حُمِلَ إليه كنوز كسرى: «اللهمَّ إني أعوذ بك أن أكون مستدرجًا؛ فإني أسمعك تقول: ﴿سَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]»^(٤).

وأما قوله في الآيتين: ﴿وَأَهْلِي لَهُمْ﴾ فمعناه: «أهلهم، وأطيل لهم مدة عمرهم؛ ليطمادوا في المعاصي، ولا أعاجلهم بالعقوبة على المعصية؛ ليقنعوا عنها بالتوبة والإنابة»^(٥). وما تضمنته هاتان الآيتان الكريمتان، قد أوضحه الله تعالى في أكثر من موضع بأسماء أخرى، وقد ذكر أهل التفسير أربعة أسماء للاستدراج، وهي: المكر، الكيد، الإملاء، الإهلاك»^(٦)، كما ظهر لنا خمسة أخرى، وهي: الإمهال، الخداع، الإمداد، الترك، الفتح، هذا هو بيانها:

١- المكر: كقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، أي: «أن يستدرجهم بالنعم حتى يأخذهم بغتة»^(٧)، و﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾: «استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولا استدراجه»^(٨).

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (٤١١/١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري (٢٥٥/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٥٥/٢).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٤١٨/١٥)، وقد أخرجه البيهقي في سننه: كتاب أبواب تفريق ما أخذ من أربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه، باب الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع، برقم (١٣٠٣٣).

(٥) المرجع السابق (٤١٨/١٥).

(٦) المرجع السابق (٤٣٨/٢١).

(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢٤١/٢).

(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١٣٤/٢).



٢- الكيد: كقوله: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]، أي: «أمهلهم في بطرهم وغفلتهم إلى حيث ازدادوا على نفوسهم العتوَّ والعناد الموجب لشدة العذاب» (١).

٣- الإملاء: كقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا أُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أي: «نؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثماً؛ أي جرأة على المعاصي» (٢)، وقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لُتَّى أَخَذْتُنَّهَا وَأَنَّيَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

٤- الإهلاك: كقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠]، والمعنى: «انظر بعين قلبك، وفكر بفهمك، فكذلك نعمل بمن كذبك فقتلهم الله بالسيف» (٣)، والآية فيها استدراج بالنعم لمن كذب بمحمد ﷺ بأن يأخذه الله فجأة، كإغداقه العطاء على فرعون وشيعته ثم إهلاكهم فجأة.

٥- الإمهال: كقوله: ﴿فَمَهَّلِ الْكُفْرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، أي: «أخرهم، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم» (٤).

٦- الخداع: كقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، أي: «بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم عذاباً» (٥).

٧- الإمداد: كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْرِيْ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]،

(١) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، للنخجواني (١/ ٢٧٥).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٢٦٧).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي (٨/ ٥٥٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٧٦).

(٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٣٠).



وقوله: ﴿وَيَمْدُهُمْ﴾: «بمعنى يزيدهم، على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم»^(١)، ونظيره قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۗ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدُودًا ۗ وَبَيْنَ شُهُودًا ۗ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۗ قَدْ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۗ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۗ سَاءُ هُفُهُ ۗ صَعُودًا ۗ﴾ [المدثر: ١١ - ١٧]. وغيرها من الآيات.

٨- التَّرك: كقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، والمعنى: «نذرهم ونتركهم فيه، ونملي لهم ليزدادوا إثماً إلى إثمهم»^(٢).

٩- الفتح: كقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا كُفِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: «فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياداً بالله من مكروه»^(٣).

هذا وما ذكرناه في معنى البلاء بالاستدراج والإملاء؛ أن أهل الكفر والزبغ كلما ازدادوا تمادياً في الكفر والفسوق والعصيان، زادهم الله نعمة، ورغداً في العيش، وإدامة الصِّحة؛ حتى يظنوا أن هذا من تقريب الله لهم، وكرامته، وإيثاره، فيصير ذلك الإنعام والإمهال سبباً لتماديهم في الانكفاء عن ذكر الله، وأتباع السنَّة، والبعد عن الرجوع إلى طاعة الله، والائتساء بنبِيِّه، وهذه الحالة نشاهدها في كثير من الكفرة، وفي بعض من فسقة المسلمين كالمبتدعة وغيرهم؛ حيث يُستدرجون في الطَّاعات، مع ثناء النَّاسِ عليهم؛ حتى يحسبون أنهم على خير عظيم، وأنه من تكريم الله لهم، فلا يزالون على هذه الحالة؛ حتى يأخذهم الله على غِرة، أو فترة، إلَّا من تاب منهم، وأُتاب إلى الله، وعمل صالحاً قبل الأخذ، وقد كان النبي ﷺ يسأل الله الثبات على الطَّاعة والإعانة على شكرها والعصمة من الاستدراج بها، كما روي

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/٣٠٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/٣٠٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/٢٥٦).



عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يدعو: «ربِّ أعني ولا تُعن عليّ، وانصُرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسِّر هداي إليّ، وانصُرني على من بغى عليّ، اللهم اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً، أو منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»^(١)، والشاهد قوله: «وامكر لي ولا تمكر عليّ» قال الطيبي: «المكر: الخداع، وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: استدراج العبد بالطاعة فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة»^(٢).



المطلب الحادي عشر:

البلاء بمقصد التخويف

وردت مادة «خوف» في مائة وأربعة وعشرين موضعاً من آي الذكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة^(٣).

و«التَّخْوِيفُ» في اللغة مصدر الفعل الثلاثي المضعَّف: خَوَّفَ، يَخَوِّفُ، تَخْوِيفًا، فهو مُخَوِّفٌ، والمفعول مُخَوِّفٌ، ومادة (خوف): «الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع»^(٤)؛ وفي اللسان: «الخوف: الفرع، خافه يخافه خوفاً

(١) أخرجه أبو داود في سننه: أبواب تفریع أبواب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، برقم (١٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٥١٠)، كما أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٥١)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٥٥١).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للأبدي الصديقي (٤/٢٦٣).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الباقي (٢٤٦-٢٤٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩/٩٩-١٠٠).



وخيفة ومخافة، وخَوْفَ الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخَوْفُهُ إذا جعلته بحالة يخافه الناس، والإخافة: التخويف»^(١)، وفي اصطلاح المفسرين هو: «إدخال الفرع في قلب المخاطب؛ حثاً على التَّحَرُّز من ارتكاب محظور»^(٢)، ويقول آخر: «بعث النفس على تحمُّل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة»^(٣)، ويقول غيره: «هو ما تدل عليه من الرسالة المنذرة المخوفة من عذاب الله تعالى»^(٤)، مما سبق من تعريفات للتخويف في اللغة والاصطلاح يتبين لنا أنه يدور حول الدُّعْر والفرع، وإخافة النَّاس من الوقوع في الشُّرور والآثام. إذن، فالتخويف هو: إفزع النَّفس بأنواع المصائب والبلايا في الحياة الدُّنيا، وبسوء العاقبة يوم القيامة، في حال استمرارها على فعل المنهيات وترك المأمورات.

لقد خَوَّفَ اللهُ عباده في كتابه بإنزال الآيات عليهم تترى، كالجوائح السَّماوية، وانتشار الأمراض الفتَّاكة، وغير ذلك؛ لِيَتَّعِظُوا، ويعتبروا فقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]، قال قتادة رضي الله عنه: «وإن الله يخوِّف الناس بما شاء من آية؛ لعلمهم يعتبرون، أو يذكِّرون، أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس، إنَّ ربَّكم يستعقبكم فأعتبوه»^(٥)، وفي الحديث المتَّفَق عليه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الشَّمْس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنَّ الله تعالى يخوِّف بها عباده»^(٦)، وعن

(١) لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٠٣).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ١٩١).

(٤) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٠٩).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: أبواب الكسوف، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يخوف الله عباده بالكسوف»،



الحسن ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا﴾ قال: «الموت الذريع»^(١). والغرض من هذا التخويف الإلهي للبشرية جميعاً؛ حتى تتعظ وتذكّر وترجع إلى بارئها، فتؤمن به إيماناً جازماً لا يخالطه ريب، وتؤدّي ما هي مكلفه به من حقوق الله في العبوديّة، وتوحده بالرّبوبيّة، والألوهيّة، والأسماء والصفات، ونفي الشريك عنه الذي هو أصل الدّعوة الإسلاميّة ومحور رسالة جميع أنبيائه ورسله من لدن آدم ﷺ، إلى محمد ﷺ، فإنّه تعالى يكشف الضّرّ عن تضرّع إليه وتذلّل وتمسكن، ولا يُخيّب مقصود من توكلّ عليه وأظهر فقره وعجزه بين يديه.

كما حذّر الله تعالى الذين يخالفون أمره ويقعون فيما يغضبه - سواء أكان ذلك باطناً أم ظاهراً - من الإصابة بأنواع من المصائب والابتلاءات فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ يقول الشوكاني: «والفتنة هنا: غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن، وقيل: هي القتل، وقيل: الزلازل، وقيل: تسلّط سلطان جائر عليهم، وقيل: الطّبع على قلوبهم»^(٢)، وقوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فمعناه: «أو يصيبهم في عاجل الدّنيا عذاب من الله موجه، على صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله ﷺ»^(٣)، وقد يكون من هذا القبيل ظهور الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا بقوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى اذْعُ لِنَارِكَ لِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ لِئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]،

= برقم (١٠٤٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة، برقم (٩١١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٤٧٨/١٧).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٦٨/٤).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٣١/١٩).



وقال سعيد بن جبير: «الرَّجْزُ الطَّاعُونَ»^(١).

وحذّر الله تعالى عباده عقوبته في حال ركوبهم ما يغيضه، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] والمعنى: «ويخوِّفكم الله من نفسه أن تتركبوا معاصيه، أو توالوا أعداءه»^(٢)، ذلك وقد سجّل القرآن الكريم أن عباده الذين لا يُتَوَقَّعُ إيمانهم، لا تنفع فيهم آياته، ومخوِّفاته، ولا تُجدي معهم، فقال: ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْكُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]؛ أي: «لا تنجع فيهم الآيات، والأدلة، ولا النُّذُرُ والمخوِّفات»^(٣).

هذا وإنَّ الناس إذا اتَّعظوا بما خوِّفوا به، وحذَّروا منه، وأنذروا به، دعاهم هذا إلى النَّظَرِ في أحوالهم؛ حتى يتوصَّلا إلى التَّوْحِيدِ الخالص، والإِنَابَةِ الصَّادِقَةِ، ولزوم الطَّاعَةِ، وترك المنكر.

وقد كان من هَدْيِ نبيِّنا محمد ﷺ في التَّعامل مع المُخوِّفات الإلهية ما صح عن عائشة ؓ زوج النبي ﷺ، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرا، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»، قالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغْيِيرَ لَوْنِهِ، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألتها، فقال: «لعله، يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَمَا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لُوْهُ هَذَا عَارِضٌ مِّمَّنَّارًا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»^(٤).

ولا يخفى أن السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ حَذَّرَتْ من الابتلاءات التي قد يسَلِّطها الله على

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/٢٢٥٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٦/٣١٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١١/٢٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح

بالمطر، برقم (٨٩٩).



عباده في حال إعراضهم عن طاعته، وركوبهم المعاصي، فقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلب الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(١). وقد كان من هديه ﷺ التعوذ من الروعات، فعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللَّهُمَّ احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(٢). والشاهد قوله: «اللَّهُمَّ آمِن روعاتي»، قال ابن الأثير في النهاية: «هي جمع روعة، وهي المرّة الواحدة من الرّوع: الفرع»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: أبواب الفتن، باب العقوبات، برقم (٤٠١٩)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٠١٩)، كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الفتن والملاحم، أما حديث أبي عوانة، برقم (٨٦٢٣).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٩٠٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، عبدالله بن عمر رضي الله عنه، برقم (٤٧٨٥)، وقال عنه محققو الإسناد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٢٧٧).



المطلب الثاني عشر:

البلاء بمقصد العقوبة

لقد وردت مادة «عقب» في ثمانين موضعاً من آي الذكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة^(١).

و«العقوبة» في اللغة مصدر الفعل الرباعي المزيد بحرف: عاقَبَ، يعاقِبُ، عقابًا، ومُعاقِبَةً، وعقوبةً، فهو مُعاقِبٌ، والمفعول مُعاقَبٌ، وأصل مادة (عقب) يدلُّ على: «تأخير شيءٍ وإتيانه بعد غيره، كلُّ شيءٍ يعقب شيئاً فهو عقيبُه، وإنَّما سُمِّيَتْ عقوبةً لأنَّها تكون آخرًا وثاني الذَّنْبِ»^(٢)؛ أي: تأتي بعد الذَّنْبِ، وفي الفروق: «العقاب ينبي عن استحقاق، وسُمِّيَ بذلك لأنَّ الفاعل يستحقُّه عُقْبَبَ فعله، وأصل العقاب التَّلُو، وهو تأدية الأوَّل إلى الثاني، يقال: عقب الثاني الأوَّل إذا تلاه، وعاقبت اللَّصَّ بالقطع الذي يتلو سرقته»^(٣) وفي اللسان: «العقاب والمعاقبة أن تجزي الرَّجل بما فعل سوءاً؛ والاسم العقوبة، وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقاباً: أخذه به، وتعقَّبَت الرَّجل إذا أخذته بذنب كان منه»^(٤)، وفي اصطلاح القرآن الكريم، العقوبة هي: ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاءً عن سوء أفعاله.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقى (٤٦٧-٤٨٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٧٧/٤-٧٨).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (٢٣٩/١-٢٤٠).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٦١٩/١).



يخبرنا الله تعالى أنه يعاقب الناس بالمصائب، والشدائد، والبلايا في الدنيا؛ مجازاة لهم عن سوء أعمالهم فقال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] ومعنى ﴿سُوءًا﴾: «ما يسوء من القبائح»^(١)، ومعنى ﴿يُجْزَ بِهِ﴾: «ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاءً عن سيئاته»^(٢)، ويقول أيضًا: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وقوله: ﴿رِجْزًا﴾ فمعناه: «ما يعاف عنه، وكذلك الرِّجس، والمراد به الطَّاعون، رُوي أَنَّهُ مات في ساعة: أربعة وعشرون ألفًا»^(٣)، ويؤيد هذا ما رواه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعون رجز، أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم»^(٤)، هذا وإن الإصابة بهذه الأمراض الفتَّاكة هي نوع من أنواع العقاب الذي كان يرسله الله على الأمم قبلنا، وإلى الآن، وكانت سنن الله فيهم أن يمتَّعهم بمتاع الدنيا؛ حتى يظنوا أنهم ما متَّعوا به من خير، إلا لعلَّوا منزلتهم عند الله؛ فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم الله فجأة بأنواع العذاب وهم لا يشعرون. وقد صحَّ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﻻ يملي للظَّالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»^(٥).

وقد دعا الله مشركي قريش إلى التَّدبُّر في حال الأمم التي أهلكتها بسبب كفرها وتكذيبها رسله، وأنه قادر على إهلاكهم، ثم إدخالهم نارًا خالدين فيها، إن هم استمروا على شركهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن

(١) النكت والعيون، الماوردي (١/ ٥٣١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥٣١).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/ ٨٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٢٢١٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).



قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩٠﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَقَبَةُ الَّذِينَ أَسْأَلُوا السُّوَأَى أَنْ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٩١﴾ [الروم: ٩-١٠]، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤]، وفي المفردات: «والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة»^(١)، وقد أوضح الله تعالى في سورة الشعراء، ومواضع أخرى، عاقبة الأمم الخالية بسبب ظلمها، كحكايته عن إغراق فرعون وقومه، وإكباب قوم إبراهيم وأبيه في الجحيم، وإهلاك قوم نوح بالإغراق، وإهلاك قوم هود، وهم قبيلة عاد، بريح صرصر، وأخذ قوم صالح وهم قبيلة ثمود بالصّاعقة، وإهلاك قوم لوط بإقلاب الأرض عليهم، وإهلاك قوم شعيب وهم أصحاب الأيكة بالصّيحة، وغيرها من الأمم التي انتقم الله منها بعذاب حسّي، أو جسمي؛ بسبب ظلمها وكفرها بأنعم الله، وأنّ سنّته جلّ وعزّ ماضية في إلحاق العقوبة بالمتمرّدين عن طاعته، والماردين في معصيته، وأنها تجري على جميع خلقه من لدن آدم إلى قيام الساعة فقال: ﴿فَهَلْ يَظُنُّونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجْدِلُكَ اللَّهُ تَبَدُّلًا وَلَنْ نَجْدِلُكَ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقد ينتقم الله تعالى من العصاة بعذاب معنوي، أو قلبي كما هو حال المنافقين، وهذا النوع من العذاب أشدّ من سابقه، وقد كان رسول الله ﷺ كثير التعوّذ منه، وأرشد أمّته إلى ذلك، ويتمثل هذا النوع من العذاب في الطّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنّة، والطمس، المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٥٧٥).



مَا وَعَدُوهُ وَيَمَّا كَانَ يَكْذِبُونَ ﴿ [التوبة: ٧٥-٧٧]، وقوله: ﴿فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا﴾؛ أي: «جعل نفاقاً عقب ذلك؛ أي إثره»^(١)، وهذا يستلزم أنه: «أصلهم الله بفعلهم»^(٢)، ويقول ابن عاشور رحمته: «جعل فعلهم ذلك؛ سبباً في بقاء النفاق في قلوبهم إلى موتهم، وذلك جزاء تمردهم على النفاق»^(٣)؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوَّلَ كُفْرًا مِنْ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا نَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقوله: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فمعناه: «مرنوا عليه ودربوا به»^(٤)، و«تمهروا فيه»^(٥)، وأحسن ما وقفت عليهم قول من قال: «أخبر عنهم أنهم خريجون في النفاق»^(٦)، ومعنى الخريج في اللغة: «أدبه كما يخرج المعلم تلميذه، وفلان خريج مال وخريجه، بالتشديد، وهو فعيل بمعنى مفعول، إذا دربه وعلمه، وقد خرجه في الأدب فتخرج»^(٧). هذا وإن الآية دلالة واضحة على أن كل من أقام على الذنب، واستمر عليه، وتمهر فيه، فلم يتب منه ويستغفر، ولم يقر به، صار - أي: الذنب - صفة متأصلة متجذرة فيه إلى درجة صيره خريج ذنبه؛ أي: متخرجاً فيه، فيختم له به إلى موته جزاء تمرسه فيه، فيكون بهذا الفعل قد جمع العاصي المتمادي على نفسه عذابين: الأول في الدنيا بأنواع المصائب والمحن، والآخر في الأخرى بعذاب أليم، عياداً بالله من الخذلان.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠ / ٢٧٢-٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢ / ٤٦٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠ / ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤ / ٤٤٠).

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢ / ٣٠٥).

(٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٥ / ٤٩٦).

(٧) لسان العرب، لابن منظور، (٢ / ٢٥٠).



كما قد ينتقم الله من الفسقة بعذاب جسدي، كما هو حال مرتكبي الجرائم، والسَّاعين في الأرض فسادًا، ويتمثل هذا في العقوبات الشرعية من حدود وقصاص وتعازير شرعية؛ لأنَّ «إقامة الحدود من المصائب التي تصيب الأنفس كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢]»^(١)، قال ﷺ عن عقوبة الحرابة: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقال عن عقوبة السرقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال عن عقوبة الصيد في حال الإحرام، أو في أرض الحرم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِمَّا قُتِلَ مِنَ النِّعَمِ بِحَكْمِ بِهِ ذَوْعًا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال عن عقوبة القتل العمد: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] ويعنى بالجزاء في الآيات: «معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر»^(٢)، وقال عن عقوبة الزنا: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عِدَابَهُمَا طَافِعٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال عن عقوبة القذف: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، وغير ذلك من الجرائم الاجتماعية التي رتب عليها الشارع عقوبات مغلظة.

(١) بتصرف: مفاتيح الغيب، للرزاي (٢٩/٤٦٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/١٧٧).



وقد قرّر الله تعالى أنّ ما يصيب النَّاس من أنواع المصائب، والمحن في أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم، والعقوبات الشرعيّة، وشيوع الأمراض النفسيّة، والبدنيّة، والعقليّة؛ فإنّما يصيبهم ذلك عقوبة من الله لهم على ما اقترفوه من المعاصي، والآثام، والبعد عن شرع الله تعالى، ومخالفتهم أمره، وارتكابهم نهيّه فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ونظيره قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ [النساء: ٧٩]، أي: «من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك»^(١)، وقد عاتب الله تعالى الصّحابة رضي الله عنهم أجمعين على ما أصابهم يوم أحد من هزيمة، وقتل، وجرح، وأسر، فقال: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّا هَذَا قُلُوبًا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: «أصابكم بمعصيتكم النبيّ ﷺ»^(٢).

هذا وقد اقتضت رحمة الله ﷻ أنّ كلّ ما يرتكبه الناس من كفر لأنعم الله، ومن فساد في برّ الأرض وبحرها، ومن ظلم، وطغيان، وغير ذلك من الذنوب الفظيعة، التي لو عاقب الله النَّاس عليها ما أبقى أحداً على ظهر الأرض، غير أنّ الله حلیم بعباده، فلا يعجل عليهم العقوبة، وإنّما يمهلهم؛ حتى يتوبوا، ويستدركوا في الدُّنيا ما فرطوا في جنب الله، يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَيَأْتِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَابِدُهُمْ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد كان من هديه ﷻ التعوذ بالله من العقوبة، فعن جبیر بن أبي سليمان بن جبیر بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر رضی اللہ عنہما يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/٥٣٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/٤٨٨).



هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِي، وَأَمِنْ رُوعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمَنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). والشَّاهدُ قولُه: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»، قال ابن الأثير في النهاية: «أي أدهى من حيث لا أشعر، يريد به الخسف»^(٢).

وكان من هديه ﷺ التَّعوُّذُ وهو ساجد، من غضب الله، وسخطه، وعقوبته كما صحَّ عن عائشة ؓ قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(٣).



(١) سبق تخريجه في مطلب الابتلاء بمقصد التخويف، هامش ٣، (ص ٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٤٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦).



الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أمّا بعد؛

فبعد هذه الإشراقة على مقاصد البلاء التي تمّ إبرازها من خلال هذه الدراسة الموضوعية لآيات من الذكر الحكيم، نصل إلى عدّة نتائج وتوصيات، وهذا بيانها:

◆ أولاً: أهم النتائج

- يُعنى بمقاصد القرآنية: الغايات والأهداف التي أنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقاً لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقاً لدرء مفسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرى.
- يُعنى بمقاصد البلاء في القرآن الكريم: الغايات والحكم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقي التكليف، وأنواع النعم، والنقم.
- يستنتج أن بين البلاء والابتلاء عمومًا وخصوصًا، فالبلاء أعمّ من الابتلاء، والابتلاء أحصّ منه؛ إذ فيه زيادة مشقّة وكلفة، وكلاهما يكون في الخير والشرّ معًا، من غير فرق بين فعليهما.
- يستنتج أن البلاء يظهر حال البشر، ومدى تطبيقهم للتكاليف والنواهي، وتتجلّى به نيّاتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني والحكم للبلاء في الخير والشرّ.
- يستنتج أن المقصد الرئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتلى من معاني



العبودية لله وحده، وتعرّف حاله في الطّاعة والمعصية؛ بتحمله الضّيق، والمشقّة، والألم.

• يستتج أنّ من مقاصد إصابة الإنسان بالبلاء؛ يكون:

١. لإفراد المبتلى من بيده الأمر ﷺ بالطّاعة قولاً، وفعلاً، واعتقاداً.
٢. لإظهار المبتلى الحاجة إلى الله وحده لتدبير أمره.
٣. لاعتراف المبتلى بقدرة الله في قضاء حوائجه وكشف كرباتهِ؛ بحيث يتوجّه إليه وحده بالدّعاء.
٤. لتحمل المبتلى التكاليف التشريعية الشّاقة من الأوامر والنواهي والضّيق، والآلام.
٥. لإظهار المبتلى تسليمه الكلّي لقضاء الله، وأحكامه الشرعيّة من غير شكّ في حكمها، ولا منازعة في أحكامها.
٦. لإقرار المبتلى بنعمة الله وهدايته، واستعمال جميع نعمه فيما يرضيه تعالى.
٧. لرجوع المبتلى إلى طاعة الله ﷻ، والانتهاز عن المعاصي.
٨. لاعتراف المبتلى أنّ ما يصيبه من المصائب هو من تمام رحمة الله عليه؛ حتى يستيقظ من غفلته.
٩. لتمحيص المبتلى، وبيان حدّ المفاصلة بينه وبين أهل الكفر، إن كان من أهل الإيمان.
١٠. لتنبه المبتلى أنّ الله قد يمدُّ الفاسق بالنّعم، وإنساء الشّكر عليها؛ ليلبغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب.



١١. لتهديد المبتلى بأن الله يفرغ الأنفس بأنواع المصائب في الحياة الدنيا، وبسوء العاقبة يوم القيامة في حال إصرارها على الذنوب.
١٢. لإنذار المبتلى أن ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاء عن سوء أفعاله.

◆ ثانياً : أهم التوصيات :

١. يوصي الباحث بعقد مؤتمرات علمية عن مقاصد البلاء في ضوء الوحيين، وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.
٢. يوصي الباحث بإدراج موضوع مقاصد البلاء ضمن مفردات أحد مقررات الثقافة الإسلامية على سبيل المثال.
٣. يوصي الباحث بالمجلات العلمية العالمية المحكمة بإفراد عدد خاص عن مقاصد البلاء في القرآن والسنة.
- سائلين الله ﷻ أن يعرفنا مقاصد ابتلاءاتنا، وأن يعيننا على حسن التعامل معها، وأن يرفعنا بها درجات في ديانا وأخرانا.
- تمت الدراسة والله الحمد والمِنَّة، اللهم هذا الجهد، وعليك التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.
- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]





ثَبْتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- ١- «أحكام القرآن». الرازي، أبو بكر، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
- ٢- «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». العمادي محمد، أبو السعود، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ٣- «أسباب نزول القرآن». الواحدي، أبو الحسن علي، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢.
- ٤- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.
- ٥- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». اليبضاوي، ناصر الدين، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
- ٦- «البحر المحيط في التفسير». أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- ٧- «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد». ابن عجيبة، أبو العباس، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي، (د.ط)، د.ن، ١٤٢٩هـ.
- ٨- «تأويلات أهل السنة». الماتريدي، أبو منصور. تحقيق: مجدي باسلوم، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.
- ٩- «التحرير والتنوير». ابن عاشور، الطَّاهِر. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- ١٠- «تفسير التستري». التُّستري، أبو محمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.
- ١١- «تفسير الراغب الأصفهاني». الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، تحقيق: عادل بن علي الشَّدِّي، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٣م.



- ١٢- «تفسير القرآن الحكيم». رشيد رضا، محمد. (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ١٣- «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (ط٢)، لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- ١٤- «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى، (ط١)، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦م.
- ١٥- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». الطبري، محمد بن جرير. (ط١)، الجيزة: دار الهجر، ٢٠٠١م.
- ١٦- «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعول وما عليه العمل». الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورَة. (ط٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م.
- ١٧- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخاري، محمد بن إسماعيل. (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.
- ١٨- «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، أبو عبدالله. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
- ١٩- «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، أبو الفرج، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.
- ٢٠- «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٢٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
- ٢١- «زهرة التفاسير». أبو زهرة، محمد بن أحمد، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
- ٢٢- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها». الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين. (ط١)، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م.
- ٢٣- «سنن ابن ماجه». ابن ماجه، أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، (ط١)، بيروت: دار الرسالة، ٢٠٠٩م.



- ٢٤- «سنن أبي داود». أبو داود، سليمان بن الأشعث. (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.
- ٢٥- «السنن الكبرى». البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (ط ٣)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.
- ٢٦- «الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية». الجوهري، أبو نصر إسماعيل، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٧.
- ٢٧- «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان». ابن حبان، أبو حاتم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط ٢)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م.
- ٢٨- «العبودية». ابن تيمية، تقي الدين، (ط ١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ م.
- ٢٩- «عون المعبود شرح سنن أبي داود». العظيم آبادي، الصديقي، (ط ٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥.
- ٣٠- «غريب القرآن لابن قتيبة». ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله، تحقيق: سعيد اللحام، (د. ط)، د. ت.
- ٣١- «الفتاوى الكبرى». ابن تيمية، تقي الدين، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧ م.
- ٣٢- «فتح الباري شرح صحيح البخاري». العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩.
- ٣٣- «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي، (ط ١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ.
- ٣٤- «الفروق اللغوية». العسكري، أبو هلال، (د. ط)، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د. ت.
- ٣٥- «الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية». النخجواني، نعمة الله بن محمود، (ط ١)، مصر: دار ركاابي للنشر، ١٩٩٩ م.
- ٣٦- «قواعد الأحكام في مصالح الأنام». ابن عبدالسلام، عزُّ الدِّين، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د. ط، ١٩٩١.
- ٣٧- «كتاب العين». الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د. ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ت.



- ٣٨- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- ٣٩- «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: محمد بن عاشور، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.
- ٤٠- «لباب التأويل في معاني التنزيل». الخازن، علاء الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ٤١- «اللباب في علوم الكتاب». النعماني، أبو حفص سراج الدين، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- ٤٢- «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- ٤٣- «مجاز القرآن». معمر بن المثنى، أبو عبيدة. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (ط٢)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٢م.
- ٤٤- «المحكم والمحيط الأعظم». المرسي، أبو الحسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.
- ٤٥- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م.
- ٤٦- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل». النسفي، أبو البركات، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م.
- ٤٧- «المستدرک علی الصحیحین». الحاكم، أبو عبدالله. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- ٤٨- «مسند الإمام أحمد بن حنبل». أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، (ط١)، ٢٠٠١م.
- ٤٩- «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ». مسلم، أبو الحسن. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ٥٠- «المصنف». الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢)، كراتشي باكستان: المجلس العلمي، ١٩٨٣م.



- ٥١- «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، أبو محمد الحسين، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط ١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- ٥٢- «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، أبو إسحاق. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. (ط ١)، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م.
- ٥٣- «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (ط ٢)، الرياض: دار الصميعة، ١٩٩٤م.
- ٥٤- «معجم اللغة العربية المعاصرة». مختار، أحمد، (ط ١)، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
- ٥٥- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم». عبد الباقي، محمد فؤاد، (د. ط)، مصر: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.
- ٥٦- «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ٥٧- «مفاتيح الغيب». الرازي، أبو عبدالله. (ط ٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- ٥٨- «مفردات في غريب القرآن». راغب الأصفهاني، أبو القاسم. (ط ١)، بيروت: دار القلم، ١٩٩٢م.
- ٥٩- «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها». عاشور، وصفي أبو زيد، الهند: مجلة وحدة الأمة، العدد التاسع، ديسمبر ٢٠١٧.
- ٦٠- «المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى». الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، (ط ١)، قبرص: الجفان والجابي، ١٩٨٧م.
- ٦١- «المنتخب من مسند عبد بن حميد». عبد بن حميد، أبو محمد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، (ط ١)، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م.
- ٦٢- «الموطأ». مالك، أنس بن مالك، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية، د. ت.
- ٦٣- «نزاهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر». ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٤.
- ٦٤- «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن. تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.



(د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٦٥- «النهاية في غريب الحديث والأثر». ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، تحقيق: طاهر

أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (د. ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

٦٦- «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون

علومه». القيرواني، أبو محمد مكي، (ط ١)، جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب

والسنة، ٢٠٠٨م.

٦٧- «الوجوه والنظائر». العسكري، أبو هلال، تحقيق: محمد عثمان، (ط ١)، القاهرة: مكتبة

الثقافة الدينية، ٢٠٠٧م.





References and Sources

1. «*Ahkamu Al-Quran*». Al-Razi, Abu Bakr, investigated by: Mohammed Sadiq Al-Qamhawi, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1405 AH.
2. «*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*». Al-Emadi Mohammed, Abu Al-Saud, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, (without publishing date).
3. «*Asbab Nozol Al-Quran*» Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali, investigated by: Es-sam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Islah, 2nd Edition, 1992.
4. «*Adwau el-Bayan fi Edahu Al-Quran bil-Quran*». Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin. (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1995 AD.
5. «*Anwaru Attanzil wa Asraru Altawil*». Al-Baydawi, Nasser Al-Din, investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1418 AH.
6. «*Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer*». Abu Hayyan Al-Andalusi, Mohammed bin Yusuf, investigated by: Sidqi Mohammed Jamil, (d. I), Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
7. «*Al-bahrul-Madeed fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed*». Ibn Ajiba, Abu al-Abbas, investigated by: Ahmed Abdullah al-Qurashi, (no edition number), no publisher name, 1429 AH.
8. «*Tawilat Ahlu Assunah*». Al-Matridd, Abu Mansour. investigated by: Majdd Basloum, (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2005 AD.
9. «*Al-Tahreer wa Al-tanweer*». Ibn Ashour, al-Taheer. (No edition number), Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
10. «*Tafsir Al-Tasatri*». Al-Tustari, Abu Mohammed, investigated by: Mohammed Basil Oyoum Al-Soud, (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1423 AH.



11. «*Tafsir Al-Ragheb Al-Asfahani*». Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim, investigated by: Adel bin Ali Al-Shaddi, (1st edition), Riyadh: Dar Al-Watan, 2003 AD.
12. «*Tafseer Al-Quran Al-Hakeem*». Rashid Reda, Mohammed. (No edition number), Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
13. «*Tafseer Al-Quran Al-Azeem*». Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail. (2nd Edition), Lebanon: Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1999 AD.
14. «*Tafsir Al-Maraghi*». Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa, (1st edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore, 1946 AD.
15. «*Jami' al-Bayan an Taweil Ayat Al-Quran*» Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. (1st ediyion), Giza: Dar Al-Hijrah, 2001 AD.
16. «*Al-Jameiu Al-Mukhtassar m'n Sunan Arrrasul (PBUH) wa Marifatu Assahih wal Maaloul wa ma Alihi Al-amal*» *Al-Tirmizi*, Mohammed bin Isa bin Surah. (2nd edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Company, 1975 AD.
17. «*Al-Jamu Al-Musnad Assahihi Al-Mukhtasar m'n Omor Arrasul (PBUH)*». Al-Bukhari, Mohammed bin Ismail. (2nd Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2002 AD.
18. «*Al-Jamei Li-Ahkam Al-Quran*». Al-Qurtubi, Abu Abdullah. investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfiesh, (2nd ed.), Cairo: Egyptian Book House, 1964 AD.
19. «*Zadul-Massir fi Elm Attafseer*». Ibnul Jawzi, Abu al-Faraj, investigated by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1422 AH.
20. «*Zadu el-Maad fi Hadi Khairu el-Ebad*». Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (27th edition), Beirut: Al-Risala Foundation, 1994 AD.
21. «*Zahratu a-T'afaseer*» Abu Zahra, Mohammed bin Ahmed, investigated by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Fikr Al-Arabi, d.T., d.T.
22. «*Series of Authentic Hadiths with Certain of their Jurisprudence and Benefits*». Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Mohammed Nasir al-Din. (1st Edition), Riyadh: Knowledge Bookstore, 1995 AD.
23. «*Sunan Ibn Majah*». Ibn Majah, Abu Abdullah, investigated by: Shuaib Al-Arnaout et al, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Resala, 2009 AD.

24. **“Sunan Abi Dawood”**. Abu Dawood, Suleiman bin Al-Ashaat. (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
25. **“Al-Sunan Al-Kubra”**. Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, investigated by: Mohammed Abdul-Qadir Atta, (3rd Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2003 AD.
26. **“As’sedah Tajul’lughah wa Sehad Alarabiah”**. Al-Gohari, Abu Nasr Ismail, investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalein, 4th edition, 1987.
27. **“Sahih Ibn Hibban, by Ibn Balban”**. Ibn Hibban, Abu Hatim, investigated by: Shuaib Al-Arnaout, (2nd Edition), Beirut: Al-Resala Foundation, 1993 AD.
28. **“Al-Obodiyah.”** Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1st Edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987 AD.
29. **“Awn al-Mabood Sharh Sunan Abi Dawood”**. Al-Azim Abadi, Al-Siddiqi, (2nd Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
30. **“Gharib Al-Qur’an li Ibn Qutayba.”** Ibn Qutaiba, Abu Mohammed Abdullah, investigated by: Saeed Al-Lahham, (no edition number), without publishing date.
31. **«Al-Fatawa Al-Kobra”**. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1st Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1987 AD.
32. **«Fatah Al-Qadeer»**. Al-Shawkani, Mohammed bin Ali, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1414 AH.
33. **«Al-Forouq Allughawiyah»**. Al-Askari, Abu Hilal, (No edition number), Cairo: House of Science and Culture for Publishing and Distribution, without publishing date.
34. **“Al-fotouh Al_elahyiah wa al-Mafatih Al-Ghaybiyyah Al-Moddihah Lil-kalim Al-Quraaniyah wal Al-Hikam Al-Forqaniyyah”**. Al-Nakhjawani, Nimatu’llah bin Mahmoud, (1st Edition), Egypt: Rakabi Publishing House, 1999 AD.
35. **“Qawaidul-Ahkam fi Masaleh Al-Anam”**. Ibn Abd al-Salam, Izz al-Din, investigated by: Essam Ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan, Cairo: Al-Azhar Colleges Library, d.T, 1991.
36. **“Kitab Al-Ain”**. Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed, investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, Ibrahim Al-Samarrai, (No edition num-



- ber), Beirut: Al-Hilal Library and Library, without publishing date.
37. **“Al-Ka’shafa a’n Haqiu e’Tanzeel wa Ayoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Taweel”**. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, (3rd Edition), Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
 38. **«Al-Kashf wal Bayan a’n Tafseer al-Quran”**. Al-Thalabi, Abu Ishaq, investigated by: Mohammed bin Ashour, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 2002 AD.
 39. **“Lobab A’ttawil fi Maani At’tanzil”**. Al-Khazen, Aladdin, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
 40. **“Al-Lobab fi Oloum Al-Kitab”**, Al-Noamani, Abu Hafs Siraj Al-Din, investigated by: Adel Ahmed Abdel Mawgoed and Ali Mohammed Moawad, (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1998 AD.
 41. **“Lisan Al-Arab”**. Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. (3rd Edition), Beirut: Dar Sader, 1414 AH.
 42. **“Majazul Quran”**. Muammar bin Al-Muthanna, Abu Obeida. investigated by: Abdel Fattah Abu Ghadda, (2nd Edition), Cairo: Al-Khanji Library, 1962.
 43. **“Al-Mohkam wal Moheet al-Azam”** Al-Mursi, Abu Al-Hassan, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1, 2000.
 44. **“Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen”**. Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (third edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1996 AD.
 45. **«Madarik Al-Tanzil wa Haqaiqu Al-Taweel”**. Al-Nasafi, Abu Al-Barakat, (1st ed.), Beirut: Dar Al-Kalam Al-Tayyib, 1998 AD. No edition number
 46. **“Al-Mostadrak al-Assahain”**. Al-Hakim, Abu Abdullah. (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
 47. **“Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal»**. Ahmed, Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal. investigated by: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al (1st edition), 2001 AD.
 48. **“Al-Mosnad Al-Sahih Al-Mokhtasar Bi’Naql Al-Adl a’n Al-Adl ela Ar-rasoul (PBUH)**. Muslim, Abul-Hasan. investigated by: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, (No edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, without publishing date.



49. **“Al-Mosannaf”**. Al-San’ani, Abu Bakr Abdul-Razzaq, investigated by: Habib Al-Rahman Al-Azami, (2nd edition), Karachi, Pakistan: The Academic Board, 1983 AD.
50. **“Maalimu Tanzil fi Tafseer al-Quran”**. Al-Baghawi, Abu Mohammed Al-Hussein, investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1420 AH.
51. **“Maani Al-Quran wa Eaboh”**. Al-Zaggag, Abu Is’haq. investigated by: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. (1st edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 1988 AD.
52. **“Al-Mojamu Al-Kabeer”**. Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed. investigated by: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, (2nd Edition), Riyadh: Dar Al-Sumaei, 1994 AD.
53. **“Mojam Al-Lughah al-Arabiyah Al-Moasirah”**. Mokhtar, Ahmed, (1st Edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 2008.
54. **“Al-Mojam Al-Mofahras Lalfaz Al-Quran Al-Kareem”**. Abdel-Baqi, Mohammed Fouad, (No edition number), Egypt: The Egyptian House of Books Press, 1945 AD.
55. **“Mujam Maqaeis Al-Lughah”**. Ibn Faris, Abu Al-Hussein, investigated by: Abdel Salam Mohammed Haroun, (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1979 AD.
56. **“Mafatih el-Ghaib”**. Al-Razi, Abu Abdullah. (3rd Edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, 1420 AH.
57. **“Mofradat fi Gharibul Quran”**. Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim. (1st edition.), Beirut: Dar Al-Qalam, 1992 AD.
58. **“The Objectives of Islamic Sharia and its Merits.”** Ashour, Wasfi Abu Zaid, India: The Nation Unity Magazine, Issue No. 9, December 2017.
59. **“The Most High Purpose in Explaining the Meanings of Allah’s Most Beautiful Names”**. Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi, investigated by: Bassam Abdel-Wahhab Al-Jabi, (1st Edition), Cyprus: Al-Jafan and Al-Jabi, 1987 AD.
60. **“Al-Montakhab m’n Musnad Abd ibn Hamid»**. Abd bin Hamid, Abu Mohammed, investigated by: Subhi Al-Badri Al-Samarrai, Mahmoud Mohammed Khalil Al-Saidi, (1st edition), Cairo: Maktabat Al-Sunna, 1988 AD.



61. **“Al-Muwatta”**. *Malik, Anas bin Malik*, investigated by: Abdel Wahab Abdel Latif, (d.), Beirut: The Scientific Library, d.T.
62. **“Nozhat Al-Oyoun Al-Nawazir fi Elm Alwojoh wan-Nawazir»**. *Ibn al-Jawzi*, Abu al-Faraj Abdurrahman, investigated by: Mohammed Abd al-Karim Kazem al-Radi, Beirut: Al-Resala Foundation, 1st edition, 1984.
63. **“Al-Nokat wal-Oyoun”**. Al-Mawardi, Abul-Hasan. investigated by: Al-Sayyid bin Abdul-Maqsoud bin Abdul-Rahim. (No edition number), Beirut: Dar Al-Kotub al-Elmiyah,
64. **“The End in Strange Hadith and Impact”**. Ibn al-Atheer, Majd al-Din Abu al-Saadat, investigated by: Taher Ahmad al-Zawi - Mahmoud Mohammed al-Tanahi, (No edition number), Beirut: Al-Maktabah El-Elmiyah, 1979. AD
65. **“Al-Hidayah ela Bolough Al-Nihayah fi Elm Maani Al-Quran wa Tafseerih wa Ahkamih wa Jomalon m’n Olomih”**. Al-Qayrawani, Abu Mohammed Makki, (1st Edition), University of Sharjah: Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group, 2008.
66. **“Al-Wojoh wal Nazair”**. Al-Askari, Abu Hilal, investigated by: Mohammed Othman, (1st Edition), Cairo: Religious Culture Library, 2007 AD.





فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

- المستخلص ٢٣
- المقدمة ٢٧
- المبحث الأول: تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم ٣٥
- المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية ٣٦
- المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم ٣٩
- المطلب الثالث: مفهوم مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم ٤٠
- المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في القرآن الكريم ٤١
- أولاً: البلاء بالخير ٤١
- ثانياً: البلاء بالشر ٤٣
- المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرّحمة وابتلاء العقوبة ٤٧
- المطلب السادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم ٤٩
- المطلب السابع: رسومات بيانية تبين الصّيغ التصريفية لمادة «بلا» في سور القرآن الكريم ٥٠
- المطلب الثامن: تحليل نتائج الرّسومات البيانية: ٥٥



- المبحث الثاني: مقاصد البلاء في القرآن الكريم ٦٣
- المطلب الأوّل: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده ٦٥
- المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكُّل ٧٠
- المطلب الثالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء ٧٤
- المطلب الرَّابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر ٨٢
- المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرِّضا ٨٧
- المطلب السَّادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر ٩٣
- المطلب السَّابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوبة ٩٩
- المطلب الثَّامن: البلاء بمقصد الرِّحمة ١٠٣
- المطلب التَّاسع: البلاء بمقصد التَّمحيص ١١٣
- المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج ١١٩
- المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف ١٢٥
- المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة ١٣٠
- الخاتمة ١٣٧
- ثبت المصادر والمراجع ١٤٠
- رومنة المصادر والمراجع ١٤٦
- فهرس الموضوعات ١٥٢



مَجَلَّةُ تَدْوِينِ

.....

الضِّيَافَةُ مَشْرُوعِيَّتُهَا، وَآدَابُهَا، وَحِكْمُهَا

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



د. سُلْطَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَبْرُوعِ

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٥/١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٦/١٤

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- ◆ حصل على درجة الماجستير في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعنوانها (أقوال الحافظ ابن حجر في التفسير في فتح الباري - جمعًا ودراسة -) .
- ◆ حصل على درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعنوانها: (أقوال القاضي عياض في التفسير - جمعًا ودراسة -) .

◆ النّاتج العّلمي:

- ١- بحث بعنوان : (الاستشفاء بالقرآن الكريم)
- ٢- بحث بعنوان : (قصة إبراهيم ؑ مع أبيه في القرآن الكريم في ضوء سورة مريم)
- ٣- بحث بعنوان : (فضائل الآيات القرآنية في ضوء السنة النبوية) .

◆ البريد الشبكي : soltan.a.g@gmail.com



المستخلص

بيّن الإسلام من خلال القرآن والسنة الصحيحة كيف ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في طعامه وشرابه، وفي سلامه واستئذانه، وفي مجالسته وحديثه، وفي جدّه ومزاحه، وفي قيامه وجلوسه، وغير ذلك من الآداب التي لا حصر لها.

والأدب أنواع: أدب مع الله، وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه، وأدب مع الخلق، وأدب مع النفس، وبحثنا هذا عن نوع من أنواع أدب الإنسان مع الخلق وهو «أدب الضيافة».

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى، ببيان آداب الضيافة الواردة فيه، ولحاجتنا إلى معرفة أحكام الضيافة، وآدابها؛ لأنها من الأخلاق النبيلة والقيم المحمودة.

وبينّا في هذا البحث أن الضيافة: اسم لإكرام الضيف، والإحسان إليه. وقد ورد في مشروعية الضيافة وفضلها نصوص عدة، من الكتاب والسنة، كما جاء عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأقوال والأحوال ما يبيّن فضل هذا الخلق الجميل.

كما أشرنا إلى أنه قد ورد في القرآن آداب عدة للضيافة - وهذا مقصد البحث - كمشروعية السلام قبل الكلام عند الدخول للضيف، وأن يكون رد التحية بأفضل وأبلغ من الابتداء مع حسن مخاطبة الضيف، والتلطف في الحديث معه،



مع الاستعجال بالضيافة للضيف، وأن يكون الإنسان مستعدًّا لإكرام الضيف في كل وقت، وأن يخدم الضيف بنفسه، وأن يُحْضِرَ الإنسان لضيفه أطيب ما عنده.. وغيرها من الآداب، وهناك آداب أُخرى دلت عليها السنة النبوية.

كما ذكرنا أن الضيافة فيما زاد على ثلاثة أيام صدقة من الصدقات، وأما في الأيام الثلاثة فاختلف أهل العلم على أقوال، والراجح -والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز -لا المقيم- واجبة، وأن جوبها على أهل القرى والأمصار دون تفريق؛ لقوة ما استدلوا به.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية:

الضيافة، آداب، القرآن، السنة، الأخلاق.





Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran

prepared by

Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou⁶

Assistant Professor at the Department of Quran and its Sciences, the College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University

Abstract

Islam clarifies, through the Holy Quran and the authentic Sunnah, how a Muslim should behave in his daily routines, including eating and drinking, greeting, asking permission (to enter someone else's house), socializing with others, speaking, jesting and seriousness and all other countless rules of etiquette.

Rules of etiquette can be divided into rules of etiquette concerning Allah, rules of etiquette concerning the Prophet, rules of etiquette concerning Sharia, rules of etiquette concerning people, and rules of etiquette concerning oneself. The topic of this paper is about rules of etiquette concerning people, namely the etiquette of hospitality.

The reason why we choose this topic is that we have a desire to serve the Book of Allah, the Almighty, by highlighting the etiquette of hospitality contained therein and need to learn about the rulings and etiquette of hospitality. Because hospitality is one of the good manners and laudable values.

We have explained in this paper that hospitality means entertaining and treating a guest kindly. Numerous texts from the Quran and the Sunnah confirm the legitimacy and virtue of hospital-

ity. Moreover, the Companions, Followers and others are reported to have made meaningful statements and had habitual practices that cast more light on the virtue of this good manner.

We also point out that a number of the rules of etiquette on hospitality are reflected in the Quran- the purpose of the paper –, and they include the following: that one should extend the greeting before speaking when the guest is let in; that the greeting is to be returned in a better and more expressive way; that one should talk to the guest in a friendly and polite manner; that one should entertain the guest as quickly as possible; that one should be ready to entertain the guest at any time; that one himself should serve the guest; that one should bring the best stuff he has for the guest. There are other rules of etiquette clarified by the Prophetic Sunnah.

We also state that hospitality that lasts for more than three days is a kind of charity. As for the three-day hospitality, scholars differ on it. However, the most correct view is that giving hospitality to a transiting traveler, not the expatriate is obligatory for the inhabitants of villages and cities alike. This ruling is based on rigorous reasoning.

Keywords:

Hospitality-etiquette-the Quran-the Sunnah-manners





المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد^(١):

فقد قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

(١) هذه خطبة تُسمى عند العلماء خطبة الحاجة، وكان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه، ويعلمها أصحابه. رواها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ح ٢١١٨)، والترمذي في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ح ١١٠٥)، وغيرهما. وصححها الألباني في صحيح أبي داود (ح ١٨٦٠)، وقد أفردها الشيخ الألباني في رسالة خاصة باسم خطبة الحاجة فجمع ألفاظها، وطرقها، وبيّن من خرّجها.



وقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

◆ أ- موضوع البحث، وأهميته:

القرآن الكريم تبيانٌ وبيان تامٌّ لكلِّ ما يحتاجه الإنسان في مسيرته في الحياة الدنيا؛ من عقيدةٍ صحيحةٍ، وسلوكٍ قويمٍ، وشريعةٍ مُحَكَّمَةٍ، فلا حِجَّةَ بعده لمحتجٍّ، ولا عذرٍ لمعتذرٍ، فلا عقيدة أو سلوك أو شريعة يَرْضَاهَا اللهُ إِلَّا ما جاء فيه، ولا صلاح للفرد والجماعة إلا بالتمسك بما جاء فيه.

لقد بين الإسلام من خلال القرآن الكريم، والسنة الصحيحة كيف ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في طعامه وشرابه، وفي سلامه واستئذانه، وفي مجالسته وحديثه، وفي جدِّه ومزاحه، وفي تهنئته وتعزيتته، وفي عطاسه وتثاؤبه، وفي قيامه وجلوسه، وفي حلِّه وترحاله، ونومه وقيامه، وغير ذلك من الآداب التي لا حصر لها.

إن هذه الآداب التي جاءت بها الشريعة هي من جوانب عظمة هذا الدين لتقويم حياة الناس وتمييز المسلمين عن غيرهم؛ ليظهر سمو هذه الشريعة وكمالها وعظمتها، والدين أدبٌ كُلُّهُ، ونحن بأمس الحاجة إلى التمسك بالآداب الشرعية الذي يقود إلى التمسك بالدين كله. وكان ابن المبارك يقول لأصحاب الحديث: «أنتم إلى قليلٍ من الأدب أحوج إلى كثيرٍ من العلم»^(١).

(١) رواه ابن المقرئ في معجمه (ص: ٢٦٨، رقمه: ٨٧١). انظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١)

(٢٣١)، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٥٦).



والأدب أنواع: أدب مع الله، وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه، وأدب مع الخلق (١)، وأدب مع النفس، وبحثنا هذا عن نوع من أنواع أدب الإنسان مع الخلق، وهو: «آداب الضيافة».

قال ابن القيم -مبيّنًا الأدب مع الخلق وأهميته-: «أمّا الأدب مع الخلق فهو معاملتهم -على اختلاف مراتبهم- بما يليق بهم، فكلّ مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص، فمع الوالدين أدبٌ خاصٌّ، وللأب منهما أدب هو أخصُّ به، ومع العالم أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهله، ولكلِّ حالٍ أدب: فلأكلٍ آداب، وللشرب آداب...، وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب...».

ثمّ قال عن حقوق الخلق: «ألا يفرّط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه» (٢).

وبحسبي هذا ليس لتفصيل كل ما يتعلق بالضيافة، وإنما هو عن: «الضيافة: مشروعيتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم»، وما يلزم من المباحث المرتبطة بأصل البحث.

◆ ب- أسباب اختيار الموضوع:

١ - الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى، ببيان آداب الضيافة الواردة فيه.

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٣٥٦).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٣٦٨ - ٣٧١).



٢- بيان عظمة هذا الدين، وسمو الشريعة وكمالها وشموليتها لجميع مناحي الحياة.

٣- الدعوة إلى التمسك بدين الله الذي جاء لسعادتنا في الدنيا والآخرة، وذلك بالدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق ومعالي الآداب؛ لأن الدين كله خلق، والتمسك بالآداب الشرعية يقود إلى التمسك بالدين كله.

٤- حاجتنا إلى معرفة أحكام الضيافة، وآدابها؛ لأنها من الأخلاق النبيلة المنتشرة بيننا بفضل الله تعالى، فما منا أحد إلا وقد كان -أو يكون- ضيفاً أو مضيفاً.

٥- إظهار محاسن الإسلام ببيان عنايته الفائقة بالضيف وإكرامه، حيث جعل الضيافة واجبة على المضيف لمدة يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام.

٦- أن الضيافة من القيم المحمودة، والعادات النبيلة للعرب قبل الإسلام، وجاء الإسلام بإقرارها. كما قالت عائشة رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلام وفي العرب بضع وستون خصلة كلها زادها الإسلام شدة، منها: قرئ الضيف، وحسن الجوار، والوفاء بالعهد»^(١).

٧- أنها تزيد من تماسك المجتمع وتلاحمه، وتقوي الروابط الاجتماعية، وتزيل ما في النفوس من الحزازات.

ج- الدراسات السابقة:

موضوع الضيافة عموماً من الموضوعات التي تناولتها الكتب التي تعنى بالآداب الشرعية عموماً ضمن أبوابها ومباحثها، مثل: الغزالي أفرد لها باباً في

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص: ٢٦، رقمه: ٣٥).



كتابه (إحياء علوم الدين)^(١)، والسفاريني في (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)^(٢)، وابن مفلح في (الآداب الشرعية) وغيرهم. وأفردها بعض العلماء بالتأليف خصوصاً، ومما وقفت عليه منه:

١- (قرئ الضيف) لابن أبي الدنيا، وهو: أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، حقق الكتاب وأخرج أحاديثه: عبدالله بن حمد المنصور، والناشر: أضواء السلف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، وعدد صفحاته: (٥٤).

ويعتبر الكتاب من كتب السنة، خرَّج فيه مؤلفه ﷺ الأحاديث والآثار الواردة في قرئ الضيف، وبيان فضله، وأول من ضيَّف الضيف، وما إلى ذلك، وهو بهذا يختلف عن موضوع البحث تمامًا.

٢- (إكرام الضيف) لإبراهيم الحربي، وهو: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي من أعلام المحدثين، أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محللة فيها. وُلد سنة (١٩٨هـ)، وتوفي سنة (٢٨٥هـ)، كان حافظاً للحديث، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، قيماً بالأدب، زاهداً، وحقق الكتاب وخرج أحاديثه: أبو عمار عبدالله بن عائض الغرازي، ومراجعة وتقديم: مقبل بن هادي الوادعي، والناشر: مكتبة الصحابة - طنطا، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ)، وعدد الصفحات: (٦٠).

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٢ وما بعدها)، وفيه: «الباب الرابع: في آداب الضيافة».

(٢) انظر: «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفاريني (٢/ ١٤٨ وما بعدها) وفيه: «مطلب: في

آداب الضيافة».



ويعتبر من كتب السنة حيث خرّج فيه مؤلفه رحمه الله أحاديث في فضل إكرام الضيف، والترهيب من تركه بغير ضيافة أو إكرام، وذكر فيه الآداب المتعلقة بالضيافة؛ كحكم الضيافة وما إلى ذلك، وبهذا يتبين الفرق بينه وبين ما تناوله البحث.

٣- (أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية) لإسماعيل شندي، بحث منشور في مجلة جامعة الخليل للبحوث. المجلد (٣)، العدد (١)، ص (٢٣٧ - ٢٦٦)، عام (٢٠٠٧م). ويدور البحث حول موضوع: (أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية)، وقد انبنى من ستة مباحث: الأول في بيان معنى الضيافة. والثاني في فضلها، والثالث في حكمها. والرابع في المخاطب بها، والخامس في بيان ما تشمله. والسادس في آدابها.

ولا يخفى أن البحث عام في أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية، ويختلف عن بحثي الذي هو في (الضيافة: مشروعيّتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم).

٤- (الضيافة في الإسلام: دراسة فقهية اقتصادية) لعبدالعزیز بن أحمد العليوي، بحث منشور في المجلة العالمية للتسويق الإسلامي، المجلد (٣)، العدد (٣)، ٣١ أغسطس / آب ٢٠١٤م، ص (١٣٦ - ١٤٤). الناشر: الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي، دولة النشر: المملكة المتحدة.

اطلعت على البحث في الشبكة العنكبوتية اطلاقاً عاماً، وواضح من عنوانه أنه تناول الضيافة في الإسلام بدراسة فقهية اقتصادية، وبذلك يختلف عن بحثي اختلافاً واضحاً.



د- خطة البحث:

ستكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرسين.
المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة،
وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة [وفيه مطلبان]:

المطلب الأول: تعريف الأدب لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الضيافة لغةً واصطلاحًا.

المبحث الأول: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آداب الضيافة في القرآن الكريم [وفيه مطلبان]:

المطلب الأول: آداب المضيف.

المطلب الثاني: آداب الضيف.

المبحث الثالث: حكم الضيافة في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

والفهرسان: أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

ه- منهج البحث:

تمت الكتابة -بحمد الله- في هذا البحث وفق المنهج الآتي:

١- جمع واستقصاء الآيات الواردة في آداب الضيافة في القرآن الكريم.



٢- دراسة تلك الآيات من عدة من الجوانب معتمداً على كلام أهل التفسير والعلماء المتقدمين والمتأخرين:

أ- بيان معنى الضيافة في اللغة والاصطلاح.

ب- مشروعية الضيافة، وفوائدها.

ج- آداب الضيافة.

د- حكم الضيافة.

٣- أفراد الآية - أو الآيات - التي تضمنت أدباً من آداب الضيافة بشرح مستقل، مرقماً إياه برقم خاص ضمن الأرقام التسلسلية، وقد بلغت تلك الآداب تسعة عشر (١٩) أدباً: فثلاثة عشر (١٣) منها متعلقة بالمضيف، وستة (٦) منها متعلقة بالضيف.

٤- اعتمدت على كلام أهل التفسير وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين في دلالة الآية - أو الآيات - على هذا الأدب، مع ذكر بعض الأحاديث والآثار المتعلقة به من باب زيادة التوضيح والبيان.

٥- عزو الآيات الواردة في البحث إلى مواضعها من القرآن الكريم، مع بيان اسم السورة ورقم الآية داخل المتن.

٦- نسخ الآيات الواردة في البحث من مصحف مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.

٧- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن خرجته من كتب السنة الأخرى مع بيان حكم أهل العلم عليه.



٨- توثيق ما أورده من أقوال أهل العلم، بغزوها إلى مصادرهما ومطابقتها.

٩- شرح الكلمات التي قد تحتاج إلى بيان وإيضاح.

وأخيراً، فهذا قَدْرِي، وهذه قدرتي، وهو جهد المقل، وعمل بشري يعتريه النقص والخطأ، والزلل والسهو، وتختلف فيه وجهات النظر، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه، وأنتظر تصويب أهل العلم، وأداء النصيحة فيه، سائلاً الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يكون هذا العمل حجة لنا لا علينا، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.





التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة

[وفيه مطلبان]

◆ المطلب الأول: تعريف الأدب لغةً:

يُقال: أدَّبه فتأدَّب؛ علَّمه، وفلان قد استأدب، بمعنى: تأدَّب. والأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمي أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد -أي: يدعوهم إليها-، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب: الدعاء، ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة^(١).

والأدب في الاصطلاح: استعمال ما يُحمد قولًا وفعالًا.

وقيل: هو الأخذ بمكارم الأخلاق.

وقيل: هو الوقوف مع المستحسنات.

وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك.

وقيل: هو ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة.

وقيل: هو ما يؤدي بالناس إلى المحامد.

وقيل: اجتماع خصال الخير في العبد^(٢).

(١) انظر: المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (ص: ٢٢) (أدب)، ولسان العرب لابن منظور (٢٠٦/١) (أدب).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٧٤)، وفتح الباري لابن حجر (٣/١٢)، وفيض القدير



وقيل: «عبارة عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ»^(١).

وقيل: هو «كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»^(٢).

وهذه تعاريف متقاربة ومتداخلة، وكثير منها أشار إلى جانب من جوانب الأدب، وخصلة من خصاله، ولعل التعريف الأخير هو أشملها.

◆ المطلب الثاني: تعريف الضيافة:

هي لغة: مصدر ضاف، وضفت الرجل ضيفاً وضيافة. ويصلح الضيف للواحد والاثنين والجمع، والمؤنث والمذكر؛ كعدل وخصم، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، وقد يُجمع فيقال: أضياف، وضيوف، وضيغان.

والاسم: الضيافة. و«ضِفْتَهُ» إذا نزلت به وأنت ضيف عنده، و«أَضَفْتَهُ» بالألف إذا أنزلته عندك ضيفاً. ويقال: أضفته إضافةً إذا لجأ إليك من خوف فأجرته. وتضيفني فضيفته إذا طلب القرى فقريته، وسُمي الضيف ضيفاً لإضافته إليك، ونزوله عليك^(٣).

= للمناوي (١/ ٢٢٤)، وتاج العروس للزبيدي (٢/ ١٢ - ١٣)، مادة: (أدب).

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ١٥).

(٢) الكلبيات للكفوي (ص: ٦٥).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٨٣)، الكشف والبيان للثعلبي (٥/ ٣٤٤)، والمفردات للراغب (ص ٥١٣)، ومختار الصحاح للرازي (ص ٣٨٦)، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٠٨) كلهم في (ضيف). وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٥)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٣٩١) (ضيف)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (٢/ ٣٦٦) (ضيف)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لفيروز أبادي (٣/ ٤٨٩).



اصطلاحًا: «اسم لإكرام الضيف، والإحسان إليه»^(١).

وقيل: «القيام بحاجات النازل بالدار ونحوها إذا كان من غير أهلها»^(٢).

والضيف معروف، وهو: النازل في منزل أحد فيأكل من طعامه، أو يشرب من

شرابه؛ نزولاً غير دائم؛ لأجل مرور في سفر، أو إجابة دعوة، وغير ذلك^(٣).



(١) الموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٣١٦ / ٢٨).

(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي (ص ٢٨٦).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١ / ٢٢٩)، ولسان العرب لابن منظور

(٩ / ٢٠٨) (ضيف)، والمفردات للراغب (ص ٥١٣)، وعمدة الحفاظ للسمين (٢ / ٣٩١)

(ضيف)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٣١٦ / ٢٨)، والتحرير والتنوير

لابن عاشور (٦ / ١٢٨)، والشرح الممتع لابن عثيمين (١٥ / ٤٨).



المبحث الأول:

مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم

الضيافة من سنن المرسلين، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الدين، ومن العادات النبيلة التي تفاخرت بها العرب في جاهليتهم، وجاء الإسلام بإقرارها، والإشادة بها، والتأكيد عليها، وقد أجمع العلماء على مدح مُكرم الضيف، والثناء عليه^(١). وورد في مشروعية الضيافة وفضلها نصوص عدة من الكتاب، ومن ذلك:

١ - **ومن ذلك قوله تعالى:** ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فمن البر: إعطاء ابن السبيل، على قول من فسّر من المفسرين ﴿وَأَبْنَ السَّبِيلِ﴾ بأنه الضيف ينزل بالرجل^(٢).

قال ابن كثير: «ويدخل في ذلك الضيف»^(٣).

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (١/ ٢٣٠)، والاستذكار لابن عبد البر (٨/ ٣٦٧)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ٤٣)، وشرح مسلم للنووي (٢/ ١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٣/ ٨٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٧)، وقد ذكر ابن كثير عددًا من أئمة التفسير رأوا هذا.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٨٧).



وقال ابن تيمية: ﴿وَأَبْنُ السَّبِيلِ﴾: قرئ الضيف»^(١).

٢- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ

سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

على تفسير مجاهد، حيث قال: «هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن إليه، فقد

رخص الله له أن يقول فيه»^(٢).

وعنه -أيضاً- أنه قال: «هو في الضيافة، يأتي الرجل القوم، فينزل عليهم فلا

يضيفونه، رخص له أن يقول فيه»^(٣). فالمؤمن يتجنب أن يذكر بسوء.

قال الطبري: «لا يحب الله -أيها الناس- أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بمعنى: إلا من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسىء عليه. وإذا كان

ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقَرَّ، أو أسىء قراه، أو نيل بظلم في نفسه أو ماله

عنوةً من سائر الناس. وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في

دعائه عليه إعلاماً منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له»^(٤).

٣- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْعَامٍ مِّنْ أَيْكُمُ اللَّاتِرُونَ

أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

قال السعدي -معدداً فوائد الآية-: «ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ١٣٤).

(٢) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٢٨). وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٤٣).

(٣) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧/ ٦٢٩). وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٤٣).

(٤) جامع البيان للطبري (٧/ ٦٣١ - ٦٣٢).



المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته: ﴿الآتِرُونَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (١).

٤- وقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ط قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧٧].

قال ابن عاشور: «وفي الآية مشروعية ضيافة عابر السبيل إذا نزل بأحد من الحي أو القرية» (٢).

كما أن في الآية ذمًا من الله لمن لم يقيم بها، قال القرطبي: «قوله: ﴿فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفَهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] فاستحق أهل القرية لذلك أن يُذمَّوا، ويُنسبوا إلى اللؤم والبخل» (٣).

وقال قتادة في هذه الآية: «شرُّ القرى التي لا تضيِّف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه» (٤).

«وإظهار لفظ ﴿أَهْلَهَا﴾ دون الإتيان بضميرهم بأن يقال: استطعماهم، لزيادة التصريح تشنيعاً بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيفوهما، وذلك لؤم؛ لأن الضيافة كانت

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٤٥٠).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/ ١٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٥). ويظهر أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى ﷺ إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء. انظر في ذلك: المرجع السابق (١١/ ٢٥)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣).

(٤) رواه عنه الطبري في جامع البيان (١٥/ ٣٤٧)، وذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٥).



شائعة في الأمم من عهد إبراهيم عليه السلام وهي من المواساة المتبعة عند الناس، ويقوم بها من يُتَدَب إليها ممن يمر عليهم عابر السبيل، ويسألهم الضيافة، أو من أعد نفسه لذلك من كرام القبيلة، فإبابة أهل قرية كلهم من الضيافة لؤم لتلك القرية»^(١).

٥- قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

قال ابن سعدي -في فوائد هذه الآية-: «ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمداً وأُمَّته أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضوع على وجه المدح والثناء»^(٢).

وكان إبراهيم عليه السلام مضيافاً، ويكنى أبا الضيفان^(٣)، بل جاء أنه أول من ضيَّف الضيف^(٤).

قال ابن عطية: «وحسبك أنه أوقف للضيافة أوقافاً تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها»^(٥).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/١٦). انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/٣٠٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/٩٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٣/١٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥/١٠)، والنكت والعيون للماوردي (٥/٣٦٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في قرى الضيف (ص ١٨) (٥)، ومكارم الأخلاق (ص ٢٦) (٣٥). وابن أبي عاصم في الأوائل (ص ٦٣) (١٨). والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/١٣٦) رقمه (٩١٧٠). وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٣٦١، ح ٧٢٥): «...سند حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون». ورواه مالك في الموطأ (٢/٩٢٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٣٣١)، رقم (٣١٨٣١) موقوفاً على سعيد بن المسيب.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٣/١٥).



٦- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠] كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقرئ الضيف»^(١).

وجاءت السنة بالتأكيد على هذه المشروعية^(٢)، ومن ذلك:

١- أن من أعظم أخلاق وصفات رسول الهدى ﷺ أنه كان يقري الضيف، فمن تحلى بها فهو مقتدٍ بخير البشرية ﷺ، كما جاء عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: «أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل»^(٣)، وتقرئ الضيف...»^(٤).

٢- ومن ذلك أن إكرام الضيف من خصال الإيمان^(٥)، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٦).

- (١) ذكره عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٣٧٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٥٨).
- (٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٦/ ٥٤٣)، وشرح مسلم للنووي (١٣/ ١٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٧٠٢).
- (٣) هو: الإنفاق على الضيف واليتيم. انظر: إكمال المعلم لعياض (١/ ٤٨٦)، وشرح مسلم للنووي (٢/ ٢٠١)، والنهية لابن الأثير (٤/ ١٩٨) (كلل).
- (٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان (ح ٣) (١/ ١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ٢٥٢)، (١/ ١٣٩).
- (٥) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٣٣).
- (٦) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح ٦٠١٨)،



قال ابن حجر: اشتمل الحديث على أمور ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية، أما الأولان فمن الفعلية، وأولهما يرجع إلى الأمر بالتخلي عن الرذيلة، والثاني يرجع إلى الأمر بالتحلي بالفضيلة، وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله، قولاً بالخير، وسكوتاً عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركاً لما يضر (١).

٣- ومن ذلك ما جاء من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ» (٢).

٤- ومن ذلك أن قرئ الضيف كان معروفاً عند العرب، يتنافس فيه كرامهم، ويُعدُّ من مناقبهم؛ بل كان عند كرامهم بيت ضيافة ينزل فيه من يمرُّ بهم، فلما جاء الإسلام أقرَّ هذا الخلق الكريم، وزاده شدةً وتوثيقاً؛ كما جاء عن السائب بن عبد الله قال: جيء بي إلى النبي ﷺ يوم فتح مكة، جاء بي عثمان بن عفان وزهير، فجعلوا يثنون عليه؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «لَا تَعْلَمُونِي بِهِ، قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ» قال: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَعَمَ الصَّاحِبُ كُنْتُ؛ فقال: «يَا سَائِبُ، انْظُرْ أَخْلَاقَكَ الَّتِي

= (٤ / ٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان (ح ٧٤)، (١ / ٦٨).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٦٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨ / ٦٣٥، ح ١٧٤١٩). وقال محققو المسند (٢٨ / ٦٣٥): «حديث حسن». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٧٥): «ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وحديثه حسن». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٥٦١، ح ٢٤٣٤) قائلاً: «... وحديث ابن لهيعة من رواية عبد الله بن وهب صحيح؛ لأنه روى عنه قبل أن يسوء حفظه كما حققه بعض الأئمة... فصح الحديث بهذه الرواية، والحمد لله».



كُنْتُ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ: أَقْرِ الضَّيْفَ، وَأَكْرِمِ الْيَتِيمَ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ»^(١).

وأما الآثار عن السلف في الحَضِّ عَلَى الضِّيَافَةِ وإِكْرَامِ الضُّيُوفِ فكثيرة جدًّا، ومنها:

١- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق البأس في طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتذمُّمُ للجار، والتذمُّمُ للمُصاحِبِ، وقِرَى الضيف، ورأسهن الحياء»^(٢).

٢- وعن علي رضي الله عنه قال: «لأن أجمع ناسًا من إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أدخل سوقكم هذه فأبتاع نسمة فأعتقها»^(٣).

٣- وقال أبوهريرة رضي الله عنه لقوم نزل عليهم، فاستضافهم، فلم يضيفوه، فتنحى ونزل، فدعاهم إلى طعامه، فلم يجيبوه، فقال لهم: «لا تنزلون الضيف، ولا تجيبون الدعوة! ما أنتم من الإسلام على شيء، فعرفه رجل منهم، فقال له: انزل عافاك الله،

(١) رواه أحمد في المسند (٢٤ / ٢٥٨، ح ١٥٥٠٠)، وضعَّفَ محققو المسند (٢٤ / ٢٥٨) إسناده.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٩٠): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ٢٦، رقمه ٣٦). قال محققه مجدي السيد إبراهيم:

«إسناده ضعيف»، وذكر الأثر ابن عبد البر في التمهيد (٢٤ / ٣٣٤). ومعنى التذمُّم للمُصاحِبِ أو

الجار هو: أن يحفظ ذمامه، وي طرح عن نفسه ذم الناس إن لم يحفظه. انظر: غريب الحديث لابن

الجوزي (١ / ٣٦٥)، لسان العرب (١٢ / ٢٢٠) (ذمم)، وتاج العروس (٣٢ / ٢٠٩) (ذمم).

(٣) رواه البرجلاني في الكرم والجود (ص ٤٩، رقمه ٤٣)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص ٣٧٥،

رقمه ١٧١).



قال: هذا شرٌّ وشرٌّ، لا تُنزلون إلا من تعرفون؟!»^(١).

٤- وقال عبدالله بن الحارث بن جَزء: «من لم يُكْرِم ضيفه فليس من محمد، ولا من إبراهيم»^(٢).

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: «إن زكاة الرجل في داره أن يجعل فيها بيتاً للضيافة»^(٣).

ولعل ما ذُكر فيه كفاية، وإلا فالأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تُحصى، كما قال الغزالي^(٤). وأجمع العلماء على مدح مكرم الضيف، وأن قرى الضيف وحسن القيام عليه لم يزل من شيم الكرام، وعادات الصالحين، ومَنع القرى مذموم على الألسن، وصاحبه ملوم^(٥).

- قال شقيق البلخي: «ليس شيء أحب إلي من الضيف؛ لأن مؤنته على الله تعالى، ومحمدته لي»^(٦).

(١) ذكره عنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٥٦).

(٢) رواه ابن المبارك في الجهاد (ص ١٤٧، رقمه ١٨٤)، والزهد (ص ٢١٨، رقمه ٦١٤) وسعيد بن منصور في

سننه (٢/ ١٦٧، رقمه ٢٤٣٧)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٢/ ٢٧٧، رقمه ٢٣٣١) قال: «قال أبي:

روى هذا الحديث ابن المبارك فقال عن إبراهيم بن نشيط عمّن حدثه عن عبدالله بن الحارث بن جَزء».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف (ص ٤٧، رقمه ٦٦)، والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٤٢، رقمه

٩١٨٠)، والأصفهاني في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩، رقمه ٢٠٣٠) من طريق سويد بن سعيد

وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب (ص ٢٦٠)، ومن طريق حمزة بن حسان وهو مجهول. لسان

الميزان (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٤).

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٢١)، والاستذكار لابن عبد البر (٨/ ٣٦٧).

(٦) ذكره عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٥).



- وقال أبو حاتم: «وقرى الضيف يرفع المرء وإن رق نسبه إلى منتهى بغيته، ونهاية محبته، ويشرفه برفيع الذكر، وكمال الذخر»^(١).

- وقال ابن العربي: «هي من مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة بين الخلق»^(٢).

- وقال القاضي عياض: «والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين»^(٣).

وقال ابن عبد البر: «لا أعلم خلافاً بين العلماء في مدح مضيف الضيف وحمده، والثناء عليه، وكلهم يندب إلى ذلك، ويجعله من مكارم الأخلاق وسنن المرسلين؛ لأنه ثبت أن إبراهيم عليه السلام أول من ضيَّف الضيف، وحضَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضيافة، وندب إليها»^(٤).



(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم محمد بن حبان (ص ٢٥٨).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (٣ / ٢٠).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١ / ٢٨٥).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٢١ / ٤٣). انظر: الاستذكار لابن

عبد البر (٨ / ٣٦٧).



المبحث الثاني:

آداب الضيافة في القرآن الكريم [وفيه مطلبان]

المطلب الأول: آداب المضيف:

ورد في كتاب الله آداب كثيرة، وعلى قدر تحلي المضيف بها ومراعاتها يكتمل إحسانه لضيفه، وتقديره إياه، وتتم ضيافته على أحسن وجه، وهي أشرف الآداب إطلاقاً، وما عداها من التكلفات إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب القرآنية شرفاً وفخراً لمن تمسك بها^(١). ومن أهمّها:

١- أن يكون رد تحية الضيف بأفضل وأبلغ من الابتداء:

كما دل على ذلك قوله ﷺ: ﴿قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩]، فسلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق، فرفع المصدر أبلغ من نصبه؛ لأن الرفع فيه تنامي معنى الفعل فهو أدل على الدوام والثبات، ولذلك خالف بينهما للدلالة على أن إبراهيم ﷺ رد السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام^(٢).

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (٤/ ٤٠١)، والتفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٢)، وتفسير النسفي (٤/

١٨٥)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٥)، وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠٩)، وتيسير الكريم

الرحمن للسعدي (٢/ ٣٧٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/ ١١٦).



قال ابن عطية: «وكان سلام الملائكة دعاءً مرجوًّا؛ فلذلك نُصِب، وحيًّا الخليل بأحسن مما حُيِّي، وهو الثابت المتقرر، ولذلك جاء مرفوعًا»^(١).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «أي: عليكم، قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام»^(٢).

وقال ابن القيم: إبراهيم رد على أضيافه بأحسن مما حيوه به، فتحتيتهم باسم منصوب متضمن لجملة فعلية تقديره: سلمنا عليك سلامًا. وتحية إبراهيم لهم باسم مرفوع متضمن لجملة اسمية تقديره: سلام ثابت أو دائم عليكم، ولا ريب أن الجملة الاسمية تقتضي الثبوت واللزوم، والفعلية تقتضي التجدد والحدوث، فكانت تحية إبراهيم أكمل وأحسن^(٣).

٢- حسن مخاطبة الضيف، والتلطف في الحديث معه:

من حسن استقبال الضيف ملاطفته بالكلام اللين، خصوصًا عند تقديم الطعام إليه؛ ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام عرض على أضيافه عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ولم يقل: كلوا، ونحوه من الألفاظ التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة ما هو المناسب واللائق بالحال؛ كقوله لأضيافه: ألا تأكلون؟ أو ألا تفضلون؟ أو تشرّفوننا، وتحسنون إلينا، ونحو ذلك^(٤).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٩/ ١٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٣٢).

(٣) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٥)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٠).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٩٩). وانظر للاستزادة: التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٤)،

وروح المعاني للألوسي (٢٧/ ١٣).



قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]: «وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمم^(١) منه وجهان في المدح: أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير: أنتم منكرون، فتذمم منهم، ولم يواجههم بهذا الخطاب؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الاستيحاش، وكان النبي ﷺ لا يواجه أحداً بما يكرهه، كما جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ لَمْ يَقُلْ مَا بَالَ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: «مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟»^(٢).

الثاني: قوله: ﴿سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥] فحذف فاعل الإنكار، وهو الذي كان أنكرهم كما قال في موضع آخر: ﴿نَكِرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠] ولا ريب أن قوله: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ أُلْطِفَ مِنْ أَنْ يَقُولَ: أَنْكَرْتُمْ^(٣). وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى^(٤).

ومن التلطف ما عرضه عليهم بقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] كما قال ابن القيم: «فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وهذه صيغة عرض مؤذنة بالتلطف بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو هذا»^(٥).

(١) التذمم للصاحب: أن يحفظ ذمامه، وي طرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه. لسان العرب (١٢ / ٢٢٠)، وتاج العروس (٣٢ / ٢٠٩) كلاهما في (ذمم).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن العشرة (ح ٤٧٨٨) (٥ / ١٤٣)، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٠٥)، (٣ / ٩٠٩): «صحيح». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ح ٢٠٦٤)، (٥ / ٩٧).

(٣) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٥-٧٦)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٨).

(٥) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨). انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٢)، وغذاء الألباب للسفاري (٢ / ١١٦).



وقال ابن كثير: ﴿قَالَ لَا تَأْكُلُون﴾ [الذاريات: ٢٧]: تلتف في العبارة، وعرض

حسن^(١).

وقال ابن عاشور: «والعرض على الضيف عقب وضع الطعام بين يديه زيادة في الإكرام بإظهار الحرص على ما ينفع الضيف»^(٢).

٣- الاحتفاء والترحيب بالضيوف:

لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ^(٢) فَارْتَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ عَجًا فَرَّغَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ^(٣) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ^(٤) [الذاريات: ٤- ٢٧].

في الآيات احتفاء إبراهيم ﷺ بضيوفه وترحيبه بهم. قال مقاتل ومجاهد في قوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: «أكرمهم إبراهيم، فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم على رأس ضيف، فلما رأى هيأتهم حسنة قام هو وامراته سارة لخدمتهم»^(٣).

وقال ابن القيم في تفسير الآيات: «ففي هذا الثناء على إبراهيم من وجوه متعددة، أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم أنهم المكرمون عند الله، ولا تنافي بين القولين فالآية تدل على المعنيين»^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٢١). انظر: تفسير المراغي (٢٦/ ١٨٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦١٩)، وجامع البيان للطبري (٢١/ ٥٢٥)، وبحر العلوم للسمرقندي

(٣/ ٣٤٤)، والتفسير البسيط للواحدي (٢٠/ ٤٤٩).

(٤) جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧١).



وقد كان من عاداته ﷺ الترحيب بالضيوف وحسن استقبالهم ومعاملتهم وملاطفتهم، ومن ذلك ما جاء في حديث ابن عباسٍ ﷺ قال: إِنَّ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ الْقَوْمُ؟ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ؟» فَأَلَوْا: رَيْبَعُهُ، قال: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»^(١).

٤- الاستعجال بالضيافة للضيف، والمبادرة لذلك:

كما دل على ذلك قوله تعالى - في قصة أضياف إبراهيم ﷺ -: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيفٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، تفيد الآيات أن من أدب الضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة^(٢)، وتعجيل القرى سنة عربية أقرها الإسلام، ظن إبراهيم ﷺ أنهم ناس فبادر إلى تعجيل قراهم^(٣).

قال أبو حيان: «وهذا من أدب الضيافة، وهو تعجيل القرى»^(٤).

وقال ابن عاشور: «والإسراع بالقرى من تمام الكرم»^(٥).

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (ح ٥٣) (١/ ٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالله تعالى ورسوله (ح ١٧) (١/ ٤٦). «الخزايا» جمع: خزيان، كخيران وحيارئ، والخزيان: المستحي. وقيل: الذليل المهان. وأما الندامى فقليل: إنه جمع ندمان بمعنى نادم. وقيل: هو جمع نادم اتباعًا للخزايا، وكان الأصل نادمين فأتبع لخزايا تحسینًا للكلام، وهذا الإتيان كثير في كلام العرب، وهو من فصيحته. شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٦/ ١١٧).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٨٠).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٥٩).



وقال السعدي: «المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها؛ لأن خير البرِّ عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قرى أضيافه»^(١).

وقال ابن عثيمين: «انسلَّ بخفية وسرعة، وذلك من حسن ضيافته، لم يقل: انتظر واآتي لكم بالطعام. ولم يقيم متباطئاً كأنما يُدفع دفعاً، وإنما قام بسرعة منسلاً؛ لئلا يقوموا إذا رأوه ذهب إلى أهله، فكأنه أخفى الأمر عنهم»^(٢).

وقد دلت هذه الآيات على هذا الأدب من وجوه:

منها «الفاء» في قوله: ﴿فَمَا لَيْتَ﴾ [هود: ٦٩] للدلالة على التعقيب إسراعاً في إكرام الضيف^(٣).

وفي الآية الأخرى جاءت (الفاء) لعطف أفعال: ﴿وَرَأَى﴾ [الذاريات: ٢٦]، ﴿فَجَاءَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، ﴿فَقَرَّبَهُ﴾ [الذاريات: ٢٧] للدلالة على أن هذه الأفعال وقعت في سرعة^(٤).

ومنها: أنه ﷺ جاء بعجل حنيد، والحنيد هو المشوي، والشئ أسرع من الطبخ، فهو أعون على تعجيل إحضار الطعام للضيف^(٥).

قال محمد رشيد رضا: «وهو نص في المبادرة إلى الإتيان به بدون مهلة، كأنه كان مشوياً معداً لمن يجيء من الضيف، أو شوي عند وصولهم من غير تريث»^(٦).

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩).

(٢) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢ / ١١٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢٦ / ٣٥٩).

(٥) انظر: المرجع السابق (١٢ / ١١٧).

(٦) تفسير القرآن الحكيم (المنار) لرشيد رضا (١٢ / ١٢٨).



ومنها: ما تحمله لفظة ﴿فَرَّغَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، فالروغان هو الذهب بسرعة واختفاء، فإخفاء إبراهيم ميله إلى أهله من حسن الضيافة؛ كيلا يُوهم الضيف أنه يريد أن يُحضر لهم شيئاً فلعلّ الضيف أن يكفّه عن ذلك ويعذره، وهذا منزع لطيف (١).

ويؤكد هذا الأدب ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟»، قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ ﷺ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَاُنْطَلَقَ فِجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ (٢)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ مِنَ بُيُوتِكُمُ الْجُوعَ، ثُمَّ لَمْ تَرَجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ» (٣).

(١) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٦). وانظر: الكشاف للزمخشري (٤ / ٤٠١)، والتفسير

الكبير للرازي (٢٨ / ١٨٤)، وتفسير البيضاوي (٢ / ٤٢٩)، وغذاء الألباب للسفاري (٢ /

١١٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٧ / ١٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦ / ٣٥٩).

(٢) هي: السكين، جمعها: مدئ ومدئ ومدئ ومدئ. انظر: النهاية لابن الأثير (٤ / ٣١٠ (مدا)،

ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٢٧٢) (مدئ).

(٣) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٣٨)،

(٣ / ١٦٠٩).



٥- أن يكون الإنسان مستعداً لإكرام الضيف في كل وقت وحين:

في قوله في قصة إبراهيم مع أضيافه: ﴿فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦] إشعار بأن كرامة الضيف معدةٌ حاصلة عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله إذ نُزِّل الضيف حاصل عندهم^(١).

٦- أن يخدم الضيف بنفسه:

لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]. قال مقاتل ومجاهد في قوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: «أكرمهم إبراهيم، فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم على رأس ضيف، فلما رأى هياتهم حسنة قام هو وامراته سارة لخدمتهم»^(٢). وقال مجاهد في الآية أيضاً: «خدمته إياهم، خدمهم بنفسه»^(٣).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا لَيْتَ﴾ [هود: ٦٩]. قال السعدي: «إن إبراهيم هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيّد من ضيف الضيفان»^(٤).

٧- إحضار الطعام المعد لغير الضيف الحاضر إذا جعل له ليس فيه إهانة:

بل ذلك من الإكرام، كما يفيد قوله ﷺ: ﴿فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

قال السعدي رحمه الله: «ومنها- أي: من فوائد قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة-: أن

(١) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦١٩)، وجامع البيان للطبري (٢١ / ٥٢٥)، والتفسير البسيط للواحدى (٢٠ / ٤٤٩)، وفتح القدير للشوكاني (٥ / ١٠٤).

(٣) رواه عنه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف (ص ١٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩)، انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧).



الذيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام وأخبر الله أن ضيفه مكرمون»^(١).

٨- إحضار الإنسان لضيفه أطيب ما عنده:

فإبراهيم عليه السلام من كرمه وحبّه للضيف أتاهم بأحسن وأطيب ما عنده، وهو عجل سمين ليس بمهزول، وحيوان تامم، ولم يأتهم ببعضه حتى يتخيروا من أطيب لحمه ما شاؤوا، وكانوا يُعجبون بولد البقر السمين^(٢).

قال قتادة: «كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه السلام البقر»^(٣).

واختاره لهم سميناً زيادة في إكرامهم^(٤). كما قال الله: ﴿جَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، كما أن من طيب هذا الطعام أنه كان مشويّاً كما قال الله في الآية الأخرى: ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيدٍ﴾ [هود: ٦٩] «أي: مشوي، واللحم إذا شوي يكون أطعم وألذ؛ لأن طعمه يبقى فيه لا يمتزج بالماء، بخلاف ما إذا طبخ يمتزج بعضه بالماء، فتقل لذته، لكن إذا كان مشويّاً صار أطيب وأحسن»^(٥).

٩- تقديم ما تيسر من الموجود وعدم التكلف:

كما دل على ذلك قوله تعالى في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩). انظر: لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٢) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢ / ١١٦).

(٣) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٢١ / ٥٢٦)، وذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٤ / ١٨٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٤ / ٥٤٦).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٥ / ٣٧٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧ / ٤٩).

(٥) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (ص ١٤٣).



إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾. قال القرطبي: «إنما جاء بعجل لأن البقر كانت أكثر أمواله»، ثم قال: «في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قرأه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جِدَّةٌ، ولا يتكلف ما يضر به» (١).

قال بكر بن عبدالله المزني: «إذا أتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك، وتمنعه ما عندك، قدّم إليه ما حضر، وانتظر به ما بعد ذلك ما تريد من إكرامه» (٢).

وإكرام الضيف وإن اختلف حسب حال الضيف والمضيف إلا أنه لا ينبغي التكلف في الضيافة بحيث يخرج عن الحد المعقول؛ فلا يتكلف لضيفه ما يثقل عليه ثمنه، أو يأخذه بدين، ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده، فيجحف بعياله، ويؤذي قلوبهم. لأن التكلف عموماً منهي عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، قال ابن زيد: «وما أنا من المتكلفين، أتخرّص وأتكلف ما لم يأمرني الله به» (٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: «نهينا عن التكلف» (٤).

بل إنّه قد جاء في السنّة النهي عن التكلف في إكرام الضيف حتى يلحق الضرر بنفسه وأهله لفرط تكلفه. فقد جاء أن سلمان رضي الله عنه دخل عليه رجلٌ، فدعا له بما كان

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٦٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قرئ الضيف (ص ٤٥).

(٣) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان، ت: شاكر (٢١ / ٢٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال (ح ٧٢٩٣)،

(٤ / ٣٦٢).



عِنْدَهُ، وَقَالَ: «لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا - أَوْ: لَوْلَا أَنَا نُهَيْنَا - أَنْ يَتَكَلَّفَ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ لَتَكَلَّفْنَا لَكَ» (١).

وقال ﷺ: «لَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ لِضَيْفِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ» (٢).

والتكلف مذموم في الشرع، وهو السبب في قلة الزيارات، كما قيل: «إِنَّمَا تَقَاطَعَ النَّاسُ بِالتَّكَلُّفِ» (٣). إلا أنه ليس هناك حد معتبر لقولنا: هذا فيه تكلف، أو ليس فيه تكلف، وإنما المرجع في ذلك إلى العرف، فما تعارف الناس على أمرٍ وأعدوه تكلفاً فهو تكلف، وما لا فلا. ويختلف باعتبار الضيف والمضيف، وصنع الطعام للضيف يكون بالقدر الذي يفي بالمقصود بلا إسراف ولا تقتير، وخير الأمور أوسطها.

قد جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ» (٤).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ح ٢٣٧٣٣) (٣٩ / ١٣٦). وقال محققو المسند (٣٩ / ١٣٦): «حديث محتمل للتحسين بمجموع طرقه». ورواه الحاكم في المستدرک (٦ / ٩١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد بمثل هذا الإسناد». وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٢٤٤٠)، (٥ / ٥٧٠): «لكن الحديث قوي بمجموع هذه الطرق، ولا سيما يشهد له عموم حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: «نُهَيْنَا عَنِ التَّكَلُّفِ».

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب في إكرام الضيف (رقم ٩٥٩٩) (٧ / ٩٤) من حديث سلمان ﷺ. قال الألباني كما في صحيح الجامع (ح ٧٦٠٨)، (٢ / ١٢٦١): «حسن»، انظر: السلسلة الصحيحة (ح ٢٤٤٠) (٥ / ٥٦٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قرئ الضيف (ص ٤٥) عن المفصل، وصي جعفر بن بزقان.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنتين (ح ٥٣٩٢)، (٣ / ٤٣٤)، ومسلم- واللفظ له- في كتاب الأشربة، باب فضل الموساة في الطعام القليل (ح ٢٠٥٩)، (٣ / ١٦٣٠).



قال الغزالي: «وأما آداب التقديم: فترك التكلف أولاً، وتقديم ما حضر؛ فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك؛ فيشوش على نفسه، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم؛ فلا ينبغي أن يقدم...، وكان الفضيل يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وقال بعضهم: ما أبالي بمن أتاني من إخواني؛ فإني لا أتكلف له، إنما أقرب ما عندي، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته...»^(١).

وقال ابن عثيمين: «إكرام الضيف بما جرت به العادة يختلف باختلاف الضيف والمضيف، فأما المضيف فلقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]، فإذا نزل شخص ضيفاً على رجل غني فإنه يكرمه بما وسع الله عليه، وإذا نزل بإنسان فقير فيكرمه بما قدر عليه، فقد ينزل هذا الرجل على شخص غني، ويكون إكرامه بأن يذبح له ذبيحة، ويدعو من حوله، وقد ينزل على آخر ويكون إكرامه له أن يقدم له صحناً من التمر؛ لأن الأول عنده مال، وهذا فقير، كذلك باعتبار الضيف، فالضيوف ليسوا على حد سواء، ينزل بك ضيف، صاحب لك، ليس بينك وبينه شيء من التكلف فتكرمه بما يليق به، وينزل عليك ضيف كبير عند الناس في ماله، وفي علمه، أو في سلطانه، فتكرمه بما يليق به، وينزل عليك شخص من سطة الناس تكرمه -أيضاً- بما يليق به»^(٢).

١٠- إحضار الطعام بين يدي الضيف:

لقوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٧]. قال ابن عاشور: «ومعنى (قرَّبه)

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٢).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥ / ٤٩).



وضعه قريباً منهم، أي: لم ينقلهم من مجلسهم إلى موضع آخر، بل جعل الطعام بين أيديهم. وهذا من تمام الإكرام للضيف»^(١).

وقال السعدي: «أنه قرّبه إليهم في المكان الذي هم فيه، فلم يجعله في موضع ويقول لهم: تفضّلوا، أو اتّوا عليه؛ لأنّ هذا أيسر وأحسن»^(٢).

وهنا مسألة: هل نقول: إن السّنة والأفضل أن الإنسان إذا دعا ضيوفاً أو أتاه ضيوف أن يقربه إليهم في مجلس الجلوس؟ أو نقول هذا يختلف باختلاف الأحوال؟

قال ابن عثيمين رحمته الله: «الثاني هو الأفضل؛ لأن عموم قول الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٣) يدل على أنك تكرمهم بما جرت به العادة في إكرامهم به، عندنا الآن إذا عزمت أصحابك وأصدقاءك وهم قلة فلا يُعدّون تقديم الطعام - مثلاً - في المجلس إهانة؛ لأنهم إخوانك وأصدقاؤك، الأدب بينكم متسامح فيه، لكن لو نزل بك ضيف أو دعوت ضيفاً ليس بينك وبينه الصلة التي يسقط بها كما يقال الأدب، فإنه في عرفنا الآن ليس من إكرامه أن تقدم الطعام في محل الجلوس، اللهم إلا لضرورة إذا لم يكن عندك مكان، الآن الإكرام أن تجعل الطعام في مكان، ثم إذا أردت أن يأكلوا تقول: تفضّلوا، ألا تفضلون أو نغير المجلس، أو ما أشبه ذلك من الكلمات المتداولة، فالمهم أن قوله ﷺ عن إبراهيم: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]. ينبغي أن يجعل هذا حسب

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦ / ٣٥٩). انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٨ / ١٨٤)، والرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩).

(٣) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في المبحث الثاني: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم (ص: ١١).



عادة الناس، إذا كان من الإكرام أن تأتي بالطعام إلى محل جلوسهم فأت به، وإذا كان من الإكرام أن تجعله في مكان آخر فافعل، دليل ذلك قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».(١).

١١- ومن أدب الضيافة أن المضيف له أن ينظر في ضيفه، مسارقة لا بتحديد النظر،

هل يأكل أم لا:

لقوله تعالى عن إبراهيم مع أضيافه: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وذلك ينبغي أن يكون بتلفت أو مسارقة لا بالتدقيق وتحديد النظر.

قال أبو حيان: «وينبغي أن ينظر من الضيف هل يأكل أو لا، ويكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر؛ لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصرًا في الأكل»(٢).

وقال ابن عطية: «وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر، فروي أن أعرابياً أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابي شعرة فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أنتظر إليّ نظر من يرى الشعر في لقمتي، والله لا أكلت معك»(٣).

١٢- ومن أدب الضيافة أن يقوم الضيف بحماية ضيفه من الأذى القولي والفعلي:

لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۗ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].
وحق على الرجل إكرام ضيفه، وكانوا يتعيرون بإهانة الضيف، ويعدّون ذلك مذلة

(١) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٨٠)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٥).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٧٧).



لمضيفه، فخزي الضيف خزي للمضيف؛ لأن الضيافة جوار عند رب المنزل، فإذا لحقت الضيف إهانة كانت عارًا على رب المنزل (١).

١٣ - استحباب إيثار الضيف على نفسه وعياله :

لقوله تعالى: ﴿فَرَأَىٰ إِلَىٰ آلِهِمْ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٢٦].

قال ابن القيم - في معرض تعداده وبيانه لثناء الله تعالى على إبراهيم في قصة استضافته الملائكة -: «العاشر: إنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فأثر به ضيفانه» (٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم (٣)، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضُمُّ - أَوْ يُضِيفُ - هَذَا»، فقال رجلٌ مِنَ الأنصار: أنا، فأنطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً (٤)،

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٢ / ٥٠٦)، ومعالم التنزيل للبخاري (٤ / ٣٨٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢ / ١١٧).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧٣).

(٣) في لفظ: «فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ» أي: مهزول جائع. جامع الأصول لابن الأثير (٩ / ٧٤).

(٤) وفي لفظ: «فَعَلَّلِيهِمْ بَشِيءًا» وتعليل الطفل: وعده وتسويفه وتمنيته، وشغله عما يراد صرفه عنه.

انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٩ / ٧٤).



فَهَيَّاتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَمَتْ صَبِيانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكَمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] (١).

هذه جملة من آداب المضيف الواردة في القرآن الكريم، وهناك آداب أخرى وردت في السنة والآثار (٢)، منها:

- السهر والسمر لإكرام الضيف، وهو مستحب، وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه، فقال: «بَابُ السَّمْرِ مَعَ الضَّيْفِ وَالْأَهْلِ»، وساق تحته حديثاً طويلاً عن عبدالرحمن بن أبي بكر في سهر أبي بكر ﷺ، وذكر فيه قصة أضياف من فقراء أهل الصُّفَّة، حملهم أبو بكر إلى منزله، وأمرهم أن يطعموهم، وبقي أبو بكر عند النبي ﷺ حتى تعشى، ومضى من الليل ما شاء، فلما جاء قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أَوْ مَا عَشَيْتَهُمْ؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قال: فذهبت أنا فاختبت، فَقَالَ: يَا عُثْرُ (٣) فَجَدَّعَ

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] (ح ٣٧٩٨)، (٣/ ٤٢)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إثارة (ح ٢٠٥٤)، (٣/ ١٦٢٤).

(٢) انظر: آداباً أخرى للضيافة - غير ما ذكر - في إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٠)، وروضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٦١)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/ ١١٦ فما بعدها)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/ ٣١٧).

(٣) بناء مفتوحة ومضمومة لغتان، وهو: الثقليل الوخيم. وقيل: هو الجاهل، مأخوذ من الغثارة وهي الجهل. وقيل: هو السفية مأخوذ من الغثر، وهو اللؤم. و(جدع) أي: دعا بالجدع وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء. انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٩٧-٥٩٨).



وَسَبِّ، وذكر الحديث بطوله^(١).

- أن يُشيع ضيفه عند خروجه إلى باب الدار، وهذا الأدب وإن لم يثبت في القرآن ولا في خبر مرفوع صحيح يعول عليه^(٢)، إلا أنه داخل ضمن المبالغة في إكرام الضيف، وحسن ضيافته ومعاملته، وكمال الأدب معه، وقد أمرنا بإكرامه. وأيضاً قال الحافظ ابن حجر- في شرح حديث أنس عن أبي طلحة قال: سمعت صوت النبي ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا... الحديث^(٣) - : «ويؤخذ من قصة أبي طلحة أن من أدب من يضيف أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار تكرمة له»^(٤).

وإنما وردت آثار من سلف الأمة وأئمتهم في تشييع الضيف إلى باب الدار،

نقتصر على واحد منها:

زار أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام أحمد بن حنبل...، قال أبو عبيد: «فلما

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة وفضلها، باب السمر مع الضيف والأهل (ح ٦٠٢)، ومسلم في الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٧).

(٢) جاء من حديث أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار»، رواه ابن ماجه في كتاب الأئمة، باب الضيافة (ح ٣٣٥٨)، (٢ / ١١١٤)، وابن أبي الدنيا في «قرئ الضيف» (ص ٤٢)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣ / ٢٢٦): «رواه ابن ماجه وغيره بإسناد ضعيف»، وحكم الألباني بوضعه كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٢٨٠)، (ح ٢٥٨)، وضعيف ابن ماجه (ص ٢٧١)، (ح ٧٣٤).

(٣) رواه البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام (ح ٣٥٧٨)، (٤ / ١٩٣)، ومسلم في الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٤٠)، (٣ / ١٦١٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩ / ٥٢٨). انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦ / ٩٥).



أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبدالله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار، وتأخذ بركابه»^(١).

- وإذا حضر المدعوون وتأخر واحد أو اثنان عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حقها في التأخير، إلا أن يكون المؤخر فقيرًا ينكسر قلبه بذلك، فلا بأس به^(٢).

◆ المطلب الثاني: آداب الضيف:

وردت - أيضًا - جملة من الآداب للضيف في القرآن الكريم، ينبغي أن يراعيها الضيف عملاً بالهدي القرآني الكريم، واحتساباً للأجر والمثوبة، ورداً على إحسان مضيفه بالإحسان، وحتى يكتمل عقد الآداب من الطرفين: المضيف والضيف، ومن هذه الآداب:

١- مشروعية سلام الضيف على المضيف قبل الكلام:

كما في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩].

قال السعدي: «أي: سلموا عليه، وردَّ عليه السلام، ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام»^(٣). وقال في موضع آخر: «وإنما

(١) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ١٥٢)، وابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٢٢٧).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦/ ٩٥)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج

للدميمري (٧/ ٣٨٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٤/ ٤١٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٣٧٧).



سلكوا طريق الأدب في ابتداء السلام»^(١).

٢- من آداب الضيافة أن يأكل الضيف من طعام رب المنزل، ويبادر إلى ذلك حتى يطمئن

رب المنزل إليه، ويأنس به:

ويدل على هذا أن إبراهيم ﷺ لما رأى أضيافه لا يأكلون من طعامه أضممر منهم خوفاً أن يكون معهم شر؛ لأنهم خرجوا عن العادة، فقال الله: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: ٢٨] وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠]، فلما علموا منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠].

قال ابن عطية: «إن أكل الضيف أمانة ودليل على انبساط نفسه، والطعام حرمة وذمام»^(٢). والامتناع منه وحشة. فخشي إبراهيم ﷺ أن امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشر يريدونه، فقالوا له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠]»^(٣).

٣- ومن الآداب أن يحفظ الضيف حق المؤكلة:

لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وقوله سبحانه: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَيَشْرُودُ بِعَلْوِ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

قال الرازي في تفسير الآية: «أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق المؤكلة، يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا»^(٤).

(١) المرجع السابق (٥ / ٩٨).

(٢) الذمام: كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة. وعلى الرفيق من الرفيق ذمام، أي: حشمة؛ أي: حق. انظر: العين للفراهيدي (٨ / ١٧٩) (ذم). وتهذيب اللغة للأزهري (١٤ / ٢٩٨ - ٣٠٠) (ذم).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥ / ٢١٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٩ / ١٨٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٦٥).



وقال الألويسي: «... وللطعام حرمة وذمام، والامتناع منه وحشة موجبة لظن الشر» (١).

وما من شك أن هذا من الوفاء وحسن العهد وحفظ الجميل لأهله، وهو أدب عظيم، وخلق رفيع، يدل على أصالة المعدن، وحسن النشأة، وسمو النفس، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل، وإن الله ﷻ قد حث على الإحسان إلى من أحسن إلينا، فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وعده النبي ﷺ من الإيمان فقال: «وإن حسن العهد من الإيمان» (٢).

٤- اعتذار الضيف لمضيفه بعبارة حسنة إذا كان الطعام لا يصلح له:

لقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعَلَمِ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

قال ابن عادل (٣): «ومن آداب الضيف إذا حضره الطعام ولم يكن يصلح له

(١) روح المعاني للألويسي (٢٧ / ١٣)، انظر: جامع البيان للطبري (١٢ / ٤٧١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٦٥)، والرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨)، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ٥١٠)، وتفسير النسفي (٢ / ١٩٧)، والنكت والعيون للماوردي (٥ / ٣٦٩)، وأيسر التفاسير للجزائري (٤ / ٣٢١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ٦٢)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١١ / ٣٧٨). وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١ / ٤١٣) (٢٠٥٦). انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٤٢٥).

(٣) هو: عمر بن علي، الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي، الإمام العالم الفاضل. صنّف التفسير المسمى اللباب في علم الكتاب، وهو من أحسن التفاسير، مشحون بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير. انظر: طبقات المفسرين للأذنه وي (ص ٤١٨ - ٤١٩)، والأعلام للزركلي (٥ / ٥٨).



لكونه مضرًا به، أو يكون ضَعِيفَ القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول: هذا طعام غليظ لا يصلح لي، بل يأتي بعبارة حسنة، ويقول: بي مانع من أكل الطعام، لأنهم أجابوه بقولهم: ﴿لَا تَحْتَفِ﴾، ولم يذكروا في الطعام شيئًا، ولا أنه يضر بهم بل بشروه بالولد إشعارًا بأنهم ملائكة»^(١).

٥، ٦- ومن الآداب: عدم الدخول إلا بإذن. ومن الآداب أيضًا - وهو أدب أدب الله به الثقلاء -:

عدم البقاء بعد الانتهاء من الطعام، إلا إذا كان البقاء برغبة صاحب المنزل:

ورد هذان الأدبان في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِبِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وجاء في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، قَالَ: فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُمْ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ مِنَ الْقَوْمِ، قَالَ: فَفَعَدَ ثَلَاثَةً، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا، قَالَ: فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا. قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَيْتُ الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ ﷻ - إِلَى قَوْلِهِ -: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣]»^(٢).

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٨ / ٨٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (ح ١٤٢٨)،

(٢ / ١٠٤٨).



قال الطبري: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣] يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دُعيتُم لأكله فانتشروا، يعني: فتفرقوا واخرجوا من منزله»^(١).

وقال الرازي: «فوردت الآية جامعة لآداب، منها: المنع من إطالة المكث في بيوت الناس»^(٢).

وقال ابن عاشور: «وكذلك البقاء بعد انقضاء الطعام، فإنه تجاوز لحد الدعوة؛ لأن الدعوة لحضور شيء تقتضي مفارقة المكان عند انتهائه؛ لأن تقييد الدعوة بالغرض المخصوص يتضمن تحديدها بانتهاء ما دُعي لأجله، وكذلك الشأن في كل دخول لغرض من مشاورة أو محادثة أو سمر أو نحو ذلك، وكل ذلك يتحدد بالعرف وما لا يثقل على صاحب المحل»^(٣).

وقال الشوكاني في تفسير الآية: «فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام»^(٤).

وقال السعدي: «أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضاً ﴿عَيْرَ نَظِيرِينَ لِنَلِّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: منتظرين استواءه، ومتحيين نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا بشرطين: الإذن

(١) جامع البيان للطبري (١٩ / ١٦٠).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٥ / ١٩٤).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٨٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٩٨)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤ / ٢٢٥)، والآداب

الشرعية لابن مفلح (٣ / ٢٢٣).



لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيَْتَ فَأَدْخُلْ فَإِذَا طَعِمْتَ فَأَنْتِشِرْ وَلَا مَسْتَنْسِينَ لِحَدِيثِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: قبل الطعام وبعده» (١).

فلا ينبغي المكث بعد الطعام إلا أن يكون رب البيت يرغب في بقائهم، أو أن تكون عادة القوم كذلك، ولم يكن هناك مشقة ولا أذى فلا بأس بذلك؛ لأن العلة التي من أجلها جاء النهي انتفت.

ومن الآداب المتعلقة بالضيف أيضًا: أن النبي ﷺ كان إذا أكل طعامًا عند قوم دعا لهم بعد الفراغ منه (٢)، فعن أنسٍ أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عباد، فجاء بخبز وزيت، فأكل ثم قال النبي ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ» (٣).

وفيه -أيضًا- من حديث المقداد ﷺ قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ... فذكر الحديث بطوله -وفيه: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي» (٤).

وروى عبدالله بن بسر ﷺ قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي، قال: فقربنا إليه

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤ / ١٦٥).

(٢) انظر: إكمال المعلم لعياض (٦ / ٥٢٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣ / ٢٢٦).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام (ح ٣٨٥٤)، (٤ / ١٨٩)، وقال النووي في الأذكار (ص ٢٧٦): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح ٣٢٦٣)، (٢ / ٧٣٠).

(٤) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٥)، (٣ / ١٦٢٥).



طَعَامًا وَوَطْبَةً^(١)، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أَتَى بَتْمَرَ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيَلْقِي النُّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ، وَيَجْمَعُ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى، ثُمَّ أَتَى بِشَرَابٍ فِشْرَبِهِ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٢).

- ورد في السنة- أيضًا- أن الضيف يقول لمن استضافه إذا تبعه رجل لم يدع: «إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذُنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعْ»؛ كما في حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ لِحَامٌ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: وَيْحَكَ، اصْنَعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةِ نَفَرٍ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُو النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَامِسَ خَمْسَةٍ، قَالَ: فَصَنَعَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَدَعَاهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، وَاتَّبَعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذُنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعْ. قَالَ: لَا، بَلْ أَدْنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(٣).

قال القرطبي: «فاستأذن صاحب المكان تطيباً لقلبه، وبياناً للمشروعية في

ذلك»^(٤).

(١) وَطْبَةٌ- بالواو وإسكان الطاء وبعدها باء موحدة- هي: الحيس، يجمع بين التمر والأقط والسمن.

النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٠٣)، مادة (وطب).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب وضع النوى خارج التمر، واستحباب دعاء الضيف

لأهل الطعام (ح ٢٠٤٢)، (٣/ ١٦١).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه (ح ٥٤٣٤)، (٣/ ٤٤٢)،

ومسلم في كتاب الأشربة، باب ما يفعله الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام، واستحباب

إذن صاحب الطعام للتابع (ح ٢٠٣٦)، (٣/ ١٦٠٨).

(٤) المفهم لأبي العباس القرطبي (٥/ ٣٠٢)، انظر: صحيح مسلم للنووي (١٣/ ٢٠٨)، وفتح الباري

لابن حجر (١٠/ ٧٠٢-٧٠٣).



وقال ابن مفلح: «ويستحب لصاحب الطعام أن يأذن له، ما لم يكن في حضوره مفسدة»^(١).

- ومن آداب الضيف: ألا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه، وألا يجلس في مقابلة حجرة النساء وسترهن، ولا يُكثِر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام^(٢). وغير ذلك.



(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣ / ١٧٢).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦ / ٩٥)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٧ / ٣٨٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٤ / ٤١٢).



المبحث الثالث

حكم الضيافة في القرآن الكريم

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، نزل في الضيافة.

قال مجاهد: «هو الرجل ينزل بالرجل فلا يُحسن إليه، فقد رخص الله له أن يقول فيه»^(١).

وقد رجح الطبري أن عموم الآية يتناول من لم يُقر الضيف، فقال في تفسير الآية: «لا يحب الله - أيها الناس - أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» بمعنى: إلا من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أُسيء عليه. وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقر، أو أُسيء قراه، أو نبيل بظلم في نفسه، أو ماله عنوة من سائر الناس. وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له»^(٢).

بعد الاتفاق على مشروعية الضيافة اختلف أهل العلم في حكمها على أقوال، أهمها قولان:

القول الأول: أن الضيافة واجبة. وهو رواية عن الإمام أحمد، وبه قال طائفة

(١) رواه عنه الطبري في جامع البيان (٧ / ٦٢٨)، وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢ / ٤٤٣).

انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٦٤٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٧ / ٦٣١ - ٦٣٢).



من العلماء، ومنهم الليث بن سعد^(١)؛ مستدلين بالآية السابقة، وقالوا: لأن الظلم ممنوع منه فدلَّ على وجوبها^(٢).

قال ابن كثير: «وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزول، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل»^(٣).

ومدة الضيافة الواجبة يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام. قال ابن قدامة: «والواجب يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام لما روى أبو شريح الخزاعي^(٤). ونص الحديث: عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ أُذُنَايَ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»^(٥).

وقال ابن القيم: «إن للضيف حقاً على من نزل به، وهو ثلاث مراتب: حق

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٣ / ٢١)، والمجموع للنووي (٥٧ / ٩)، والمغني لابن قدامة (١٣ / ٣٥٢)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (١ / ٣٥٦ - ٣٦٠)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨ / ٣١٦).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٧ / ٦٢٨)، وأحكام القرآن لابن العربي (١ / ٥٤٩)، وأحكام القرآن لابن الفرس (٢ / ٢٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٤٤٣)، والتفسير المنير للزحيلي (٦ / ٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ / ٤٢٠).

(٤) المغني لابن قدامة (١٣ / ٣٥٣).

(٥) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حق الضيف (ح ٦١٣٥)، ومسلم - واللفظ له - في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (ح ١٤).



واجب، وتمام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب: يوم وليلة، وقد ذكر النبي ﷺ المراتب الثلاثة في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي شريح الخزاعي...»^(١). وساق الحديث.

ومن أدلتهم - أيضًا - من السنة:

١ - قوله ﷺ: «ليلة الضيف واجبة على كل مسلم، فإن أصبح بفنائها محرومًا، كان دينًا له عليه، إن شاء اقتضاه، وإن شاء تركه»^(٢).

قال ابن القيم: «وهو دليل على وجوب الضيافة»^(٣).

وقال الشوكاني: «فهذا تصريح بالوجوب، لم يأت ما يدل على تأويله»^(٤).

٢ - ما جاء عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَبَعْتُنَا، فَانزِلْ بِقَوْمٍ فَلَا يَفْرُونَنَا، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ، فَأَمَرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ»^(٥).

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/٦٥٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/٤٠٩، ح ١٧١٧٢). وقال محققو المسند (٢٨/٤٠٩): «إسناده صحيح

على شرط الشيخين». ورواه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة (ح ٣٧٥٠)، وابن

ماجه في كتاب الأدب، باب حق الضيف (ح ٣٦٧٧). وقال النووي في المجموع (٩/٥٧): «رواه

أبو داود بإسناد صحيح»، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/٢٩٧، ح ٢٩٦٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٤/٣٨٥).

(٤) نيل الأوطار للشوكاني (٨/١٥٧).

(٥) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم (ح ٢٤٦١)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب

الضيافة ونحوها (ح ١٧٢٧).



ووجه الدلالة: حيث جاء في الحديث إباحة العقوبة بأخذ المال لمن ترك ذلك، وهذا لا يكون في غير واجب، فلو لم تجب لم يأمر النبي ﷺ بالأخذ^(١).

٣- قوله ﷺ: «... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٢).

قال الشوكاني -حول هذا الحديث- بأن فيه: «التأكيد البالغ يجعل ذلك فرع الإيمان بالله واليوم الآخر، ويفيد أن فعل خلافه فعل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ومعلوم أن فروع الإيمان مأمور بها، ثم تعليق ذلك بالإكرام، وهو أخص من الضيافة، فهو دال على لزومها بالأولى»^(٣).

وقال محمد بن عثيمين: «فحكم الضيافة واجب، وإكرام الضيف -أيضاً- واجب، وهو أمر زائد على مطلق الضيافة، قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، أي: من كان يؤمن إيماناً كاملاً فليكرم ضيفه...»^(٤).

والقول الثاني: ذهب الجمهور إلى أن الضيافة سنة، ومن مكارم الأخلاق، وليست واجبة، وبه قال الحنفية، والمالكية، والشافعية، ورواية عن أحمد^(٥).

(١) نيل الأوطار للشوكاني (٨ / ١٥٧)، منار السبيل لابن ضويان (٢ / ٤٢٠).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في المبحث الثاني: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم (ص ١٧٨).

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (٨ / ١٥٧).

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥ / ٤٨).

(٥) انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٢٦ / ٣٠٨ - ٣٠٩)، والمجموع شرح المهذب للنووي (٩ / ٥٧)، والمغني لابن قدامة (١٣ / ٣٥٣)، وعمدة القاري للعيني (٢٢ / ١٧٣ - ١٧٤)، وفتاوى قاضيخان بهامش الهندية (٣ / ٤٠١)، والبيان والتحصيل لابن رشد (١٨ / ٢٨١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨ / ٣١٦).



ونسبه بعض أهل العلم بأنه قول الجمهور، وعامة أهل العلم^(١).

قال النووي: «الضيافة سنة، فإذا استضاف مسلم لا اضطرارَ به مسلمًا استحب له ضيافته، ولا تجب»^(٢).

ومن أدلتهم من السنة:

١- قوله ﷺ في حديث أبي شريح السابق: «فَلْيُكْرِمَ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ» فالجائزة تفضل وإحسان، وعطية وصلة، وليست واجبة^(٣).

٢- قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٤). عبر بالإكرام، وهو ليس بواجب، قال القرطبي: «وإكرام الجار ليس بواجب إجماعًا، فالضيافة مثله»^(٥).

٣- ما رواه البخاري^(٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: «انطلق

(١) كالنووي في المجموع (٩ / ٥٧)، وابن العربي في أحكام القرآن (٣ / ٢٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٦٤).

(٢) المجموع شرح المذهب للنووي (٩ / ٥٧)، وروضة الطالبين للنووي (٢ / ٥٥٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٦٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢ / ١٦٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح ٦٠١٩)،

(٨ / ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن

الخير، وكون ذلك كله من الإيمان (ح ٤٧) (١ / ٦٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٦٤).

(٦) في صحيحه، في كتاب الإجارة، باب ما يُعطى في الرقية (ح ٢٢٧٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب

جواز أخذ الأجر على الرقية بالقرآن والأذكار (ح ٢٢٠١).



نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم».

قال ابن العربي: «فقوله في هذا الحديث: (فاستضافناهم فأبوا أن يضيفونا) ظاهر في أن الضيافة لو كانت حقاً لآلم النبي ﷺ القوم الذين أبوا، وبين لهم ذلك»^(١).

والراجح - والله أعلم - أن ضيافة المسافر المجتاز - لا المقيم - واجبة، وأن وجوبها على أهل القرى، والأمصار، دون تفريق؛ لقوة ما استدلوا به.

قال محمد بن عثيمين في شرحه لمتن زاد المستقنع: «قوله^(٢): «وتجب ضيافة المسلم»، «تجب» هذا بيان حكم الضيافة...، قوله: «المجتاز به» يعني: الذي مرَّ بك وهو مسافر، وأمَّا المقيم فإنه ليس له حق ضيافة، ولو كان المقيم له حق الضيافة لكان ما أكثر المقيمين الذين يقرعون الأبواب! فلا بد أن يكون مجتازاً، أي: مسافراً وماراً، حتى لو كان مسافراً مقيماً يومين، أو ثلاثة، أو أكثر، فلا حق له في ذلك، بل لا بد أن يكون مجتازاً.

قوله: «في القرى» دون الأمصار، والقرى: البلاد الصغيرة، والأمصار: البلاد الكبيرة، قالوا: لأن القرى هي مظنة الحاجة، والأمصار بلاد كبيرة فيها مطاعم وفنادق وأشياء يستغني بها الإنسان عن الضيافة، وهذا - أيضاً - خلاف القول الصحيح؛ لأن الحديث عام، وكم من إنسان يأتي إلى الأمصار، وفيها الفنادق، وفيها المطاعم، وفيها كل شيء، لكن يكرهها ويربأ بنفسه أن يذهب إليها، فينزل

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣ / ٢١).

(٢) المراد: الإمام الحجاوي رحمه الله - صاحب متن زاد المستقنع - حيث قال: «وتجب ضيافة المسلم المجتاز به في القرى يوماً وليلاً».



ضيفاً على صديق، أو على إنسان معروف، فلو نزل بك ضيف، ولو في الأمصار، فالصحيح الوجوب»^(١).

وأما الضيافة فيما زاد على الثلاثة أيام فهي صدقة من الصدقات لظاهر حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه المتقدم وفيه: قَالَ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»^(٢).

فقوله: «فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ» ظاهر في ذلك.



(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥ / ٤٨ - ٥١).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في أول هذا المبحث (ص ٢٠٩).



الخاتمة

توصل البحث إلى عدد من النتائج يحسن ذكرها في الخاتمة، ولعل من أبرزها:

- ١- الآداب السامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية التي تُظهر جوانب من عظمة هذا الدين الحنيف؛ لتقويم حياة الناس، وتمييز المسلمين عن غيرهم؛ وتُظهر كمال هذه الشريعة وشموليتها لجميع مناحي الحياة.
- ٢- أن الدين أدب كُله، والتمسك بالآداب الشرعية يقود إلى التمسك بالدين كله.
- ٣- أن إكرام الضيف من القيم النبيلة، ومن العادات العريقة المحمودة للعرب في جاهليتهم، وجاء الإسلام بإقرارها وتهذيبها، وبيان حكمها، وجعل لها من الآداب الرفيعة ما يرفع درجتها.
- ٤- أن الضيافة والإحسان إلى الضيف وإكرامه من خلق الأنبياء والمرسلين، ومن محاسن الدين، ومن مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام بإتمامها.
- ٥- تضافرت النصوص من الكتاب والسنة على فضل الضيافة والإطعام، وبيان أنها من شيم الكرام، وربطها رسول الله ﷺ بكمال الإيمان.
- ٦- منع القرئى عن الضيف مذموم في الإسلام، وعلى كل الألسن، وصاحبه ملوم.
- ٧- ورد في كتاب الله آداب جمّة للضيافة، وعلى قدر تحلي المضيف والضيف بها ومراعاتها يكتمل الإحسان بينهما، وتم الضيافة على أحسن وجه، وهي أشرف



الآداب إطلاقاً، وما عداها من التكاليف إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب القرآنية شرفاً وفخراً لمن تمسك بها.

٨- أن حق الضيف على من نزل به على ثلاث مراتب: حق واجب لمدة يوم وليلة، وحق مستحب لمدة ثلاثة أيام، وصدقة من الصدقات بعد ثلاثة أيام.

٩- الراجع- والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز- لا المقيم- واجبة، وأن وجوبها على أهل القرى والأمصار دون تفريق.

هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا،
والحمد لله رب العالمين.





تَبْتُ الْمَصَادِرَ وَالْمَرَاجِعَ

- ١- القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ٢- أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).
- ٣- إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، بيروت: دار المعرفة.
- ٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبدالله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، عالم الكتب.
- ٥- الأذكار، النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، ط ٢، الرياض، دار الهدى (١٤٠٩هـ).
- ٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية (١٤٠٧هـ).
- ٧- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط ١، دار الوفاء، (١٤١٩هـ).
- ٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ).
- ٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر، ط ٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم (١٤٢٤هـ).



- ١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ١١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر.
- ١٢- التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦)، بيروت: مكتبة لبنان، (١٩٨٥م).
- ١٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي السلامة، ط ١، دار طيبة (١٤١٨هـ).
- ١٤- التفسير الكبير، أو (مفاتيح الغيب)، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي أبو عبدالله (ت: ٦٠٦هـ). ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ).
- ١٥- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، ط ١، مصر: مطبعة مصطفى البابي وأولاده (١٣٦٥هـ).
- ١٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، يوسف بن عبدالله أبو عمر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ١٧- تهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبي منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي (٢٠٠١م).
- ١٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله (ت: ١٣٧٦هـ)، تقديم: محمد زهري النجار، جدة: دار المدني.
- ١٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني أبي السعادات (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، التتمة تحقيق: بشير عيون، ط ١، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، دار البيان (١٣٨٩هـ).
- ٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، تحقيق: د. عبدالله



التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط ١، دار هجر للطباعة (١٤٢٢هـ).

٢١- الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، مراجعة وضبط: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وقصي محب الدين الخطيب، ط ١، مصر: المكتبة السلفية (١٤٠٠هـ).

٢٢- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط ٧، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢٢هـ).

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبدالله الأنصاري، ط ٢، دار الفكر.

٢٤- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٥هـ).

٢٥- الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، جدة: مكتبة المدني.

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين السيد محمود أبو الفضل البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ).

٢٧- روضة الطالبين، النووي، محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عادل عبدالوجود، وعلي محمد معوض، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٢هـ).

٢٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط ١٤،



بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٧هـ).

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط ٤، بيروت: المكتب الإسلامي (١٤٠٥هـ).

٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط ٢، بيروت: المكتب الإسلامي.

٣٢- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، ط ١، بيروت: دار الحديث.

٣٣- سنن ابن ماجه، القرويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: المكتبة العلمية.

٣٤- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) أبو عيسى الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورَة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).

٣٥- سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٢هـ).

٣٦- شرح صحيح مسلم، النووي، محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ).

٣٧- الشرح الممتع على زاد المستنقع، العثيمين، محمد بن صالح (ت: ١٤٢١هـ) ط ١، دار ابن الجوزي (١٤٢٢-١٤٢٨هـ).

٣٨- شُعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالعلي حامد، بإشراف: مختار الندوي، ط ١، الرياض: مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٣٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.



- ٤٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
- ٤١- صحيح سنن أبي داود، للألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط ١، المكتب الإسلامي (١٤٠٩هـ).
- ٤٢- صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط ١، المكتب الإسلامي (١٤٠٨هـ).
- ٤٣- صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن حجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٤- ضعيف ابن ماجه، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠هـ)، ط ١، المكتب الإسلامي (١٤٠٨هـ).
- ٤٥- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: محمد باسل، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٧هـ).
- ٤٦- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد أبو العون الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، ط ٢، مصر: مؤسسة قرطبة (١٤١٤هـ).
- ٤٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الفضل العسقلاني، مكة المكرمة: دار الفكر للطباعة والنشر، والمكتبة التجارية لمصطفى الباز (١٤١٤هـ).
- ٤٨- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، بيروت: دار الفكر (١٤٠٣هـ).
- ٤٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط ١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٦هـ).
- ٥٠- قرئ الضيف، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد أبي بكر البغدادي الأموي القرشي



- (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، ط١، الرياض، السعودية: أضواء السلف (١٤١٨هـ).
- ٥١- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- ٥٢- الكشف، الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم، رتبه: مصطفى أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ).
- ٥٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي، أحمد بن محمد (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي (١٤٢٢هـ).
- ٥٤- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) تلكفوي، أيوب بن موسى الحسيني أبي البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤١٩هـ).
- ٥٥- لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ط١، دار صادر (١٣٧٤هـ).
- ٥٦- لقاء الباب المفتوح، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ].
- ٥٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، علي بن أبي بكر، بيروت: دار الفكر، ودار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).
- ٥٨- المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.
- ٥٩- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام بن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
- ٦٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبدالحق بن غالب أبي محمد



- الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مكتبة ابن تيمية (١٤١٣هـ).
- ٦١- مختار الصحاح، للرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر أبو عبدالله الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، الدار النموذجية (١٤٢٠هـ).
- ٦٢- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، ط ٢، دار الكتاب العربي (١٣٩٣هـ).
- ٦٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبدالله بن أحمد أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، حققه: يوسف علي بديوي، قدم له: محيي الدين مستو، ط ١، بيروت: دار الكلم الطيب (١٤١٩هـ).
- ٦٤- المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله، وبذيله التلخيص للذهبي، بإشراف: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، بيروت: دار المعرفة.
- ٦٥- المسند، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، ط ٣، دار المعارف.
- ٦٦- المسند، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، بإشراف: د. عبدالله التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ).
- ٦٧- مسند الروياني، أبو بكر محمد بن هارون، تحقيق: أيمن أبويماني، ط ١، القاهرة: مؤسسة قرطبة (١٤١٦هـ).
- ٦٨- معالم السنن، الخطابي، حمد بن محمد أبي سليمان البستي، ط ١، حلب: المطبعة العلمية (١٣٥١هـ).
- ٦٩- المغرب في ترتيب المعرب، المَطْرُزِي، ناصر بن عبدالسيد أبو الفتح الخوارزمي (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي.
- ٧٠- المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط ١، الرياض: مكتبة الرشد (١٤٠٩هـ).



- ٧١- المفردات في غريب القرآن، الراغب، الحسين بن محمد أبي القاسم، تحقيق: صفوان الداودي، ط ١، دمشق، بيروت: دار القلم، دار الشامية (١٤١٢هـ).
- ٧٢- المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، أبو العباس القرطبي، أحمد بن عمر الأنصاري، تقديم وتحقيق: د. عبدالهادي النازي، الرباط، المغرب: مطبعة الكرامة (١٤٢٦هـ).
- ٧٣- مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد، القاهرة: مكتبة القرآن.
- ٧٤- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية (الأجزاء: ١ - ٢٣: ط ٢، الكويت: دارالسلاسل، الأجزاء: ٢٤ - ٣٨: ط ١، مصر: مطابع دار الصفوة، الأجزاء: ٣٩ - ٤٥: ط ٢، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).
- ٧٥- النكت والعيون، للماوردي، علي بن محمد، المحقق: السيد بن عبدالمقصود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٧٦- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: الطناحي والزاوي، ط ٢، دار الفكر (١٣٩٩هـ).
- ٧٧- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابي، ط ١، دار الحديث، مصر (١٤١٣هـ).
- ٧٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، علي بن أحمد أبي الحسن (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وزملائه، قدمه وقرظه: عبدالحجي الفرماوي، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ).





References and Sources

1. ***The Holy Quran***, al-Madinah al-Nabawiyyah Mushaf for Computer Publishing, King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex.
2. ***Ahkamul Quran***, Ibn al-Arabi, Abu Bakr Mohammed ibn Abdullah, reviewed its origins, investigated its hadiths and commented by: Mohammed Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
3. ***Ehiyaa Oloum Al-Din***, Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi (died.: 505 AH), Beirut: Dar Al-Maarifah.
4. ***Al-Adaabu a'shariah, Ibn Muflih***, Mohammed bin Muflih bin Mohammed bin Mufarrej, Abu Abdullah, Shams al-Din al-Maqdisi al-Ramini, then al-Salihi al-Hanbali (died: 763 AH), Alam Alkotob .
5. ***Al-Azkar***, Al-Nawawi, Muhyi Al-Din Abi Zakaria Yahya Bin Sharaf Al-Nawawi, investigation: Abdul Qadir Al-Arnaout, 2nd Edition, Riyadh, Dar Al-Huda (1409 AH).
6. ***Elamul-Mowaqein a'n Rabul-alameen***, Ibn Qayyim al-Jawziyya, Shamsu-Ddin Abu Abdullah Mohammed ibn Abi Bakr, investigation: Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Sidon, Beirut: Al-Maqtabah Al-Asriyya (1407 AH).
7. ***Ekmalul-Moaleim bi-Fawaed Mulsim***, Al-Qadi Iyadh, Abu Al-Fadl Iyadh bin Musa Al-Yahsabi, investigation: Dr. Yahya Ismail, 1st edition, Dar Al-Wafa, (1419 AH).
8. ***Anwaru-tanzil wa Asraru-Taweel***, Al-Baydawi, Nasser Al-Din Al-Shirazi, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (1408 AH).
9. ***The Easiest Interpretations of the Words of The Almighty***, Abu Bakr al-Jaza'iri, Jaber bin Musa bin Abdul Qadir bin Jaber, 5th edition, Medina, Saudi Arabia: Maktabat Al-Oloum wal-Hekam (1424 AH).
10. ***Tajul-Arous m'n Jawaher Al-Qamous***, by Al-Zubaidi, Mohammed bin Mo-



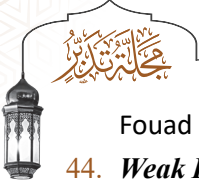
- ammed (Died: 1205 AH), investigation by a group of investigators, Dar Al-Hedaya.
11. ***Al-Tahreer wal-tanweer*** "Editing the Right Meaning and New Enlightening the Mind by the Interpretation of the Glorious Book", Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, Tunisia: Sahnoun Publishing House.
 12. ***Al-Tarifat, Al-Jurjani***, Ali bin Mohammed bin Ali Al-Zein Al-Sharif (died. 816), Beirut: Library of Lebanon, (1985 AD).
 13. ***Tafseerul-Quran Al- Azeem***, Ibn Katheer, Ismail bin Omar, investigation: Sami Al-Salama, 1st edition, Dar Taiba (1418 AH).
 14. ***Al-trafseer Al-Akabeer***, or (Mafatihul-Ghaib), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taimi Abu Abdullah (DIED: 606 AH) – 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1411 AH).
 15. ***Tafseer Al-Maraghi***, Ahmed bin Mustafa (died. 1371 AH), 1st Edition, Egypt: Mustafa Al-Babi and Sons Press (1365 AH).
 16. ***Al-Tamheed lima fil-Muttaa m'na al-Maani wal-Asaneed***, Ibn Abd al-Bar, Youssef bin Abdullah Abu Omar (died.: 463 AH), investigation: Mustafa Al-Alawi and Mohammed Al-Bakri, Morocco: Ministry of All Endowments and Islamic Affairs.
 17. Tahzeeb al-lughah, by Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed Al-Harawi Abi Mansour (died.: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereb, 1st Edition, Beirut: dar Ihia Alturathu Al-Arabi (2001 AD).
 18. ***Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan***, Al-Saadi, Abdurrahman bin Nasser bin Abdullah (Died.: 1376 AH), presented by: Mohammed Zuhri Al-Najjar, Jeddah: Dar Al-Madani.
 19. ***Jamul-Osoul fi Ahadith Al-Rasoul***, by Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Mohammed Al-Shaibani Abi Al-Saadat (Died: 606 AH), investigation: Abdul-Qadir Al-Arnaout, the sequel, Investigated by: Bashir Oyoum, 1st Edition, Al-Halawani Bookstore, Al-Mallah Press, Dar Al-Bayan (1389 AH).
 20. ***Jami' al-Bayan a'n Taweel Aye Al-Quran***, al-Tabari, Mohammed bin Jarir Abu Jaafar, investigation: Dr. Abdullah Al-Turki, in cooperation with the Center for Arab and Islamic Research and Studies, Dar Hajar, 1st edition, Dar Hajar for Printing (1422 AH).
 21. ***Al-Jami Al-Sahih, Al-Bukhari***, Mohammed bin Ismail Abu Abdullah, re-



- view and control: Muhib Al-Din Al-Khatib, Mohammed Fouad Abdul-Baqi, and Qusai Muhib Al-Din Al-Khatib, 1st Edition, Egypt: The Salafi Bookstore (1400 AH).
22. **Jameu Al-Oloum wal-Hekam**, Ibn Rajab, Zainu Ddin Abdurrahman bin Ahmed bin Rajab bin Al-Hassan Al-Hanbali (Died: 795 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout, and Ibrahim Bagis, 7th edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1422 AH).
 23. **Al-Jamei Li-Ahkam al-Quran**, Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed Abu Abdullah Al-Ansari, 2nd Edition, Dar Al-Fikr.
 24. **Jalau' al-Afham fi-Salati wa-Salam ala-Khairul-Anam, Ibn Qayyim al-Jawziyya**, Mohammed ibn Abi Bakr ibn Ayoub ibn Saad Shamsu Ddin (Died: 751 AH), 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1405 AH).
 25. **Al-Resalah Al-Taboukiayah” (Zad Al-Mosafer)** Ibn Qayyim Al-Jawziyah, Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad **Shams Al-Din** (Died: 751 AH), investigation: Dr. Mohammed Jamil Ghazi, Jeddah: Al-Madani Library.
 26. **Ruhul-Maani fi-Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa-Assabeul-Mathani**, Al-Alusi, Shihab Al-Din Al-Sayyid Mahmoud Abu Al-Fadl Al-Baghdadi, edited and corrected by: Ali Abdel-Bari Attia, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1415 AH).
 27. **Rawdat Al-Talibeen, Al-Nawawi**, Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), investigation: Adel Abdel-Mawgoed, and Ali Mohammed Moawad, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1412 AH).
 28. **Rawdat Al-Okalaa wa-Nohat Al-Fodalaa**, Mohammed Ibn Habban Ibn Ahmad Ibn Habban Ibn Muadh Ibn Ma`bad al-Tamimi, Abu Hatim al-Darami al-Busti (d.: 354 AH), investigation: Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
 29. **Zadul-Maad fi-Hadi Khairu el-Ebad**, Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Din Mohammed ibn Abi Bakr, verified the texts, extracted the hadiths and commented by: Shuaib al-Arnaout and Abd al-Qadir al-Arna'oot, 14th edition, Beirut: Foundation of the Resala (1407 AH).
 30. **Series of Authenticated Hadiths**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 4th Edition, Beirut: The Islamic Office (1405 AH).



31. **Series of Weak and Fabricated Hadiths**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 2nd edition, Beirut: The Islamic Bureau.
32. **Sunan Abi Dawood**, Abu Dawood Al-Sijistani, Sulaiman bin Al-Ashaath Al-Azdi, prepared and commented by: Ezzat Obaid Al-Daas, and Adel Al-Sayed, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Hadith.
33. **Sunan Ibn Majah**, Al-Qazwini, Mohammed bin Yazid Abu Abdullah, investigation: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, Beirut: Al-Maktabah Al-Elmiyyah.
34. **Sunan al-Tirmidhi (Al-Jameiu Al-Sahih)**, Abu Issa al-Tirmidhi, Mohammed bin Issa bin Surah, investigated and explained: Ahmad Mohammed Shakir, 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
35. **Siyar Alaam Al-Nobalaa**, Al-Dhahabi, Mohammed bin Ahmed bin Othman, 2nd Edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1402 AH).
36. **Sharh Sahih Muslim**, Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), Dar al-Kitab al-Arabi (1407 AH).
37. **Al-Sharhu al-Mumti' al Zadu al-Mustaqna**, Al-Uthaymeen, Mohammed bin Saleh (Died: 1421 AH) 1st edition, Ibn al-Jawzi House (1422-1428 AH).
38. **Shu'ab Al-Iman**, Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein Abu Bakr (d.: 458 AH), investigation: Abdul Ali Hamid, under the supervision of: Mukhtar Al-Nadawi, 1st edition, Riyadh: Al-Rushd Library in cooperation with the Salafi House in Bombay, India (1423 AH - 2003 AD).
39. **Sobh Al-Asha fi Senaatu Al-Inshaa**, Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali (Died: 821 AH), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
40. **Sahih al-Jamiu al-Sagheer wa-Edafatoh**, al-Albani, Mohammed Nasir al-Din ibn al-Hajj Nuh ibn Najati ibn Adam, al-Ashqudari Abu Abd al-Rahman (Died: 1420 AH), the Islamic Office.
41. **Sahih Sunan Abi Dawood**, by Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1409 AH).
42. **Sahih Sunan Ibn Majah**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din Bin Al-Hajj Noah Bin Najati Bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1408 AH).
43. **Sahih Muslim**, Al-Nisaburi, Muslim bin Hajjaj, investigation: Mohammed



- Fouad Abdel-Baqi, Dar Ihiya Al-Kotub Al-Arabiyyah
44. **Weak Hadiths of Ibn Majah**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1408 AH).
 45. **Umdat al-Hoffaz fi Tafeeir Ashraf al-Alfaz**, Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef, investigation: Mohammed Basil, 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1417 AH).
 46. **Ghezaau Al-Albab fi Sharhu Manzoumatu Al-Aadab**, Al-Saffarini, Shams Al-Din Mohammed bin Ahmed Abu Al-Awn Al-Hanbali (Died: 1188 AH), 2nd Edition, Egypt: Cordoba Foundation (1414 AH).
 47. **Fathu el-Bari Sharhu Sahih Al-Bukhari**, Al-Hafiz Ibn Hajar, Ahmed bin Ali bin Mohammed bin Ahmed Abu Al-Fadl Al-Asqalani, Makkah Al-Mukarramah: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, and Mustafa Al-Baz Commercial Bookstore (1414 AH).
 48. **Fat'hu al-Qadir**, Al-Shawkani, Mohammed bin Ali al-Yamani (Died: 1250 AH), Beirut: Dar al-Fikr (1403 AH).
 49. **Fayd Al-Qadeer**, Sharh al-Jami al-Saghir, al-Manawi, Zain al-Din Mohammed, called Abd al-Raouf ibn Taj al-Arifin ibn Ali ibn Zain al-Abidin al-Haddadi, then al-Manawi al-Qahiri (Died: 1031 AH), 1st edition, Egypt: The Great Trade Bookstore (1356 AH).
 50. **Qira Al-Dhaif**, Ibn Abi Al-Doniya, Abdullah bin Mohammed Abi Bakr Al-Baghdadi, the Umayyad Al-Qurashi (Died: 281 AH), investigation: Abdullah bin Hamad Al-Mansour, 1st edition, Riyadh, Saudi Arabia: Adwau' Al-Salaf (1418 AH).
 51. **Kitab Al-Ain**, Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (Died: 170 AH), investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, and Ibrahim Al-Samarrai, Dar Al-Hilal.
 52. **Al-Kashshaf**, Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar Abu Al-Qasim, arranged by: Mustafa Ahmed, 3rd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi (1407 AH).
 53. **Al-Kashf wal-Bayan fi Tafseer Al-Quran**, Abi Is'haq Al-Thalabi, Ahmed bin Mohammed (Died: 427 AH), investigation: Mohammed bin Ashour, reviewed by: Nazeer Al-Saadi, 1st edition, Beirut: Dar Ihiya Al-Turath Al-Arabi (1422 AH).
 54. **Al-Kolliyat** (A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences) Telk-

- afwi, Ayoub bin Musa Al-Husseini Abi Al-Baqa Al-Hanafi (Died: 1094 AH), investigation: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masri, 2nd edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1419 AH).
55. **Lisan Al-Arab**, Ibn Manzoor, Jamal Al-Din Mohammed Bin Makram, 1st edition, Dar Sader (1374 AH).
 56. **Open Door Meeting**, Al-Uthaymeen, Mohammed bin Saleh bin Mohammed (Died: 1421 AH), [meetings Sheikh used to hold at his home every Thursday. It began at the end of Shawwal 1412 AH and ended on Thursday, Safar 14, 1421 AH].
 57. **Majma' al-Zawa'id wa Masdaru el-Fawa'id**, by Al-Haythami, Ali bin Abi Bakr, Beirut: Dar al-Fikr, and Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
 58. **Al-Majmou Sharh Al-Muhadhab** (with the complement of *Al-Subki and Al-Mutaie*), Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), Dar Al-Fikr.
 59. **Majmou Al-Fatawa, Sheikhu el-Islam ibn Taymiyyah**, Ahmed bin Abdul Halim, compiled and arranged by Abdurrahman bin Mohammed bin Qasim.
 60. **Al-Mohariru el-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeez**, Ibn Attia, Abd al-Haq bin Ghalib Abi Mohammed al-Andalusi, investigation: Academic Board in Fez, Ibn Taymiyyah Library (1413 AH).
 61. **Mukhtar al-Sihah**, al-Razi, Zainu al-Din Mohammed ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir Abu Abdullah al-Hanafi (Died: 666 AH), investigation: Youssef Sheikh Mohammed, 5th edition, Sidon, Beirut: Al-Mataba al-Asriya, Al-Dar Al-Tamaziah (1420 AH).
 62. **Madarij al-Salikeen**, Ibn Qayyim al-Jawziyya, investigation: Mohammed al-Faki, 2nd edition, Dar al-Kitab al-Arabi (1393 AH).
 63. **Madariku e-Tanzeel wa-Haqaiqu a-Taweel**, Al-Nasafi, Abdullah bin Ahmed Abu Al-Barakat (Died: 710 AH), investigated by: Youssef Ali Badawi, presented to him by: Mohieddin Misto, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib (1419 AH).
 64. **Al-Mustadrak ala As'sahihain**, Al-Hakim Al-Nisaburi, Mohammed bin Abdullah, and his tail is the summary of Al-Dhahabi, under the supervision of: Youssef Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Beirut: Dar Al-Maarifa.
 65. **Al-Musnad**, Al-Shaibani, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal (Died: 241



- AH), investigation: Ahmed Shaker, 3rd edition, Dar Al-Maaref.
66. *Al-Musnad*, Al-Shaibani, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal (Died: 241 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al, under supervision of: Dr. Abdullah Al-Turki, 1st Edition, Al-Resala Foundation (1421 A.H.).
67. *Musnad Al-Ruyani*, Abu Bakr Mohammed bin Harun, investigation: Ayman Abu Oymani, 1st edition, Cairo: Cordoba Foundation (1416 AH).
68. *Maalim al-Sunan*, Al-Khattabi, Hamad bin Mohammed Abi Suleiman al-Bas-ti, 1st edition, Aleppo: Academic Press (1351 AH).
69. *Al-Maghrib fi tarteeb Almoarrab*, Al-Mutarzi, Nasser bin Abdul-Sayed Abu Al-Fath Al-Khwarizmi (died: 610 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi.
70. *Al-Musannaf fi Al-Ahadith wal- Athar*, Ibn Abi Shaybah, investigation: Ka-mal Al-Hout, 1st Edition, Riyadh: Al-Rushd Bookstore (1409 AH).
71. *Al-Mofradat fi Gharibu el-Quran*, Al-Ragheb, Al-Hussein bin Mohammed Abi Al-Qasim, investigated by: Safwan Al-Daoudi, 1st edition, Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya (1412 AH).
72. *Al-Mofhim li'ma Oshkila m'n Talkhisi Sahihi Muslim*, Abu Al-Abbas Al-Qurtubi, Ahmed Bin Omar Al-Ansari, introduced and verified by: Dr. Abd al-Hadi al-Nazi, Rabat, Morocco: Al-Karama Press (1426 AH).
73. *Makarim Al-Akhlaq*, Ibn Abi Al-Dunya, Abdullah bin Mohammed (Died: 281 AH), investigation: Magdi Al-Sayed, Cairo: Quran Library.
74. *Kuwaiti Encyclopedia of Jurisprudence*, issued by: The Ministry of En-dowments and Islamic Affairs (Parts: 1-23: 2nd Edition, Kuwait: Dar Al-Silsil, Parts: 24-38: 1st Edition, Egypt: Dar Al-Safwa Press, Parts: 39-45: 2nd Edition, Kuwait: Ministry of Endowments and Islamic Affairs).
75. *Al-Nokat wal-Eyoun*, Al-Mawardi, Ali Bin Mohammed, Investigated: Al-Sayyid Bin Abdul-Maqsoud, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya.
76. *Al-Nehayah fi Gharib Al-Hadith*, Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Moham-med, investigated by: Al-Tanaji and Al-Zawi, 2nd Edition, Dar Al-Fikr (1399 AH).
77. *Nailu Al-Awtar, Sharhu Muntaha Al-Akhbar*, Al-Shawkani, Mohammed bin Ali Al-Yamani (Died: 1250 AH), investigation: Essam Al-Din Al-Sababati, 1st Edition, Dar Al-Hadith, Egypt (1413 AH).
78. *Al-Waseet fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed*, Al-Wahidi, Ali bin Ahmed Abi



Al-Hassan (Died: 468 AH), investigation: Adel Abdul-Mawgoud and his colleagues, presented and reviewed by: Abdul-Hay Al-Farmawi, 1, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya (1415 AH).





فهرس الموضوعات

المستخلص	١٥٧
المقدمة	١٦١
التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة	١٧١
المطلب الأول: تعريف الأدب لغةً	١٧١
المطلب الثاني: تعريف الضيافة	١٧٢
المبحث الأول: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم	١٧٤
المبحث الثاني: آداب الضيافة في القرآن الكريم	١٨٣
المطلب الأول: آداب المضيف	١٨٣
المطلب الثاني: آداب الضيف	٢٠٠
المبحث الثالث: حكم الضيافة في القرآن الكريم	٢٠٨
خاتمة	٢١٥
ثبت المصادر والمراجع	٢١٧
رومنة المصادر والمراجع	٢٢٥
فهرس الموضوعات	٢٣٣



بِحَبْلِ تَتَكَبَّرُ

.....

دَلَالَاتُ أفعالِ خَلْقِ الأَكْوَانِ وَالإنْسَانِ فِي ضَوْءِ القُرْآنِ

«بَثَّ، وَوَجَّأَ، وَأَنْبَتَ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَشَرَ»

نَمَازِجُ تَطْبِيقِيَّةٍ



د. الأمير محفوظ محمد إبراهيم

قدم للنشر في: ١٤٤١/١٢/١١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٢/١١

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- ◆ حاصل على درجة التخصص الماجستير في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابير الوقائية لعلاج البطالة».
- ◆ حاصل على درجة العالمية الدكتوراه في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «مسلمو أهل الكتاب في مصر في القرن العشرين وأثرهم في الدعوة».

◆ النتاج العلمي:

- ١- «علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وأثارها المترتبة».
- ٢- «الكفايات الدعوية - المدعو نموذجًا تطبيقيًا».
- ٣- «قراءة صحيفة المدينة في ضوء فقه المواطنة».
- ٤- «رسالة مدح السعي وذم البطالة لابن كمال باشا - دراسة وتحقيق».
- ٥- سلسلة بعنوان: (من وعي الأمة والمجتمع) وقد صدر لي منها: «فروض الكفاية وأثرها في تنمية الفرد والمجتمع»، و«الوسطية في الإسلام»، و«العقائد والمعتقدات وأثرها في المجتمع».



المستخلص

إن دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق والإيجاد موضوع متشعب له منزلة كبيرة في الفكر الإسلامي ينالها من إسنادها إلى الله تعالى؛ إذ تحمل من الحكم والعبر والعظات لكل مكلف راشد، فضلاً عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي العقلية القائمة إلى يوم القيامة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (دلالات أفعال خلق الأكوان والإنسان في ضوء القرآن - بثّ وأحياناً وأثبت وأخرج وجعل ونشر نماذج تطبيقية).

- **أسباب دراسة أفعال الخلق والإيجاد:** تدور بين العلم والإيمان؛ لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها.

- **أهداف الدراسة:** كثيرة، ومن أهمها: إظهار الدلالة على الإيمان بالله مالك القوى وخالق الخلق من محض العدم.

- **منهج الدراسة هو:** المنهج الوصفي التحليلي.

- **نتائج الدراسة:** توصلت إلى إثبات العقائد، وإظهار المنزلة الربانية، والرد المفحم على الملحد منكر البعث.

- أوصت الدراسة عموم الباحثين بالبحث في المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة على أفعال القرآن الكريم الدالة على الخلق والإيجاد بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه.

- **الكلمات المفتاحية:** (أفعال الخلق - الدلالة)، و(بثّ - وأحياناً - وأثبت) وهي من النماذج التطبيقية التي تناولتها في هذه الدراسة الحالية.



pure nothingness.

The study uses the descriptive analytical method.

- The findings of the study: it reaches some conclusions that prove creeds, bring to light the divine bestowals and blessings and make a compelling response to those who repudiate Final Resurrection.

- The study recommends that all researchers should explore the Quranic vocabulary in general and the verbs denoting creation and origination in particular.

Keywords:

Verbs of creation- semantics- scatter- revive- cause to grow





The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models

by

Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha

One of the scholars of Al-Azhar

Abstract

The study of the Quranic verbs that refer to creation and origination is a complex topic that receives considerable attention in Islamic thought on the basis that they are attributed to Allah, the Almighty. They contain axioms and lessons for every responsible adult. These verbs also reveal the inimitability of the Quran as the top miracle of the Prophet's that will last until the Day of Resurrection. This paper is entitled "The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models"

- The rationale for studying the verbs of creation and origination: the study is carried out for science and religious purposes because some of our contemporary young people have become less faithful and Islamic thought is in dire need of elucidating the implications and meanings of these verbs.
- The main objective of the study is to show evidence of belief in Allah, the omnipotent who creates all beings and creatures out of



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ قائد الغر المحجلين، المبعوث رحمة للعالمين بوحى معجز، وبعد.. فإن القرآن الكريم خير الكلام، وأطيب الكلم، وهو كلام الله -تعالى- الذي لا تملُّ الألسن من ترديد ألفاظه، ولا تكُلُّ الأذان من تكرار سماعه، ولا تسأم القلوب من التفكير في حكمة ألفاظه ومبانيه؛ للوقوف على غزارة معانيه، إذ دعانا الله لقراءته، وتكرير ترتيله، وحضنا على فهمه وتدبره، وأمرنا بالعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

إن (الأفعال الدالة على الخلق) موضوع الدراسة لها منزلة كبيرة في العقيدة الإسلامية يظهر جلياً في نسبتها إلى الله ﷻ إذ تحمل من الشواهد والأدلة على عقيدة كل مكلف راشد، كما تحمل دلالة هادية للحائرين، فضلاً عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي ﷺ مستمرة في خطاب عقلاء بني آدم إلى يوم القيامة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (دلائل أفعال خلق الأكوان والإنسان في ضوء القرآن - بثّ وأحيا وأنبث وأخرج وجعل ونشر نماذج تطبيقية).

◆ حدود الدراسة :

أولاً: لوحظ بعد تدبر القرآن المجيد وجود أفعال قرآنية شريفة تدل على عموم خلق وإيجاد الأكوان والإنسان، وهي: (بثّ، وأحيا، وأنبث، وأخرج، وجعل، ونشر)، بعدما سبقت دراسة سبعة أفعال للخلق والإيجاد، هي: (خلق،



وصور، وسوى، وأنشأ، وفطر، وذزأ، وبرأ)، مستخرجاً دلالاتها الإيمانية، مبيناً وجه التحدي وإعجاز البشرية به، مكتفياً بها؛ (إذ ليس المقصود استقصاء جميع أفعال القرآن الدالة على الخلق)^(١).

ثانياً: تبين لي - بعد البحث والتدبر في القرآن - وجود أفعال قرآنية للخلق تدل على خصوص خلق وإيجاد الإنسان، وهي: (عدل، ورغب، وجمع، وكسا)، كما وجدت أفعالاً تدل على خصوص خلق الأكوان في النشأة الأولى، وهي: (بنا، ودحا، وطحا، وصنع، وأتقن) كما لوحظ وجود أفعال تدل على إعادة عموم خلق الله تعالى وهما فعلاّن: (بعث وأعاد)^(٢)، وإن بقية الأفعال الدالة على الخلق في جملتها تدل على عموم إتقان الصنع، وتجويد إحداث الخلق، فأيات القرآن تنص على خلق الأنفس والآفاق، وما فيها من حكمة الله تعالى حيث يكون تحت كل فعل دلالة أو إشارة تتعلق بالإعجاز العلمي في الكتاب الكريم، ومعلوم كثرة الأفعال الدالة على الخلق الواردة في القرآن، والقصد معقود على دراسة بقية الأفعال الدالة على الخلق، واستقرائها على سبيل التمام.

◆ دوافع دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق:

أولاً: فوائد دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق والإيجاد تنمي العلم

(١) أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها د. الأمير محفوظ محمد، مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة في شهر رجب سنة (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩)، (ص: ٣٥٧).

(٢) سأتناول هذه الأفعال - إن شاء الله - في حدود الدراسة، فإذا ضاق المقام فسوف أتناول بقية الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد في دراسة أخرى، بغية استخراج مواطن دلالاتها على الإعجاز في فعل الخلق والإيجاد من عدم.



والإيمان؛ وذلك لضياح بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلائلها لثبوت ما ينكره بعض الملاحدة اليوم، فمن فوائد الدراسة ما يلي:

١- الإيمان بالله تعالى، حيث يجمعها جميعاً أنها أفعال الله ﷻ خالق الأكوان والإنسان بما تحمل من دعوة للتحدي بالأفعال الدالة على الخلق والإيجاد من عدم، وثبوت إعجاز البشرية عن ذلك، وما تحمل من عقائد أساسية واجبة التسليم، كعقيدة البعث بعد الموت، وإعادة الخلق.

٢- يدعو لدراسة الأفعال الدالة على الخلق غزارة معانيها اللغوية ودلالاتها، فيدل على ضرورة دراسة دلالاتها العلمية، وهذا مجال أهل الذكر في كافة مجالات العلم الطبيعي.

ثانياً: أن الخلق والأمر لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وليس لأحدٍ سواه خلقٌ شيء، أو أمرٌ بشيء لا على سبيل المشاركة أو المعاونة لله تعالى في ذلك، ولا على سبيل الاستقلال من دون الله؛ فإن الخلق خلقه، والأمر أمره.

ثالثاً: دلالة أفعال الخلق والإيجاد على مواطن الامتنان الرباني على كافة العباد؛ إذ أوجد الإنسان من عدم، ومنحه الحواس والمهارات المختلفة؛ فدراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق تظهر، وتبرز مواطن امتنان الله على الإنسان؛ لبيان استحقاق الله الخالق للتوحيد والعبادة، وليشكر الله -تعالى- على نعمائه وآلائه متفكرًا فيها، قال تعالى: ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ أَتُكذَّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].



◆ أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد :

من أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد إظهار دلالتها، وفوائدها الفرعية المستفادة؛ لأن كل فعل له دلالة عامة، وأخرى خاصة من حيث الجملة، وهي:

الدلالة الأولى: عامة تشترك جميع أفعال الخلق والإيجاد كلها فيها سواء؛ وهي الدلالة على خلق الله تعالى، وإيجاد الأكوان والإنسان من عدم على السواء، ولو كانت دلالة على سبيل الإجمال؛ لأن هذا غرض أصلي هو بيان الخلق والإيجاد.

الدلالة الثانية: دلالة خاصة بذات كل فعل للخلق؛ بحكم الدلالة اللغوية التي قد تتعدد، فيفيد الفعل الواحد عدة معانٍ: الأولى: الخلق والإيجاد، والثانية: خصوص معنى معين فيه حيث تتنوع الدلالة الخاصة، وتختلف من فعل دال على الخلق إلى آخر.

الدلالة الثالثة: تعدد الفوائد الفرعية المستفادة من الأفعال الدالة على الخلق، فثمة غرض فرعي هو إبراز وإظهار مواضع الامتنان؛ لذا قال تعالى: ﴿كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [طه: ٥٤]، وقد سبقت الإشارة إليه.

وهناك غرض فرعي آخر يتمثل في توجيه الخلق إلى أن عملية الخلق سواء قبل خروج الإنسان من بطن أمه للحياة، أو بعد خروجه، وكذلك بيان أحوال تنميته وتغذيته كجسم نام باستمرار؛ لذا قال: ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨] وهو دليل عناية الله بخلقه.

وهناك غرض فرعي ثالث يبدو في توجيه إثبات البعث بعد الموت، فتلك دلالة على توالي عناية الخالق بخلقه بعد الميلاد؛ كدلالة بينها جميعاً دالة على الخلق



والإيجاد ابتداء في النشأة الأولى، أو إعادة في النشأة الأخرى، وربما كان بعض أفعال الخلق والإيجاد أظهر دلالة من بعض، وبعضها أخفى دلالة من بعض؛ إذا لا تخلو أفعال الخلق من دلالة عامة.

ومن الجدير بالإشارة أن هناك فرقاً بين (الفائدة الفرعية) وبين (الدلالة الخاصة)؛ لأن الوقوف على الفوائد الفرعية يقف عليها الباحث من خلال البحث والنظر والتدبر في مواضع أفعال الخلق والإيجاد، فالفائدة الفرعية تتعدد مواضعها، وتتأكد بتكرار الإشارة إليها في تلك الأفعال؛ كالفائدة المستفادة من الفعل (يبعث، ويعيد.. إلخ) على البعث، بينما (الدلالة الخاصة) تستقل بفعل معين من الأفعال الدالة على الخلق دون غيره من الأفعال؛ كدلالة خصوص التكثير من الفعل (بث).

◆ الدراسات السابقة :

لا شك في أن مصنفات غريب اللغة العربية قد تطرقت إلى جانب من أفعال الخلق والإيجاد، وممن اعتنى بمفردات القرآن الإمام الراغب^(١) في كتابه: (المفردات في غريب القرآن) وقد رجعت إليه وانتفعت به أيما انتفاع، وهو مفيد في تقسيماته وتفريعاته، وللراغب كذلك دراسة أخرى اعتنى فيها بلفت النظر إلى

(١) الراغب: (توفي حوالي: ٥٠٢هـ) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، ترجم له الإمام الذهبي في الطبقة الرابعة والعشرين، وقال: «كان من أذكى المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وكان -إن شاء الله- في هذا الوقت حيًّا، يسأل عنه». ينظر: سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، (٢١/١٢٠-١٢١)، والأعلام، خير الدين الزركلي، (٢/٢٥٥).



خلق الأكوان والإنسان، هي كتابه: (تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين)، كما أن للإمام للفيروز آبادي^(١) كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) جمع بين الشارد والوارد، ثم للإمام ابن قيم الجوزية^(٢) كتابٌ نافِعٌ هو: (مفتاح دار السعادة) قد أشار فيه إلى مواطن العبرة، ومواضع المنة فأفاد وأجاد رحمة الله تعالى عليه، كما أن علماء تفسير القرآن شرحوا، وقدموا زادًا مفيدًا لشرح أفعال الخلق والإيجاد، مع خلط بين التفسير وبين استخلاص دلالة أفعال الخلق والإيجاد.

كما وقفتُ على دراسة بعنوان: (من أفعال الخلق في القرآن الكريم دراسة معجمية وموضوعية) للدكتور عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، وقد انصب جل اهتمامه على الجانب اللغوي لما عرض له من أفعال^(٣)، فاعتنى بالجانب

(١) الفيروزآبادي: (٧٢٩-٨١٧هـ) هو: مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الفيروزآبادي أبو الطاهر اللُّغوي الشافعي العلّامة ولد بكازرون من أعمال شيراز، ونشأ بها فحفظ القرآن وهو ابن سبع وجود الخط، ثم نقل فيها كتابين من كتب اللغة وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان وأخذ اللغة والأدب، وكثرت رحلاته بين مصر وفارس والهند والشام وبغداد واليمن وجاور بمكة فترة، ومات وقد متع بسمعه وحواسه بزيبه وكان يرجو وفاته بمكة فما قدر. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، (١٠/٧٩-٨٦)، وشذرات الذهب، لابن العماد، (٩/١٨٦-١٩٣).

(٢) ابن قيم: (٦٩١-٧٥١هـ)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي، أبو عبدالله، مولده ووفاته بدمشق، وهو أحد كبار علماء الحنابلة، تعلم على التقي سليمان وابن عبد الدائم، وابن الشيرازي ولزم الشيخ ابن تيمية. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (٨/٢٨٧-٢٩١).

(٣) نشرت هذه الدراسة على موقع الدكتور عبد المجيد محمد الغيلي «رحى الحرف» سنة (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) وله عدة دراسات في بعض المفردات القرآنية هي: «الوَهْنُ في القرآن الكريم دراسة موضوعية»، و«من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم دراسة معجمية» و«دراسة معجمية

اللغوي بينما تقوم دراستي لدلالات أفعال الخلق والإيجاد على التصنيف والتقسيم لها وفق تطابق الدلالة على الإيجاد من عدم.

وإن لكتاب هذه الدراسة تجربة أولية سابقة بعنوان: (أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها)^(١)، ضمنها مواضع الدلالة والفائدة لعدد من تلك الأفعال، وقد رأيت أن أُلحق بها دراسة أخرى لعدد آخر من أفعال الخلق والإيجاد؛ لذلك تقوم هذه الدراسة الحالية بإفراد أفعالٍ أخرى للخلق والإيجاد هي: (بَثَّ، وَأَحْيَا، وَأَنْبَتَ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَشَرَ) بالبحث والنظر والتدبر.

◆ منهج دراسة بقية أفعال الخلق والإيجاد:

تقوم الدراسة على المنهج (الوصفي التحليلي) باستقراء ما في القرآن الكريم من أفعال تفيد دلالة الخلق من دلالات، من خلال جمع ما ييسر في هذه الدراسة من أفعال الخلق والإيجاد، ثم أقوم بالبحث في كل فعل من هذه الأفعال عما يلي:

(١) المعاني اللغوية لكل فعل للخلق على جهة الاستقلال، مع استثمار ما يدل من هذه المعاني على الخلق والإيجاد سواء على جهة الإنشاء عند النشأة الأولى، أو استكمال الخلق وتسويته وتعديله؛ وذلك لكمال الخالق -تعالى- فيما خلق في أحسن تقويم، أو عند النشأة الأخرى وهي منها.

= لخمس ألفاظ في القرآن الكريم: بنى، ورفع، وسع، الضحى، الحبك» وله: «السماء والسموات في القرآن الكريم» منشور سنة (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥) وقد اعتنت هذه الدراسات بدلالة المفردة القرآنية.

(١) أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها د. الأمير محفوظ محمد، منشور في مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس السنة الثالثة في رجب (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩).



٢) الوقوف بعد تدبير أفعال الخلق والإيجاد على أوجه دلالة الفعل على الخلق والتقدير، واستخراج مواطن الفائدة؛ لأستوفي دراستها جميعاً قدر الجهد والطاقة.

٣) استخراج دلالة اختلاف القراءات المتواترة لبعض أفعال الخلق والإيجاد مثل (نشر ونشر) مع بيان معنى الفعل وفق كل قراءة، والوقوف على مواطن دلالة الأفعال على العقائد وهي كثيرة، أظهرها: عقيدة البعث والنشور، والمعاد بعد الموت.

◆ خطة الدراسة وتقسيمها:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة ومبحثين:

المقدمة: وتشتمل على حدود الدراسة، ودوافعها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، وتقسيمها.

المبحث الأول: (معاني أفعال القرآن الدالة على الخلق ودلالاتها).

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: معاني الفعل (بثّ) ودلالته.

المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالته.

المطلب الثالث: معاني الفعل (أنبت) ودلالته.

المطلب الرابع: معاني الفعل (جعل) ودلالته.

المطلب الخامس: معاني الفعل (أخرج) ودلالته.

المطلب السادس: معاني الفعل (نشر) ودلالته.



المبحث الثاني: (مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد).

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهرس العام بمحتوى الدراسة.

وهذا أوان الشروع فيما نويته، وتنفيذ ما قصدتُ، وفاء بما وعدت؛ لأن نية المرء خير من عمله سائلاً المولى ﷺ التوفيق مستمداً منه - سبحانه - السداد والرشاد، إنه ولي ذلك، وهو قادر عليه؛ عسى أن يوفِّي عليه بالأجر الأوفى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

د. الأمير محفوظ محمد

- القاهرة - (ذو الحجة ١٤٤١ - أغسطس ٢٠٢٠).





المبحث الأول

معاني أفعال القرآن الدالّة على الخلق ودلالاتها

إن أفعال الخلق والإيجاد التالية دلالتها عامة على خلق الإنسان والأكوان، وسوف أفف على معانيها في اللغة أولاً، ثم أبين ما تيسر من دلالاتها، وهي كما يلي:

المطلب الأول:

معاني الفعل (بَثَّ) ودلالته

◆ أولاً: معاني الفعل (بَثَّ) في اللغة:

الفعل (بَثَّ) أشار علماء اللغة إلى أن معنى: بَثَّ يَبِثُّ بَثًّا: نشر ينشر نشرًا، وبِثُّ الشيء: تفريقه، وخلق الله الخلق فبِثَّهُم في الأرض، ومنها قوله: ﴿وَبِثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، أي: نَشَرَ وكَثَّرَ، وبِثَّتْ خَبْرًا: نشرته، كما في حديث أم زرع: «رَوَّجِي لَا أَبِثُّ خَبْرَهُ»^(١)، أي: لا أنشره لقبح آثاره، وبِثَّتِ البُسْطُ: إذا بسطت، ومنه قوله: ﴿وَرَزَّابِي مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]، أي: كثيرة، وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ٦]، أي: غبارًا منتشرًا، وتقول: بَثَّ الرِّيحُ الترابَ: إذا قَرَّقته وأثارته دلالة

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل،

رقم: (٥١٨٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة باب: حديث أم زرع، رقم: (٢٤٤٨)

كلاهما من حديث السيدة عائشة.



على التفريق وإثارة الشيء، ومنها قوله: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، أي: المنتشر المهيج بعد ركونه وخفائه، وورد أن أصل البث: التفريق وإثارة الشيء.

وبث النفس: ما انطوت عليه من غمٍّ وسرٍّ، وقيل: البثُّ في الأصل شدة الحزن والمرض الشديد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بمعنى الغم الذي يبثه عن الكتمان؛ أي: غمي الذي أبثه عن كتمان، فهو مصدر في تقدير مفعول، أو بمعنى غمي الذي بث فكري، نحو: توزعني الفكر، فيكون في معنى الفاعل، وفي حديث كعب بن مالك قال: «فَلَمَّا تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي» (١)، أي: اشتد حزني (٢).

إذا يحمل فعل البث من المعاني ما يلي: أولاً: التكثير. ثانياً: التفريق والتهيج والإثارة. ثالثاً: الانتشار بالتكاثر وهو يكون بالتزاوج والاقتران، ومن المعاني المستفادة من الفعل (بث) إذاعة الأخبار ونشرها، ومنه بثُّ الهم: كتمانها، فهو من الأضداد.

◆ ثانياً: دلالات الفعل (بث):

تدل دلالات الفعل (بث) على الخلق فيما يلي:

أولاً: اقتران الفعل (بث) بكلمة (الدَّابَّة)، وهي: كل شيء يدبُّ على وجه

- (١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب التوبة، باب: توبة كعب بن مالك صاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٥٧٨٩) (٢٥ / ٦٩)، كلاهما من حديث كعب بن مالك الأنصاري.
- (٢) ينظر: مادة (بث) في: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (٨ / ٢١٧)، والصحاح تاج اللغة، للجوهري، (١ / ٢٧٣)، ولسان العرب لابن منظور، (٤ / ١١٤)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص: ١٠٨).



الأرض من إنسان وحيوان، وفي العرف تطلق على الخيل والحمار والبغل^(١)، ورد ذلك في قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، أي: خلق الله كل دابة، وأوجدها من عدم، ثم انتشرت في الأرض، وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠]. وقد ورد في القرآن الفعل (بثَّ) مع خلق كل دابة بعد تهيئة الأرض للحياة، فقال: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ لبيان تمام خلق الأرض، وتهيئتها لاستقرار حياة الكائنات.

ثانياً: ورد الفعل (بثَّ) بعد استقرار الأرض بالجبال، وثبات الحياة في قوله تعالى: ﴿وَالْقَلْبَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَيْتَ أَنْ تُقَدِّمِكُمْ وَلِتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] ليدل على أن البث كان بعد تهيئة الأرض لحياة الإنسان، وناسب هذا -أيضاً- ورود الفعل (بثَّ) خاصاً بالدواب من دون الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، خاص بخلق الدواب حيث عطف على خلق الناس، والعطف يقتضي المغايرة، (قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: خلق الإنسان، وقوله: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ إشارة إلى خلق سائر الحيوانات، ووجه دلالتها على وجود الإله القادر المختار أن الأجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الأعضاء بكونه المعين، وصفته المعينة وشكله المعين، لا بد أن يكون بتخصيص القادر المختار، ويدخل فيه انتقاله من سن إلى آخر، ومن حال إلى آخر^(٢).

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي أبو البقاء

(ت: ١٠٩٤هـ)، (ص: ٤٣٨).

(٢) التفسير الكبير، للإمام الرازي، (٢٧ / ٦٧٠).



وقال الراغب: (إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه)^(١)، فالفعل (بثّ) عام في خلق كل ما يدب على الأرض، مما يشمل الحيوان لإظهار منته الله تعالى على الإنسان، ودلالة هذا الفعل على إظهار موضع المنة فيه أنه يعيد إلى الذهن دلالة الفعل (ذراً)^(٢)، ففيه دلالة على التكثير بالنسل.

ثالثاً: ورد الفعل (بثّ) مع خلق (الإنسان) خاصة في قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ومعنى هذا الفعل في التفسير: (﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها - يقصد آدم وحواء - بطريق التوالد والتناسل، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ نعت لكلمة (رجالاً) مؤكدة لما أفاده التنكير من الكثرة والإفراد باعتبار معنى الجمع، أو العدد، وقيل: هو نعتٌ لمصدرٍ مؤكّدٍ للفعل، أي: بثّاً كثيراً ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كثيرة، وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور^(٣)، وقال ابن عاشور^(٤): (والبث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة.. مع ما يقتضيه فعل البث من الكثرة)^(٥)، فدلالة هذا الفعل على تكثير بني آدم بالتناسل والتكاثر.

رابعاً: دلالة الفعل (بث) مقارنة بالفعل (برأ وذرأ) فهناك فرق بينها؛ لأن تدبر

(١) المفردات في غريب القرآن، للإمام الراغب، (ص: ١٠٨).

(٢) ينظر: أفعال الخلق والإيجاد في القرآن، د. الأمير محفوظ محمد، (ص: ٢٩٩).

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، (٢ / ١٣٨).

(٤) ابن عاشور: (...-١٢٨٤هـ/...-١٨٦٨م)، هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن

عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق باشا، ولي قضاءها سنة (١٢٦٧هـ) ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف وتوفي بتونس. ينظر:

الأعلام الزركلي، (٦/ ١٧٣)، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (١٠ / ١٠١).

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، (٤ / ٢١٧)، بتصرف.



دلالة الأفعال الثلاثة (بَثَّ، وَذَرَأَ، وَبَرَأَ) على الخلق والإيجاد يدعو إلى استشراف هذا الفرق الجوهري الذي بينها؛ ففي كل فعل منها دلالة معني يختص به، حيث يفيد الفعل (بَثَّ): (تفريق أشياء كثيرة في مواضع مختلفة متباينة، وإذا فرَّق بين شيئين لم يقل: إنه بَثَّ، وفي القرآن: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٣٦] (١)، بينما يفيد الفعل (ذَرَأَ) معنى الإظهار؛ لأن (معنى ذرأ الله الخلق: أظهرهم بالإيجاد بعد العدم) (٢)، كما يفيد الفعل (برأ) (تَمَيِّز الصُّورَةَ، وَقَوْلُهُمْ: بَرَأَ اللَّهُ الْخُلُقَ أَي: مَيَّزَ صُورَهُمْ، وَأَصْلُهُ الْقَطْعُ، وَمِنْهُ الْبِرَاءَةُ) (٣)، الأفعال الثلاثة تدور بين إفادة التكثر بالتفريق والبث، أو الإظهار بالذرع، أو تمييز الصورة بالبرء مع اشتراكها واجتماعها على معنى الخلق والإيجاد من عدم، يدل على تنوع أساليب القرآن في التعبير عن الأمر الواحد.

خامساً: دلالة الأفعال الثلاثة (بَثَّ، وَذَرَأَ، وَبَرَأَ) على التكثر كأحد دلالاتها بعد الخلق فيلاحظ استعمال القرآن لهذه الأفعال الثلاثة للدلالة على التكثر والانتشار دون استعمال الفعل (كثَّرَ)؛ فلما أريد بيان حقيقة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّهَا حَيَوَةٌ دُنْيَا لَعِبٍ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال: ﴿أَهْمَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]؛ ليبين أن الكثرة العددية ليست محل المنة؛ فربَّ عددٍ عاقلٍ قليلٍ يفوقُ عددًا كثيرًا جاهلاً لا يحسن عيش الحياة؛ لذلك يشير القرآن إلى معنى التكثر بالتكاثر والتناسل، فيؤكد على أن ذلك أحد

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، (ص: ١٥١). للفرق بين الفعل (فرق) والفعل (بَثَّ).

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: ١٣٨).

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.



مظاهر الحياة الدنيا، وأنه في محل الذم إذا كانت كثرة ضعيفة، أو شغلت عن عبادة الله تعالى، وطاعته.

إن استمداد المعنى اللغوي لفعل (البث) من الكثرة والانتشار عمل بمعتقد استخلاف الله الإنسان في الأرض؛ ليمارس الحياة وفق مراد الله تعالى، ولا يخالف ذلك ما ورد في السنة النبوية من قول النبي: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمِ»^(١)، الكثرة غير مرادة لذاتها، فالحديث يدعو للكثرة العاقلة الرشيدة، وتدل روايات الحديث على ذلك، ومنها رواية: «وَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمِ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي»^(٢)، وفي رواية: «وَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمِ، فَلَا تَمْشُوا بَعْدِي الْقَهْقَرَى»^(٣)، وفي رواية: «وَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمِ، فَلَا تَقْتَتِلَنَّ بَعْدِي»^(٤)، وفي رواية: «إِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمِ، فَلَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٥)، فقد تؤدي

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب النكاح، باب: في تزويج الأبقار رقم: (٢٠٥٠) (٣/٣٩٥)، وإسناده قوي، والنسائي في «سننه» كتاب النكاح، باب: كراهية تزويج العقيم، رقم: (٣٢٢٧)، كلاهما من حديث معقل بن يسار عن رجل من الصحابة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٢٣٤٩٧) (٣٨/٤٨٢)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه عن رجل من الصحابة فاسم الصحابي مبهم، ولا تضر الجهالة باسمه؛ لأن الصحابة كلهم عدول.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٤٨١١)، (٢٣/١١٧)، من حديث جابر بن عبد الله، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٦٩)، (٣١/٤١٩)، من حديث الصنابح، إسناده صحيح مع خطأ في اسم الصحابي، وهو الصَّنَابِح بن الأَعْسَر الأَحْمَسِي، فمن قال: الصنابحي بياء النسبة فقد أخطأ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٨٤)، (٣١/٤٣٤)، من حديث الصنابح وإسناده ضعيف.



الكثرة لقتل واختلاف وسوء خلق، أو الحديث جوابٌ خاص لطلب رجل زوج امرأة عقيم فنهاه النبي ﷺ؛ وهي رواية أبي داود، أو الحديث بيان فضل كثرة الأتباع المهتمدين من أهل الإيمان، وأن الكثرة تحسن بالتربية والتوجيه والمعرفة حتى بلوغ الرشد، وأن التكاثر يدل على التناسل المجرد، وليس هذا محط مباحة أو مفاخرة، فأشارت السنة للكثرة المقيدة برعاية الناشئة وتربيتها.

سادساً: الإشارة إلى وجود خلق لله تعالى في السماوات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الشورى: ٢٩]، وفي التفسير: (كيف جُوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة؟ قلنا: من وجوه: الأول: أنه قد يضاف الفعل لجماعة، وإن كان فاعله واحداً، ومنه قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]. الثاني: أن الريب هو الحركة، والملائكة لهم حركة. الثالث: لا يبعد أن يقال: إن الله خلق في السموات أنواعاً من الحيوانات يمشون مشي الأناسي على الأرض^(١)، إذا يدل الفعل (بث) على تكثير خلق الإنس والجن في الأرض، كما يدل على تكثير خلق الملك، كما قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، دلالة على عموم تجدد خلق الله لما لا نعلم نوعه، أو جنسه، أو إحصاء عدده، وما لا نعلم من خلق الله في الأرض والسماء. إذا يدور الفعل (بث) في القرآن بين معاني الخلق من العدم، والتكثير، والانتشار، والتفريق؛ ليدل على عموم خلق كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان، كما ورد الفعل (بث) ليرهن على انتشار المخلوقات في الأرض، كما يدل فعل البث على تكثير الخلق بعدما تهيأت الأرض، واستقرت بالجمال، وأتيحت الحياة للإنسان، كما يشير الفعل (بث) لوجود حياة في السموات.

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٧/٥٩٩-٦٠٠) بتصرف يسير.



المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالاته

♦ أولاً: معاني الفعل (أحيا) في اللغة:

أفاد الخليل أن الفعل (أحيى) من (حيو)، والحيوة كتبت بالواو لِيُعْلَمَ أن الواو بعد الياء، ويقال: بل كُتِبَتْ على لغة من يُفخِّم الألف التي مَرَّجِعُهَا إلى الواو نحو: الصلوة والزكوة. ويقال: حَيِّيَ يَحْيَا فهو حَيٌّ، ويقال للجميع: حَيُّوا. وحيا الحياة: ضد الموت والحَيِّ: ضد المَيِّت. والمَحْيَا مَفْعَلٌ من الحياة. تقول: مَحْيَاي ومماتي. والجمع المحايي،، وأحياه الله فَحْيِي وَحَيٍّ أيضاً، والإدغام أكثر لأنَّ الحركة لازمه، فإذا لم تكن الحركة لازمة لم تُدغم، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، وقال أبو زيد: حَيِّتُ مِنْهُ أَحْيَا: اسْتَحْيَيْتُ، وتقول في الجمع: حَيِّوا، ويقال: حَيِّيَ يَحْيَا فهو حَيٌّ، وللجميع: حَيِّوا^(١).

والحيوان والحياة واحد، والحيوان: دار الحياة الحقيقية الدائمة التي لا تفتنى، لا حياة من يبقى مدة ثم يفنى، ويقال على ضربين: الأول: ما له حاسة. الثاني: ما له بقاء أبدي، مذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والحيوان: مقر الحياة، ويطلق على كل ذي روح، والحياة: ضد الموت، والحَيِّ: ضد المَيِّت، والمَحْيَا مَفْعَلٌ من الحياة. والحي من كل شيء نقيض الميت، والحي: كل متكلم ناطق، والحي من النبات: ما كان طرياً يهتز، والحي الواحد من أحياء

(١) ينظر: (العين)، للخليل (٣/ ٣١٧). الصحاح تاج اللغة، للجوهري، (٦/ ٢٣٢٣)، وجمهرة اللغة،

لابن دريد، (١/ ١٠٣).



العرب، والمَحْيَا: مَفْعَلٌ من الحياة، ويقع على المصدر والمكان والزمان، تقول: محياي ومماتي، وفي حديث حنين قال للأنصار: «هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»^(١)، والحيا مقصور: الخصب والمطر، وفي حديث القيامة: «فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ»^(٢)، والمحياة الغذاء للصبي بما به حياته، والمحيا: الوجه، وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وهو الرزق الحلال^(٣). إذا من معاني الفعل (أحيا) الإخراج إلى الحياة، وتحرك لما دبت فيه من الحياة.

◆ ثانياً: دلالات الفعل (أحيى):

من دلالات الفعل (أحيى) على الخلق والإيجاد ما يلي:

أولاً: ورد الفعل (أحيى) لإحياء الأرض الميتة، فقد أسند فعل الإحياء إلى الله تعالى في مواضع قرآنية للإشارة لإحياء كل ميت غير نامٍ من الأرض وسائر البلاد، لإظهار المنة الربانية من خلال التعبير بـ(إحياء الأرض الميتة) بأساليب مختلفة منها ما يلي:

- (١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: (١٧٨٠)، واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٠٩٤٨)، (١٦ / ٥٥٥) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الأذان باب في فضل السجود، رقم: (٨٠٦)، واللفظ له، والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان باب طريق معرفة الرؤية، رقم: (٢٩٩) كلاهما من حديث أبي هريرة، و(ماء الحياة) هو: ماء من شرب منه أو صب عليه لا يموت أبداً.
- (٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢ / ١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور، (١٤ / ٢١١-٢١٦)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٧٠).



الأسلوب الأول: التعبير عن إحياء الأرض الميتة بأسلوب الخبر العجيب الذي يحتاج إلى التأمل والتدبر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحِي الْمَوْتِ﴾ [فصلت: ٣٩]، (والخشوع: التذلل، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها. والاهتزاز حقيقته: مطاوعة هزه، إذا حرَّكه بعد سكونه فتحرك، وهو هنا مستعار لرَبُو وَجِه الأرض بالنبات، ويؤخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل، شبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها، وانقلابها من الجذب إلى الخصب، والإنبات البهيج بحال شخص كان كاسف البال رثَّ اللباس فأصابه شيء من الغنى فلبس الزينة واختال في مشيته زهواً^(١))، فهذا إخبار عن انتقال الأرض من حال الخاشع الذليل لحال ذي الزينة والفخار بأفعال عجيبة غريبة، هي: (أنزلنا، واهتزت، وربت)؛ للدلالة والتنبيه على إمكانية فعل الإحياء من عدم.

الأسلوب الثاني: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة^(٢) بأسلوب خبري مرسل في قوله: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، كما ورد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية: ٥]، وقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [النحل: ٦٥].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠٢/٢٤)، باختصار وتصرف.

(٢) كما ورد قوله: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في سور: [البقرة: ٢٥٩]، [الروم: ١٩]، [فاطر: ٩]، [الحديد: ١٧]،

وورد قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ في سورة [العنكبوت: ٦٣].



الأسلوب الثالث: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب الخبر المدلل بأمانة الواقع في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، فإحياء الأرض بالنبات والشجر آية من آيات الله بدليل الواقع من إخراج الحب المحصود منها، أو بدليل مشاهدة الخراج من رزق الأرض.

الأسلوب الرابع: التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب إنشائي هو الأمر بالعلم في قوله تعالى: ﴿اعْمُوا أَنْ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧]؛ لوجوب الإحاطة والإلمام به، كما ورد باستفهام إنكاري في قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، ومن التعبير عن إحياء الله الأرض بأسلوب الاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣] فقد (أشار قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ إلى موت الأرض، أي: موت نباتها بإمساك المطر عنها في فصول الجفاف، أو في سني الجذب؛ لأنه قابله بكون إنزال المطر لإرادته إحياء الأرض بقوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠] ويدل ارتباط رحمة الله -تعالى- بإحياء الأرض على تحقيق عناية الله بتيسير أقوات العباد بما يخرج من الأرض؛ لأن إحياء الأرض بالنبات من آثار رحمة الله، والأرض الميتة التي لم تزرع أو لم يجر عليها ملك أحد، فلا بد من مباشرة الأسباب، ففي السنة النبوية: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَكَأَيُّ لِعِزِّ ظَالِمٍ حَقٌّ»^(٢)، ذلك تشبيه إحياء الأرض بإحياء الميت حيث عبر بـ(إحياء

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ص: ٢٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب المزارعة باب من أحيا أرضاً مواتاً، رقم: (٢٣٣٥)، عن



الأرض) عن عمارتها لأن إحياء الأرض: مباشرتها بالرعاية والزرع والإحاطة والعمارة، ونحوه.

ثانياً: تنوع أساليب التعبير عن (إحياء البلد الميت)، فيما يلي:

الأسلوب الأول: التعبير عن إحياء الله البلدة الميتة بأسلوب الخبر المعلل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۗ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ وَمِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ۗ﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩]، (البلدة الميتة) التي أصابها الموت بفعل الجذب والقحط؛ لأن إنزال الماء من السماء لإحياء بلدة ميتة، ولسقي أنعام وأناسي كثيراً.

الأسلوب الثاني: التعبير عن إحياء الله البلدة الميتة بأسلوب خبري مرسل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَاهُ بِلْدَةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۗ﴾ [ق: ١١] والضمير في (به) يعود للماء المبارك، وهو الغيث النازل من السماء، قال الرازي: (كذلك بدن الإنسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالى إليه قوة النشوء والنماء كما يعيدها إلى الأشجار بواسطة ماء السماء)^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۗ﴾ [الزخرف: ١١] أي: منحها الحياة والنشور، والبلد: (كل موضع من الأرض غامر أو عامر، مسكون أو خال فهو بلد، والقطعة منه بلدة)^(٢)، هذا

= عائشة مرفوعاً، وأبوداود في «سننه» كتاب الخراج والفيء، باب في إحياء الموات رقم: (٢٠٧٣) من حديث سعيد بن زيد، واللفظ له، بإسناد صحيح، وأحمد في «مسنده» من حديث جابر بن عبد الله، رقم: (١٤٢٧١).

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٨ / ١٢٩).

(٢) الكليات، للكفوي، (ص: ٢٢٦).



الأسلوب دال على إحياء سائر البلاد، وتهيتها لحياة العباد، دفعاً لليأس، وتحقيقاً للإيمان بقدرة الله.

وبناء على التفرقة بين الميِّت والميِّت ندرك حكمة قوله: ﴿بَلَدَةٌ مَيِّتَةٌ﴾ في هذه المواضع الثلاثة^(١)، مفعول به للفعل المذكور (فَأَنْشَرْنَا وَأَحْيَيْنَا وَنُحْيِي) لأن إحياء البلدة الميِّتة والأرض الميِّتة يردفان بذكر النشر والإحياء مرة أخرى تذكيراً بعقيدة البعث؛ لأن الميِّت -بتشديد الياء- مخلوق حي ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، فسيموت، ويلاحظ هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فالآية تخاطب الرسول ﷺ، وتخبره بأنه سيموت، وأن خصومه سيموتون كذلك، لكن النبي وقت الخطاب كان حياً وكذا خصومه، وأما الميِّت -بتسكين الياء- فهو المخلوق الذي مات فعلاً وخرجت روحه، وأطلق القرآن هذا اللفظ على الأرض الميِّتة ﴿وَأَيُّهُمْ لَأَرْضٌ أَلْمِيَّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣] وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّتَةُ﴾ [المائدة: ٣] قال الراغب: (وَالْمِيَّتَةُ مِنَ الْحَيَّوَانِ: مَا زَالَ رُوحُهُ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ)^(٢)، يعد من

(١) ورد قوله: ﴿بَلَدَةٌ مَيِّتَةٌ﴾ في سور: [الفرقان: ٤٩]، [الزخرف: ١١]، [ق: ١١] وورد قوله: ﴿بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩].

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٧٨٢)، كما أطلق القرآن (الميِّت) على الكافر الذي نزع منه الإيمان، قال العلامة الشنقيطي في تفسير قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]: «وأطبق العلماء على أن المراد بالموتى هنا: الكفار لا يكاد يختلف في هذا اثنان من علماء التفسير، كأنه يقول: إنما يستجيب الأحياء الذين يسمعون، كما قال له: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، أي: الذي له حياة، أما الميِّت: الذي أمات الله قلبه، وكثيراً ما يُطلق القرآن اسم (الميِّت) على (الكافر)، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ينظر: العذب التَّمِير من مجالس الشَّنَقِيظِي في التفسير لمحمد الشنقيطي، (١/١٩٧).



إعجاز القرآن تبييناً على أنه لا توجد كلمتان في القرآن بمعنى واحد، بل لا بد من فروق دقيقة بينهما؛ لبيان فائدة للناس من وجه من الوجوه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، فقوله: (بَلَدٍ مَيِّتٍ) مجرور بـ(إلى) حرف التعدية للفعل (مُقْنَهُ)، وضمير الغيبة يرجع للسحاب؛ لإمكانية ظهور مظاهر الحياة بإخراج النبات والزرع والثمر، و(بَلَدٍ مَيِّتٍ)، أي: قابل للموت حيث يحييه الله بقدرته بإرسال الماء إليه، فتنبت الأرض، ويزهر الشجر، وينضج الثمر، فتستقيم حياة البلاد، وسواء وصفت البلدة بالوصف (مَيِّتٍ) أو (مَيِّتٍ) فدلالته لا تخلو إما على إمكانية بعث معدوم فاقد الحياة، أو تذكير لموجود بأن الحياة منتهية بفناء الموت لا محالة.

ثالثاً: ارتباط الفعل (أحيا) بأفعال الخلق والإيجاد الصريحة (خَلَقَ فَسَوَّى) إشارة إلى خلق الإنسان، في قوله: ﴿الْمَرْيَكِ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يُمْحِي﴾ ^(٣٧) ﴿تُرْكَاكَ عَاقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ ^(٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ^(٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتِ ﴿ [القيامة: ٣٧-٤٠]، والاستفهام إنكاري؛ ليبرهن بها على قدرة الله -تعالى- على الخلق من عدم محض، كما يدل على ارتباطه بالبعث والإيجاد بعد الموت، لارتباط إحياء الميت ببداية الخلق من عدم؛ لأن الإشارة إلى ثبوت إحياء الله للموتى مرتبط بمقدمة أولى هي الاعتراف بأن الله خالق الخلق من البداية، فذكر القرآن تلك النتيجة كأمر يلي الخلق من عدم.

رابعاً: ارتباط الفعل (أحيا) بلازمة قرآنية هي (كُنْ فَيَكُونُ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]،



فلما كان هذا الموضوع لا يتعلق بمعجزة في الخلق^(١)، فلما ذكر انتقال الإنسان من كونه تراباً إلى نطفة، ثم علقته، ثم طفلاً، ثم بلوغ الأشد، ثم الشيخوخة، وقد استُبدل بهذه التغيرات على وجود الإله القادر قال بعده: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني كما أن الانتقال من صفة إلى صفة أخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على قدرة الله تعالى في تصريف عباده، كذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وبالعكس يدل على الإله القادر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنه يدل على وجوه، منها: الأول: عبر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع إذا قال: (كُنْ فَيَكُونُ). الثاني: أنه عبر عن الإحياء والإماتة بقوله: (كن فيكون)، فكأنه قيل: الانتقال من تراب لنطفة لعلقة لمضغة على التدريج، وأما سيرورة الحياة وإنما تحصل وتحدث دفعة واحدة؛ لتعليق جوهر الروح به، لهذا عبر عنه بقوله: (كُنْ فَيَكُونُ). الثالث: فلا بد من الاعتراف بأول إنسان هو أول الناس - وهو آدم ﷺ - تناسل منه الذرية، عبر عنه بقوله: (كُنْ فَيَكُونُ)^(٢).

خامساً: ارتباط الفعل (أحیی) بالفعل (أنشأ) للإشارة إلى الإنشاء أول مرة لإثبات البعث^(٣) بعد الموت، وهو عقيدة سمعية ثابتة سمعاً؛ لذلك كان استدلال

(١) لعدم اقتران هذا الموضوع بمعجزة كما وردت في خلق آدم وعيسى ﷺ.

(٢) التفسير الكبير، للرازي (٢٧/٥٣١-٥٣٢) بتصرف، وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/١٩٩-٢٠٠).

(٣) البعث: الإثارة والإيقاظ من النوم ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢]، وإيجاد الأعيان والأجناس والأنواع يختص به البارئ، والإحياء والنشر من القبور، ومن أسماء الله تعالى «الباعث» وهو الذي يبعث الخلق أي: يحييهم بعد الموت يوم القيامة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/١٣٨)، وينظر: الصحاح تاج اللغة للجوهري (٣/٩٧٦)، والكليات، للكفوي (ص: ٢٤٤).



القرآن لمن أنكر إحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، كما ارتبط بقدرة الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِينَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وفي السنة ما يؤكد ذلك؛ ففي حديث أبي رزین العُقَيْلِيِّ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قال: «أَمَّا مَرَرْتُ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحَلًّا؟»^(١) قال: بَلَى، قال: «أَمَّا مَرَرْتُ بِهِ يَهْتَرُ خَضِرًا؟» قال: قُلْتُ: بَلَى، قال: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِهِ مَحَلًّا؟»، قال: بَلَى، قال: «فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ»^(٢) فالوادي المَحَلُّ كالأرض والبلدة المَيْتَةُ، ثم هو خَضِرٌ مثلها كذلك يحيي الله الموتى.

سادسًا: اقترن الفعل (يُحْيِي) مع الفعل (يَمِيت) في القرآن؛ لأن كلاً من الإحياء والإماتة بيد الله تعالى لا بيد أحد سواه، ففي مناظرة الخليل إبراهيم للنمرود، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ لذلك لما شَغَبَ النمرود في إحياء الله الموتى - وهو أمر بدهي مترتب على خلق الله تعالى الخلق من عدم أولاً - انتقل إبراهيم إلى دليل آخر أكثر ظهوراً بالمشاهدة، وهو أن الله يأتي بالشمس من المشرق فليات بها من المغرب، فبهت الكافر وانخرس.

كما تبين في القرآن إمكانية الاستدلال على إحياء الله الموتى من خلال هذا السؤال المفصلي (كيف يحيي الله الموتى؟) للدلالة على قدرة الله على إحياء

(١) قوله: (مَحَلًّا) أي: جدبًا، والمَحَلُّ في الأصل: انقطاع المطر. ينظر: النهاية، لابن الأثير، (٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٦١٩٢)، (١١١/٢٦-١١٢)، وإسناده ضعيف لجهالة

حال وَكَيْعِ بْنِ حُدْسٍ/ عُدْسِ بْنِ أَخِي أَبِي رَزِينٍ، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، رقم: (١٠٦٩)،

(٢/ ٤٨٥).



الموتى، فقد سجّله القرآن سؤالاً للخليل، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وسؤال إبراهيم عن إيمان بتلك العقيدة، فقال: ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي ثُمَّ يُخَيِّبُنِي﴾ [الشعراء: ٨١]، لذلك وجّه في مناظرته النمروذ من قبل، فقال: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال الراغب: (كان يطلب أن يريه الحياة الأخرى المعرّة عن شوائب الآفات الدنيوية)^(١)، فهو مقرّ بإحياء الله للموتى.

كما سجّل القرآن لعزير النبي هذا السؤال المفصلي في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، هذا (استفهام إنكار واستبعاد)^(٢)، وهو سؤال عقدي متعلق بفعل الإحياء، والسائل (الذي مرّ على قرية، قيل: هو أرميا بن حلقياء، وقيل: هو عزير بن شرخيا - عزرا بن سريا-)، والقرية بيت المقدس في أكثر الأقوال)^(٣)، وأكثر المفسرين على أنه عزير وهو مؤمن، والسؤال عن إحياء الأرض الميتة الجذباء القاحلة الخاوية من البشر، قال الخطيب الشربيني^(٤): (أي: بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل،

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٣٥).

(٤) الشربيني: (ت: ٩٧٧هـ) هو: محمد بن محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب، فقيه ومفسر، درّس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يُحصون، وأجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع، شرح كتاب «المنهاج» و«التنبيه»، وأقبل الناس على قراءتهما وكتابتهما في حياته، كان يعتكف رمضان كله ويخرج في العيد. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (١٠/ ٥٦١-٥٦٢)، والأعلام، للزركلي (٦/ ٦)، ومعجم المؤلفين، لكحالة، (٣/ ٦٩).



فيعيدها إلى ما كانت عليه عامرة أهلة، وهذا اعتراف بالعجز من معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمناً، واستبعاد إن كان كافراً، فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً^(١).

فمن الواضح أنه سؤال مقرّ مصدّق بقدره الله تعالى على الإحياء، أفاد ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ مما زاده القرآن من البيان على ما في كتب اليهود؛ لأنهم كتبوها بعد مرور أزمنة، ويظن من هنا أن عزير مات في حدود سنة (٥٦٠ ق.م)، وكان تجديد أورشليم في حدود (٤٥٨ ق.م) فتلك مائة سنة، ويكون قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ تذكراً له بتلك النبوءة وهي تجديد مدينة إسرائيل^(٢).

كما سجّل القرآن هذا السؤال المفصلي لرجل جاحد عند رسول الله في قوله: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] روي: «أن أبا بن خلف الجمحي - وهو الذي قتله النبي ﷺ بأحد مبارزة - أتى النبي ﷺ بعظم بال يفتته بيده فقال: أترى الله يحيي هذا بعدما رُم؟ فقال ﷺ: «نعم، ويعثك ويدخلك النار» فنزلت^(٣)، فلما كان الإيجاد من عدم ثابت لله بلا منازع ثبت كذلك قدرة الله على إعادة الحياة لمن شاء متى شاء؛ لذلك كان الجواب على سؤال ابن خلف في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وهذا يدل على إمكانية بعث الأجساد بعد الموت، فالإقرار والتصديق بأن الله تعالى قادر على الإحياء يؤدي للإقرار بقدرته

(١) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١/ ١٧٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٦).

(٣) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٣/ ٣٦٥).



على بعث العباد بعد الموت، وهذا السؤال الثالث صدر من منكر جاحد للبعث.

لذلك بعدما بين القرآن قدرة الله على الخلق في سورة القيامة إذا بالسورة تُختم باستفهام قرآني دال لكل ذي عقل نابه، وقلب متعظ في قوله تعالى: ﴿الَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فإن الاستفهام إنكاري، و(المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً، ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد، وهم الأكثرون ﴿أَيُّ دَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيُّ نَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠]، وقال: ﴿أَيُّ دَامِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيُّ نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] (١).

سابعاً: ارتباط الفعل (أحيى) بضرورة النظر حيث دعا القرآن الإنسان للنظر في آثار رحمة الله تعالى على خلقه بإحياء الأرض بما يخرج منها، وذلك في قوله: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، والأمر بالنظر تشريع محكم للمكلف عليه قيام قواعد الإيمان، وتبدو آثار رحمة الله في توفير طعام بني آدم وغذائهم مما يخرج من الأرض من زرع وشجر، كما أنه دليل عناية الخالق بخلقه، وقدرته على الخلق والإبداع؛ لظهور قدرة الله الباهرة على شق الأرض بالنبات الغض الطري، في قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ثامناً: الاستدلال على عقائد فرعية أخرى منها:

١ - الاستدلال على إمكانية بعث العباد بعد الممات بـ(إحياء الأرض الميتة) و(إحياء البلدة الميتة)؛ لأن إحياء الأرض والبلاد دليل مشاهد يدل على بعث العباد

(١) المرجع السابق، (٣/ ٣٦٦).



بعد الممات؛ لذا قال تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، أي: تخرجون من قبوركم للبعث، وقال: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، (الكاف في حيزِ الرفعِ علىِ الخبريةِ أي: مثل ذلك الإحياء الذي تشاهدونه إحياءُ الأمواتِ) (١)، ومَنْ خلق وسائل إحياء الأرض قادر على خلق وسائل إحياء الذين ضمتهم الأرض على سبيل الإدماج (٢)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ [فصلت: ٣٩]، وأكد إحياء الأرض بيان واللام؛ لذلك كان الإحياء من دلائل قدرة الله؛ لذلك قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: أهون عليه في مقاييسكم أنتم والله قادر مقتدر، فلما كان مقياس العقل البشري يختلف في صعوبة بداية الخلق من عدم نصّ على إعادته بعد وجوده.

٢- إثبات عقيدة النشور؛ لأن دلالة فعل الإحياء على عقيدة البعث والنشور في قوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ في قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، مثال يبين مشابهة بعث الله للعباد بإحياء البلد الميت بخلوه من الحياة والأحياء فلا زرع أو شجر.

٣- تعبير القرآن عن الإيمان بالحياة، وعن الكفر بالموت، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وربما يكون هذا المعنى مجازياً، والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين (٣)، وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن الذي

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي، (٧/ ١٤٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٢٦٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٨/ ٤٣).



كان ميتًا - أي: في الضلالة - هالكا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووقفه لاتباع رسله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن، أو هو الإسلام، والكل صحيح: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلى منقذ ولا مخلص مما هو فيه^(١)؛ لذلك اعتبر القرآن العبد المنتفع بالإنذار هو العبد الخلق بوصف الحياة في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، فمن معاني الإحياء الشرعية التعبير بالحياة عن الإيمان والهداية والفكر المستقيم، والتعبير بالموت عن الكفر والضلال.

وفي السنة النبوية تعبير بالفعل (أحيا) لبيان إحياء أوامر الله في قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوه»^(٢)، فأحياء أمر الله بالعلم والعمل به إحياء للدين، وتركه إماتة له. قال الشاعر:

لقد أسمعتم لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي^(٣)

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، (٣/٢٩٦)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١/٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: (١٧٠٠) واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٨٥٢٥)، كلاهما من حديث البراء بن عازب.

(٣) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٦٩) والبيت لكثير عزة من قصيدة رثاء خندق الأسدي ينظر: ديوانه (ص: ٢٢٣).



المطلب الثالث: معاني الفعل (أنبت) ودلالته

◆ أولاً: معاني الفعل (أنبت) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (نبت) و(أنبت) بمعنى، والنبتُ: النبات، وكل ما أنبت الله في الأرض فهو نبت، والنبات فعله ويجري مجرى اسمه، يقال: أنبت الله النبات إنباتاً؛ قال الفراء: إن النبات اسم يقوم مقام المصدر، ونبت الشيء ينبت نبتاً ونباتاً وتنبت، والمنبتُ: الأصل، والموضع الذي ينبت الشيء فيه، واختار بعضهم أنبت بمعنى نبت، وأنكره الأصمعي وأجازه أبو عبيدة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، قرئت (تُنبتُ)، و(تنبتُ)^(١)، قال الفراء: هما لغتان؛ نبتت الأرض وأنبتت، وقال ابن سيده: أمّا تُنبتُ فذهب كثير من الناس إلى أن معناه تُنبتُ الدهنَ أي: شجر الدهن، أو حب الدهن، وأن الباء زائدة، ونبت وأنبتت مثل قولهم: مطرت السماء وأمطرت^(٢). إذاً يحمل فعل الإنبات معاني ما يلي: أولاً: الإخراج من الأرض. ثانياً: التنمية والتغذية.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو البصري ورويس: (تُنبتُ) بضمّ التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الباء: (تنبتُ). ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥)، (ص: ٢٦٥).

(٢) ينظر مادة (نبت) في: (العين)، للخليل بن أحمد (٨ / ١٢٩ - ١٣٠)، وتاج اللغة، للجوهري (١ / ٢٦٨)، والمفردات، للراغب (ص: ٧٨٧)، ولسان العرب لابن منظور، (٢ / ٩٥ - ٩٦).



◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أُنبِت):

من دلالات الفعل (أُنبِت) على الخلق والإيجاد ما يلي:

أولًا: يدل الفعل (نبت) و(أُنبِت) على التحدي والإعجاز للبشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلَهُمْ قُوَّةٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، حيث عطف أُنبت على أنزل بفاء التعقيب والتفريع، ويبدو ذلك من خلال ما يلي:

١- أسند فعل الإنبات إلى الله تعالى بنون العظمة في قوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ أي: نحن الفاعلين، كما أن (نون الجمع في ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ التفتات من الغيبة إلى الحضور)^(١)، والغيبة التي بالفعل (خَلَقَ، وَأَنْزَلَ) أي: هو وحده القادر على الخلق وإنزال الغيث دون سواه، بدليل المشاهدة الحاضرة حسًا، ثم أثبت فعل الإنبات له سبحانه بضمير الحضور؛ لتأكيد أثر فعل الإنبات منه سبحانه، ف(رجع من لفظ الغيبة في قوله: (خَلَقَ وَأَنْزَلَ) إلى التكلم في قوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ ثم قال: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ﴾؛ لأن الإنسان قد تعرض له شبهة أن مُنبِتِ الشجرة هو الإنسان فإنه يقول: أنا الذي ألقى البذر في الأرض الحرة، وأسعى في سقيها بالماء وحرثها وفاعل السبب فاعل للمسبب)^(٢)؛ ولأن الزارع له أسبابه فلا يركن إليها، وفيه استحالة قدرة البشر على إنبات شجر؛ للكون المنفي.

٢- مهما كانت شبهة الأسباب فإن أفعال خَلَقَ السماء والأرض، وإنزال الماء؛ لإنبات حدائق بهيجة كلها فعل الله تعالى وخلقها وإنباته، شاهدة بأنه فاعل كل ذلك؛

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٠/ص: ١١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٥٦٣).



لذا قال بعدها: ﴿أَيُّ لَهٗ مَعَ اللَّهِ﴾؛ للدلالة على أن الله هو فاعل مطلق لما أراد، غالب على أمره، فالأمر أمره والتدبير تدبيره.

٣- إذا نفي فعل إنبات الشجر عن كل إنسان مخاطب عاقل في البشرية فقال: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾؛ لدلالة التحدي والإعجاز، وليبان تأكيد انتفاء شيء من ذلك عن البشر، فالكون المنفي بعده لام الجحود الملحقة بعد كان المنفية يدل على تمام الانتفاء؛ ويدل على أن فعل الإنبات عن غير الله تعالى في حيز الاستحالة والامتناع، وهذا أسلوب منتشر مشتهر في القرآن المجيد؛ لذلك قال: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]، على سبيل التقرير والتسليم أن الله فاعل ذلك دون سواه.

ثانياً: اقتران فعل الإنبات بـ(سنة الزوجية)؛ وهي سنة من سنن الله تعالى الكونية، حيث تدل على إنبات يتعلق بزواج أنثى، وآخر ذكر في كل نبات وشجر، وفي سائر خلق الله للبشر، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، فكلمة (سبحان) دالة على تنزيه الله عن كل نقص، وإقرار بأنه تعالى خالق الأزواج كلها وفق سنة الزوجية، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، وقوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]، دلالة على صلة الفعل (أنبت) بالناميات من الزرع والشجر، وتوقفها على سنة الزوجية، ولما كان تكاثر الأزواج سنة الله فيما يخرج من الأرض قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، دلالة على كثرة الخارج من الأرض بالإنبات، فحرف (كم) أداة دالة على التكاثر، ويشهد له كذلك قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ



أَرْوَجًا مِنْ تَبَاتِ شَيْءٍ ﴿ طه: ٥٣ ﴾، فكلمة (شَتَى) أي: متكاثرًا، وهذا موضع امتنان الله على خلقه وعباده.

ثالثًا: دلالة عامة مستمدة من الفعل (نبت) حيث تدل على أن النبات ما يخرج من الأرض من الناميات^(١) سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالزرع، والنجم^(٢)، لكن اختلف في التعارف بما لا ساق له، بل قد اختلف عند العامة بما يأكله الحيوان، ومتى اعتبرت الحقائق فإن مصطلح (النبات) يستعمل في كل نامٍ زرعًا كان أو شجرًا، والإنبات يستعمل في ذلك، قال تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ [النحل: ١١]، وقال: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۗ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا﴾ [النبا: ١٥-١٦].

رابعًا: ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية على خلقه بإخراج النبات والزرع، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فأسند فعل الإنبات إلى تلك الأنواع من الزروع والنباتات، وهي واردة على سبيل إظهار المنة على بني إسرائيل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۗ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۗ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۗ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۗ وَفَلَكْهَةً وَأَبْنَا ۗ﴾ [عبس: ٢٧-٣١]، فهذا تعديد

(١) الناميات: كل ما ينمو طبيعيًا عن طريق العناية والتغذية من نبات وحيوان وإنسان، فيدخل الإنسان ضمن الناميات في وجه تشابه هو (النمو)، وهذا إطلاق عام من مفهوم (العالم)، فيقال: عالم النبات نام، وعالم الحشرات نام وعالم الحيوان نام.. إلخ، فيدخل ضمنه البشر، وهذه كلها يشملها كلمة (العالم)؛ لأنها محدثة لها محدث، هو الله تعالى خلقها جميعًا من العدم. ينظر: (المفردات)، للراغب، (ص: ٧٨٧).

(٢) النجم يطلق على شيئين: الأول: الزرع الصغير النابت في الأرض، والثاني: الجسم المضيء في السماء. (الباحث).



لأنواع الخارج من الأرض النافع للإنسان والحيوان، واتضحت علاقة السبية بين فعل الإنبات والماء، قال الخطيب الشربيني رحمه الله: (هذا السياق لمطلق إخراج الزرع، وأول إصلاحه إنما هو لأكل الأنعام ولا يصلح للإنسان، وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح للأنعام فقدمه)^(١)، وهذا موضع امتنان، وتعداد لنعم الرحمن تعالى على الإنسان حتى ينتهي عن الجحود والطغيان. ومنه قوله: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾ [النحل: ١١]، وفي الفعل (ينبت) قراءتان: بالياء، و(نبت) بنون التعظيم^(٢)، ومنه وقوله: ﴿كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَعَى سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]، أي: المحصود.

خامساً: ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية على خلقه بإخراج الشجر مما له ساق وجذر من الشجر، للدلالة على خصوص إنبات الشجر ذي الساق والجذر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، فإن (هذا الإنبات من دلائل عظيم القدرة الربانية، فالغرض منه الاستدلال ممزوجاً بالتذكير بالنعمة، وأسند الإنبات إلى الله لأنه الملهم لأسبابه، والخالق لأصوله تبييناً للناس على دفع غرورهم بقدرة أنفسهم، ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق)^(٣)، وإن من موضع المنة أن الله أنبت للإنسان

(١) ينظر: السراج المنير، للشربيني، (٣/ ٢١٦).

(٢) قرأ شعبة: (نبت) بالنون على التفخيم مكان التحية، وقرأ الباقون: (ينبت) بالياء، ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، (ص: ٢١٧). قال الواحدي: والياء أشبه بما تقدم.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤/ ١١٤ - ١١٥).



غذاءه، حيث إن (الغذاء النباتي قسمان: حبوب وفواكه، أما الحبوب فإليها الإشارة بلفظ الزرع، وأما الفواكه فأشرفها الزيتون والنخيل والأعناب)^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠)﴾ [عبس: ٢٨ - ٣٠].

كما ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية بإنبات أقوات الإنسان، وذلك في قوله: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُونَ﴾ [الحجر: ١٩]، على سبيل الكناية؛ فالشيء الموزون كناية قرآنية عما يزرع ويحصد ويدرس من النباتات ذات الحب المحصود، وهذا من إسناد فعل الإنبات للمزروعات؛ لبيان وجه الإنعام على البشر التي تقتات أقواتها بأنواع مختلفة منها.

ومنه قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (١) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ﴾ [ق: ٩، ١٠]، قال الإمام الرازي^(٢): (قوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ استدلال بنفس النبات أي: الأشجار تنمو وتزيد، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ فيه حذف تقديره: وحب الزرع الحصيد، وهو المحصود أي: أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية، وزرعًا يحصد كل سنة، ويزرع في كل عام أو عامين، ويحتمل أن يقال التقدير: ونبت الحب الحصيد، والأول هو المختار، فهو جنس مختلط من الزرع والشجر فكأنه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع، وخلق ما لا يزرع كل سنة ويقطف مع

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٩ / ١٨٠ - ١٨١).

(٢) الرازي: (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: إمام مفسر أوجد زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري. ينظر: الأعلام، الزركلي (٣١٣ / ٦)، ومعجم المؤلفين، كحالة، (٧٩ / ١١).



بقاء أصلها، وخلق المركب من جنسين في الأثمار؛ لأن بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه، وأكثر الزرع قوت، والتمر فاكهة وقوت^(١)، فالجنات فيها شجر وزرع، ثم خص شجر النخل؛ لكثرة منافعه.

سادساً: ورد فعل الإنبات في خصوص خلق الإنسان في موضعين، هما:

أولهما: عموم خلق ذرية آدم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، حيث جاء المصدر فيه على غير وزن الفعل، وجاء نباتاً على لفظ نبت (في هذه الآية وجهان: أحدهما: معنى قوله: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: أنبت أباكم من الأرض، والثاني: أنه تعالى أنبت الكل من الأرض؛ لأنه تعالى إنما يخلقنا من النطف وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض)^(٢)، والاحتمال الثاني أولى بالقبول لكاف الخطاب، وهم ذرية آدم.

وهو ما رجّحه الإمام الرازي، فقال: (وهذا الثاني أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى، وصفة الله غير محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله، وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى، فلا يمكن إدراكه بالسمع، فلما قال: أنبتكم نباتاً كان ذلك وصفاً للنبات بكونه عجيباً كاملاً، وكون النبات كذلك أمرٌ مشاهد محسوس، فيمكن الاستدلال به على قدرة الله تعالى)^(٣)، وقال الراغب: (قال النحويون: قوله: «نباتاً» موضوع موضع الإنبات وهو مصدر، وقال غيرهم: قوله: «نباتاً» حال لا مصدر، ونبّه بذلك أن الإنسان هو

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٢٩ / ٢٨).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٦٥٤ / ٣٠).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٦٥٤ - ٦٥٥).



مِنْ وَجْهِ نَبَاتٍ حَيْثُ إِنْ بَدَأَهُ وَنَشَأَتْهُ مِنَ التُّرَابِ، وَأَنَّهُ يَنْمُو نَمَوْهَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ وَصْفٌ زَائِدٌ عَلَى النَّبَاتِ، وَعَلَى هَذَا نَبَّهَ بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧] (١)، قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ (٢): (يَعْنِي آدَمَ ﷺ خَلَقَهُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ، وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَقَرَةِ بَيَانُ ذَلِكَ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ) (٣).

أقول: إِنْ حَمَلُ آيَةِ سُورَةِ نُوحٍ عَلَى تَشْبِيهِ الْإِنْسَانِ بِالنَّبَاتِ أَوْلَى مِنْ حَمَلِهِ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِنْبَاتِ؛ لِأَنَّهُ وَصَفٌ يَحْمَلُ إِشَارَةَ قَرَأْنِيَّةٍ إِلَى ضَرُورَةِ رِعَايَةِ الْوَالِدِينَ بِالْوَلَدِ تَنْشِئَةً وَتَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا، مَعَ وَصْفٍ زَائِدٍ فِي الْإِعْتِنَاءِ بِعَقْلِ النَّاشِئِ وَوَجْدَانِهِ، وَوَصْفٍ الْإِنْسَانَ بِالْإِنْبَاتِ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَكُونُ بَعْدَ مِيلَادِهِ وَبَلُوغِهِ؛ وَفِي السُّنَّةِ وَصَفَ النَّبِيُّ أَحَدَ شَبَابِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «نُؤَيْبَةُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُؤَيْبَةُ خَيْرٌ أَمْ نُؤَيْبَةُ شَرٌّ؟ قَالَ: «بَلْ نُؤَيْبَةُ خَيْرٌ» (٤)، فَالْإِنْبَاتُ أَمَارَةُ الْبَلُوغِ، وَالنُّؤَيْبَةُ تَصْغِيرُ نَابِتَةٍ، أَنْبَتُ

(١) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٧٨٧).

(٢) القرطبي: (٦٧١-...) هـ: هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسبوط، بمصر وتوفي فيها. ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/٣٢٢)، ومعجم المؤلفين، لكحالة (٨/٢٣٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ت: ٦٧١ هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٩٦٤)، و(١٨/٣٠٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٧٧٤٥) (٢٩/٢٨١)، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير مسلم بن مشكم فقد روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه وهو ثقة، والطبراني في «الكبير» رقم: (٥٨٢)، وفي «الأوسط» (٦٧)، من حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ.



الغلام: راهق واستبان شعر عانته، والنوبات: الأحداث الأعمار؛ لأن هذا الوصف يحمل معنى النمو - وهو يطلق على سبيل الغلبة في الشيء بعد ميلاده وبلوغه-، ولأن الإنسان ككائن مستقل لا يشاهد حساً واقعاً بالفعل قبل الميلاد، إنما يكون كذلك بعد ميلاده، فليس ثمة امتهان لآدمية البشر، أو إهانة لكرامته الأصلية.

ثانيهما: خصوص السيدة مريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]،

قال القرطبي: (يعني سوئ خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما نبت المولود في عام واحد)^(١)، أي: جعل نشأتها نشأً حسناً، وعلى معنى نبت نباتاً حسناً، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيراً، ونبت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار.

سابعاً: علاقة فعل الإنبات بقانون السببية^(٢)، مع ضرورة الإشارة إلى أمرين

لإنبات الزرع والشجر، هما: أولهما: الماء للري، فبالماء حياة كل كائن حي من إنسان وحيوان ونبات وشجر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

[الأنبياء: ٣٠]، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٣) إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٤، ٢٥]

والأمر بالنظر بقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾ يدل على تشريع النظر الواجب حيث كلف الله به الإنسان؛ لأن الماء آية مستقلة من آيات الله، فهذا موطن بحث في طبيعة تكوين الماء، وبيان أوجه ارتباط الحياة به، وأنها دعوة للنظر والاعتبار، والإيمان يوضح ذلك -أيضاً- قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَهِيَجُ﴾ [الحج: ٥].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤ / ٦٩).

(٢) قانون السببية: علاقة التأثير والتأثر بين الأشياء سواء على سبيل الإيجاب والإثبات أو السلب والنفي، وفي الحقيقة الله فاعل لكل شيء، والعبد يباشر الأسباب لكنه لا يركن إليها.



ثانيهما: تراب الأرض بيئة إنبات الزرع والشجر، فهما ضرورة لحصول الإنبات، وإلى كلا الأمرين الإشارة في قوله تعالى: ﴿تُشَقَّقَتَا الْأَرْضُ شَقًّا﴾ ^[٦٦] فَأَبْتَتَا فِيهَا حَبًّا ^[٧٧] وَعَنْبًا وَفَضْبًا ^[٧٨] وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ^[٧٩] وَحَدَائِقَ غُلْبًا ^[٨٠] وَفِكَهَةً وَأَبَا ^[٨١] [عبس: ٢٦ - ٣١]، لأن علاقة فعل الإنبات بالأرض الممهدة المهيأة لاستخراج النبات، حيث اقترن بها، وأخص صفات الأرض ترايبها، وأما علاقة فعل الإنبات بالماء النازل من السماء فهي من علاقة السببية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ^[٩٩] [الأنعام: ٩٩]؛ لأن الماء ضروري لنمو كل كائن حي، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ^[١٤] لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ^[١٥] وَجَعَلْنَا لِقَابَاقًا ^[١٦]﴾ [النبا: ١٤ - ١٦].

تبدو علاقة السببية جلية واضحة بين إنزال الماء مع تهيئة الأرض وبين إنبات الزرع والشجر، وهو موطن اغترار البشر ^(١)، فلما كان فاعل الإنبات هو الله قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمًا يَعْذِلُونَ﴾ ^[٦٠] [النمل: ٦٠]، وهذا التحدي واضح بإنبات الشجر؛ لذلك فإن العبد يزرع شجره ويتوكل على ربه في إخراج ثمره وحصاده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ^[٩٩]، وقال: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ وَيَأْتِي الرِّيحُ ^[٥٨]﴾ [الأعراف: ٥٨]، كما دعانا الله للنظر والاعتبار في هذا الخلق المعجب، فقال: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ^[٩٩] [الأنعام: ٩٩].

ثامناً: علاقة فعل الإنبات بالفعل (أخرج)، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتِرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُسْتَبِيهَا وَغَيْرَ مُنَسَّلِيَةٍ أَنْظُرُوا

(١) كما اغتر صاحب الجنتين وذكر الله قصته في سورة الكهف.



إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩] (خَصْرًا) بكسر الضاد: نوع من البقول ليس من جيدها، التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويسها حيث لا تجد سواها، وتسميها العرب الجنبه، فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرئها^(١)، وأما ﴿قِنَوَانٌ﴾ فإن (القنوّ: العذق، وتثنيته: قِنَوَانٍ، وجمعه قِنَوَانٌ)^(٢)، و﴿دَائِيَةٌ﴾ أي: قريبة من القطف، و﴿مُتَشَبِّهَةٌ﴾ أي: متمائل طعمًا أو لونًا أو شكلًا، والفعل ﴿وَيَنْعِيهِ﴾: نضجه، من (يَنْعَتُ الثَّمْرَةَ يَنْعُ يَنْعًا، وَيَنْعَتُ إِيْنَاعًا فِيهَا يَنْعَةٌ وَمُؤْنَعَةٌ، وهو المدرك البالغ)^(٣)، أي: النضيج، هذه من مواضع المنن الربانية على الإنسان. إذا يطلق الفعل (نبت) على كل ما ينمو نموًا طبيعيًا برعاية وتغذية من نبات وحيوان عاقلًا أو غير عاقل، ودلالته على نمو الإنسان والحيوان بعد الميلاد دلالة أغلبية؛ لأنه يدل على ما ينمو من ذاته، والجنين نموه مستمد من أمّه، ونمو الإنسان على ما يخرج من الأرض من زرع وشجر أصلية فيه بعد خروجه للحياة بعد الميلاد؛ لذلك يطلق هذا الفعل على ذرية آدم؛ لأن آدم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه، قال ابن عاشور: (والنبات: اسم لما ينبت، وهو اسم مصدر نبت، سمي به النبات على طريقة المجاز الذي صار حقيقة شائعة فصار النبات اسمًا مشتركًا مع المصدر)^(٤)، بهذا يتبين عموم إطلاق النبات في القرآن، فلم يطلق على الإنسان إلا توسعًا من باب النماء والتغذية.

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/٣٠٤).

(٢) مادة (قنوّ) في المفردات، للراغب، (ص: ٦٨٦).

(٣) مادة (ينع)، ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٨٩٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/٣٩٨).



المطلب الرابع:

معاني الفعل (أخرج) ودلالته

◆ أولاً: معاني الفعل (أخرج) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (أخرج) أصله (خرج): الخاء والراء والجيم أصلاً، وقد يمكن الجمع بينهما، فالأول: النفاذ عن الشيء، والثاني: اختلاف لونين، فأما الأصل الأول فقولنا: خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا فهو خارجٌ، والخروجُ: نقيض الدخول، وخَرَجَ خُرُوجًا ومَخْرَجًا، وقد يكون المَخْرَجُ موضع الخروج، يقال: خرج مَخْرَجًا حسنًا، وأما المَخْرَجُ فقد يكون مصدرَ قولك: أَخْرَجَهُ، والمفعول به، واسمَ المكان والوقت، والخُرُوجُ والخرج: السحاب أول ما يبدأ وينشأ، والخَرَجُ والخراجُ: ما يُخرج من المال في السنة بقدرٍ معلوم، ﴿أَرْتَسَهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِيكًا حَيْرًا﴾ [المؤمنون: ٧٢]، ومنه: ﴿وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهذا مخرجه؛ لأن الفعل جاوز ثلاثة أحرف، فتضم ميمه؛ كدخرج، والاستخراج كالاستنباط.

وأما الأصل الآخر: فالخرج لوان بين سوادٍ وبياضٍ، ويقال: ظليم أخرجٌ، ونعامة خَرَجَاء، وأرض مُخْرَجَةٌ: ذات لونين، لكون النبات منها في مكان دون مكان^(١)، وأفاد الراغب أن الفعل (خرج) يدل على (البروز من المقر أو الحال، والإخراجُ أكثر ما يقال في الأعيان)^(٢)، وفعلُ الخلقِ إخراجٌ للمخلوق بعد تكوينه.

(١) ينظر مادة (خرج) في: (العين)، للخليل بن أحمد، (٤/ ١٥٨)، وتاج اللغة، للجوهري (١/ ٣٠٩-

٣١٠)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ١٧٥)، والمفردات، للراغب (ص: ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٧٨).



إذا معاني الفعل (أخرج) النفاذ والبروز، والإبراز والتجاوز، والانتقال من مكان إلى مكان، أو التنقل من حال إلى حال، ومحل الدراسة في الفعل الرباعي (أخرج).

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أخرج):

دلالة الفعل (أخرج) على الخلق والإيجاد:

أولًا: يفيد الفعل (أخرج) إظهار حال الإنسان عند خلقه، وبداية وجوده حينما يخرج من بطن أمه كصفحة بيضاء خالية من العلم، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، فحال الإنسان خلوه تام من أي علم ومعرفة، ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ في موقع الحال أي: غير عالمين شيئًا أصلًا، وهذا يدل على سنة من سنن الله في خلق الإنسان، وهي سنة (الفطرة) النقية البيضاء التي لم يشبها شائبة من شك أو كفر أو إنكار، حتى يتعرف الإنسان على الحياة فيهديه الله إلى أي سبيل يختاره من نفع وخير، أو شر وضر.

ثانيًا: علاقة الفعل (أخرج) بخلق النبات وإيجاده، إظهارًا للمنة الربانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ جَبًا مَتَرًا كِبَا﴾ [الأنعام: ٩٩]، حيث عطف على إنزال الماء إخراج نبات كل شيء، كما عطف عليه إخراج الخضر منه، والفاء في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ للتفريع، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ تفصيل لمضمون جملة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فالله تعالى يخرج نبات كل شيء من زرع وحب -محط الاقتيات-، ويخرج كذلك من كل الثمرات -محط التفكه والرفاه-؛ ليجمع بين القوت والفاكهة



في موطن الامتنان وإسداء النعم.

وفي التفسير: (قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ على طريقة الالتفات والباء للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد على الماء أي: جعل الله الماء سبباً لخروج النبات، و(شيء) يراد به صنف من النبات بقريئة إضافة نبات إليه، والمعنى: فأخرجنا بالماء ما ينبت من أصناف النبات، فالنبات: جنس له أنواع كثيرة، فمنه الزرع، مما له ساق لينة، ومنه الشجر مما له ساق غليظة، ومنه النجم مما ينبت لاصقاً بالتراب، وهذا التعميم يشير لاختلاف الصفات والثمرات والطبائع والخصوصيات والمذاق، وهي كلها نابتة من ماء السماء الذي هو واحد، وذلك آية على عظم القدرة، قال تعالى: ﴿يُسْتَقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: ٤]، وهو تنبيه للناس؛ ليعتبروا بدقائق ما أودعه الله فيها من مختلف القوى التي سببت اختلاف أحوالها، و(من) ابتدائية أو تبعيضية، والضمير المجرور بها عائد إلى النبات، أي: فكان من النبات خضر ونخل وجنات وشجر، وهذا تقسيم الجنس إلى أنواعه، والخضر: الشيء الذي لونه أخضر، يقال: أخضر وخضر كما يقال: أعور وعور، ويطلق الخضر اسماً للنبت الرطب الذي ليس بشجر كالقضب، وجملة ﴿تُخْرُجُ مِنْهُ﴾ صفة لقوله: ﴿خَضِرًا﴾؛ لأنه صار اسماً^(١).

ثالثاً: علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي النهى، حيث ورد الفعل (أخرج) محط تذكرة أولي النهى في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۖ كُلُوا وَارْعَمُوا أَعْمَارَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، وقوله: ﴿لِأُولِي النَّهْيِ﴾ أي: (لذوي العقول، واحدها نهية، تنهى عن المحذور، أو ينتهى إليها في

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/٣٩٨-٣٩٩) باختصار يسير.



الأمر (١)، و(قيل: لأنهم ينهون النفس عن القبائح) (٢)، وواضح أن حكمة تسمية (أولي النهي)؛ لأنهم وفقوا إلى فهم وتدبر مواضع من الخالق، ودلائل الخلق، ويدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ الآيات أي: علامات دالة لهم، منها: إثبات التوحيد، وإظهار المنن الربانية في نعمه وآلائه على العباد في سائر البلاد.

وسبق ذلك بآيات مشاهدة من إنزال ماء السماء، ثم قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهَٰذَا ضَمِيرَ الْعَيْبَةِ يَعُودُ إِلَى الْمَاءِ، نَقَلَ الْكَلَامَ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُطَاعِ لِلْإِفْتِنَانِ، وَ﴿أَزْوَاجًا﴾ أَصْنَافًا، وَ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ أَي: مُتَفَرِّقٍ مُتَوَعِّدٍ (٣)، وَنَبَاتٍ مُصَدَّرٍ سُمِّيَ بِهِ النَّبَاتُ فَاسْتَوَى فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، وَ﴿شَتَّى﴾ صِفَةٌ لِلْأَزْوَاجِ أَوْ لِلنَّبَاتِ، جَمَعَ شَتِيَةً كَمَرِيضٍ وَمَرَضِيٍّ، أَي: إِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ فِي النِّعَةِ وَاللَّوْنِ وَالرَّائِحَةِ وَالشَّكْلِ بَعْضُهَا لِلنَّاسِ وَبَعْضُهَا لِلبَهَائِمِ (٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ وَالْمَعْنَى: (أَخْرَجْنَا أَصْنَافَ النَّبَاتِ آذِينَ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِهَا مَبِيحِينَ أَنْ تَأْكُلُوا بَعْضُهَا، وَتَعْلِفُوا بَعْضُهَا) (٥)، فَفِي تَعْدِيدِ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ تَعَدُّدٌ لِلْمَنَةِ لِلْمُكَلَّفِينَ، وَفِي كَوْنِ بَعْضِ الْخَارِجِ لِلْعَاقِلِ وَبَعْضُهَا لِلْأَنْعَامِ مَنَةٌ أُخْرَى لِلْمُكَلَّفِينَ بِتَمَامِ قَضَاءِ الْمَصَالِحِ.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت: ٧١٠هـ)، (٢/٣٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/٢١٠).

(٣) شت الشيء أي: تفرق، يقال أمر شتت: متفرق، وشت الأمر شتًا وشتاتًا: تفرق، واستشت مثله، والشتت وشتته شتيتًا، والشتيت: المتفرق، وقوم شتت: أشتاتًا متفرقين، وأشياء شتت: متفرقة. ينظر: تاج اللغة للجوهر (١/٢٥٤-٢٥٥).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/٣٦٨).

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/٣٦٩)، وينظر: التفسير الكبير للرازي، (٢٢/٦١).



إذا دلالة الفعل (أخرج) على تمام منة الله على عباده في أن خلقهم وخلق لهم النبات، فبعد أن ذكر جعل الأرض مهداً، وسلك سبلها، وإنزال الماء، وإخراج النبات به، أشار إلى أن هذه مواطن اعتبار أهل النهي والعقول.

رابعاً: علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي الأبواب، حيث ورد الفعل (أخرج) محط ذكرى أولي الأبواب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، فبعد أن ذكر إنزال الماء وسلكه ينابيع في الأرض، وإخراج زرع به مختلف لونه، ثم يهيج حتى يذبل ويصير يابساً أشار إلى أن هذه مواضع الاعتبار والعظة لأولي الأبواب، أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أن الدنيا تكون خضرة حلوة نضرة ثم تعود شوهاً، والشباب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير^(١)، فهذا يدل على قدرة الله على البعث والمعاد.

خامساً: علاقة الفعل (أخرج) بآيات الله للإنسان العاقل في قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَازْرَعَهُ، فَاسْتَعْلَظَ، فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ، يُعْجِبُ الزَّرْعَ﴾ [الفتح: ٢٩] قال الرازي: (وإنما جعلوا كالزرع؛ لأنه أول ما يخرج يكون ضعيفاً، وله نمو إلى حد الكمال، فكذاك المؤمنون، والشَّطَاءُ الفَرْخُ)^(٢)، وقال ابن عاشور: (هذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم، وبأنهم يدعون الناس إلى الدين حتى يكثر المؤمنون كما تنبت الحبة مائة سنبله، وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة)^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٨٣).

(٢) التفسير الكبير، للرازي، (٢٨/ ٨٩).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٢٠٨)، وأتى بفقرات المشابهة من إنجيل متى: [الإصحاح



سادساً: علاقة الفعل (أخرج) بالماء والمرعى في قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وفيه إشارة إلى أن الماء يخرج من ينابيع الأرض كما ينزل غيثاً من السماء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [النازعات: ٣٠]، فالله هو من يسر سبيل الماء عيوناً وينابيع في الأرض؛ ليستخرج منها الماء، والمرعى وهو الكلاً والعشب الأخضر، وفيه جمع بين الماء والمرعى، أي: الشراب والطعام من باب التذكير بمواضع المنن، والتعرض لها بالشكر وذكر المنعم.

سابعاً: اقترن الفعل (أخرج) بالفعل (جعل) في قوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٤-٥]، أي: تغيير حال الكلاً، ولونه لبيان الفضلات الخارجة من الكائن الحي^(١)، (والمَرْعَى: النبات ترعاه السوائم، وأصله: مصدر ميمي أطلق على الشيء المرعى؛ من إطلاق المصدر على المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق، أو اسم مكان للمرعى، والغُثَاءُ: ويقال بتشديد المثناة، هو: اليابس من النبات، والأَحْوَى: الموصوف بالحُوَّة -بضم الحاء وتشديد الواو-، وهي من الألوان: سُمرَة تقترب من السواد، وهو صفة غثاء؛ لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حُوَّة)^(٢)، وهذا موضع منة ربانية؛ لأن لازم أكل المرعى إخراجة بعد قضمه وهضمه، فمن يسر إخراج العباد بخلقهم من عدم يسر كذلك سبيل (الإخراج) كحالة طبيعية للإنسان.

ثامناً: علاقة الفعل (أخرج) بالعقائد، في أمور، منها ما يلي:

(١) وسيأتي مزيد بيان ذلك مع دراسة معاني الفعل (يعيد) ودلالته.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٢٧٨).



اشتمال علم الله تعالى على ما يتعلق بالساعة، وإخراج الثمرات، وحمل الأنثى، في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ [فصلت: ٤٧] وفي الآية دلالات:

أولاً: يدل على أمور عطف جملة ﴿وَمَا تَخْرُجُ﴾ وما بعدها توجيه لصرف العلم بوقت الساعة إلى الله تعالى بذكر نظائر لا يعلمها الناس، مع أنها أمور مشاهدة في الواقع، وهذا وجه الجمع بين تلك النظائر، وهي: (١) لا يعلم ميعاد الساعة وتفصيل أحوالها إلا الله تعالى (٢) لا يعلم حمل الأنثى من الناس والحيوان التي تلحق من التي لا تلحق إلا الله (٣) لا يعلم وقت وضع الأجنة؛ إلا الله تعالى، فإن الإناث تكون حوامل مثقلة، بلا حول أو قوة، والله أعلم بها وما حملت (١).

ثانياً: علم ما تخرجه أكمام النخيل من الثمر بقدره وجودته وثباته أو سقوطه، وضمير أكمامها راجع للثمرات، والأكمام: جمع كِمٍّ بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو وعاء الثمر وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتويًا على طلع الثمر.

ثالثاً: يدل عموم التأنيث في قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾ على عموم علمه بالعاقل وغير العاقل، كما تشير الآية إلى أن علم الساعة وعلم الله بحمل الأنثى ووضعها كلاهما من الغيبات الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآية الكريمة في جملة سياقها يدل على عموم علم الله تعالى، وإحاطته بكل أمر كلي كان أو جزئي، خلافاً للفلاسفة القائلين بأن الله يعلم الأمور الكلية دون التفاصيل الجزئية.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥/ ص: ٥-٦).



ومن دلالة الفعل (أخرج) على عقيدة البعث والمعاد في الآخرة، ما ورد بقوله تعالى: ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿الزمر: ٢١﴾، هذا كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿الأعراف: ٥٧﴾.

إن دلالة ذلك هي التنبيه على أمر المعاد والبعث، وفي التفسير: (كل ما كان في الأرض من الماء فهو ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ثم إنه تعالى: ﴿يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، أو مختلفاً أصنافه، من برّ وشعير وسمسم ﴿ثُمَّ يَهِيَجُ﴾، وذلك بأنه إذا تم جفافه جاز له أن ينفصل عن منابته، وإن لم تتفرق أجزاؤه فتلك الأجزاء كأنها هاجت لأن تتفرق، ثم يصير ﴿حُطْمًا﴾ يابساً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ يعني: أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفراً اللون، منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت، فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تذكّر حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحيث تذكّر الإنسان نفرتة من الدنيا وطيباتها^(١) أي: من باب الاعتبار، ومقايسة تغيير أحوال الإنسان على تغيير أحوال النبات بدليل المشاهدة، وقرينة الواقع في الحياة.

١- ومن دلالة الفعل (أخرج) بعقيدة الإحياء والموت أن علاقة الفعل مطردة ودالة على عموم إحياء الله للأرض والبلاد والبشر بإخراج الحي من الميت، يثبت إعجاز الخلق والإيجاد لمن فني بعد وجوده، فعلى سبيل التقابل بين الإحياء والإماتة، في أربعة مواضع عامة نصّ على إخراج الله حياة الحي إلى موت ميت، وهي:

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٦ / ٤٣٩ - ٤٤٠).



الموضع الأول: في قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ [آل عمران: ٢٧] أسلوب الخطاب، أي:

أنت الله وحدك الحاضر في الذهن، والشاهد القائم الذي لا يغيب، ولا تخفى عليه خافية فاعل ذلك دون سواك، ويدل ذلك على ضرورة الإقرار لله بكلا الفعلين، وبقية المواضع بأسلوب الغيبة ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أي: هو، وهذا الموضع يدل على (تدبير أرزاق العباد فقال: ﴿وَتَرَزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] هو كالتدليل لذلك كله، والرزق ما ينتفع به الإنسان فيطلق على الطعام والثمار)^(١)، وهذا من تمام فضل الله على العباد فأخرجهم للحياة، ولم يتركهم هملاً، بل يسر أرزاقهم، وأقواتهم في الحياة الدنيا.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ

اللَّهُ فَإِنَّ تَوَفَّكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]^(٢)، (أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوى، الذي هو كالجماد الميت)^(٣)، وقال: (هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة، وهذه الآيات المتتابة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحَبِّ والحب من النبات، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن)^(٤)، ثم أتى بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾؛ لتدل صيغة الاسم على

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٢١٥).

(٢) قد ورد قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ بأسلوب الغيبة أي: هو سبحانه، في سور: [الأنعام: ٩٥]، [يونس:

٣١]، و[الروم: ١٩]، وورد قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أسلوب الخطاب في سورة [آل عمران: ٢٧].

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٢٧٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٢٧٧).



دوام واستمرار إخراج الله الميت من الحي، وفيه إشارة للاستدلال على كمال الله في قدرته ووحدانيته؛ لذا قال بعدها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: الله فاعل ذلك هو الأولي بالتوحيد وتمام التألّيه والعبودية دون سواه من الأنداد، دون بقية المواضع فبصيغة الفعل فيهما.

الموضع الثالث: في قوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ [يونس: ٣١] بأسلوب الاستفهام التقريري، وكذلك يحمل هذا الموضع دليلاً واضحاً على تدبير الله وحده -دون سواه من آلهة أخرى- لأمر العباد والبلاد في الحياة الدنيا، فقال: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]، وهذا تدبير شؤون العباد وفق مراد الله تعالى، ثم أتى بجوابه بعده مباشرة: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وهذا جواب فطري حيث لم يدع أحد فعل الإحياء والإماتة مطلقاً إلا على سبيل التشغيب من النمرد، وهو باطل، لذلك لم يرد عليه الخليل، بل انتقل إلى دليل مشاهد أكثر ظهوراً للعيان وهو إشراق الشمس من مشرقها.

الموضع الرابع: فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، بصيغة المضارع وبأسلوب الغيبة فيهما، وهو يحمل دليلاً على البعث بعد الموت في قوله: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾ [الروم: ١٩]، (ليتنظم الدليل على هذين الأصلين المهمين: أصل الوجدانية، وأصل البعث)^(١)، حيث إن كمال قدرة الله تعالى الفاعل لما يشاء، مدبر أمور العباد والبلاد، فهو القادر وحده دون سواه على أن يعيّنهم بعد الممات. لذا فإن التسليم لله تعالى من الواجب.

تاسعاً: دلالة الفعل (أخرج) على التحدي بالموت والحياة: كما في قوله تعالى:

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٨٥).



﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣]، يظهر ذلك التحدي في حال معالجة الموت وقت السكرات والنزع، والتحدي ممن خلق للإنسان الحياة والموت، وجعل له أجلاً مسمى، وإن تمنى العبد الموت لضر أصابه فلن يستطيع إماتة نفسه بإخراج روحه من بدنه إلا إذا اعتدى على بنيته بالانتحار وهو محرم شرعاً.

لقد تناولت السنة هذه الحال وذلك الظرف في توعية الفرد المسلم، ففي حديث أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَحِيحٌ تَحْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(١)، فمعنى الحديث: أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها، وتصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت، وأيس من الحياة، ورأى مصير المال؛ لأن وقت النزع - وهو وقت ضيق تعد فيه الكلمات ويكون التعبير بكلمات معدودة وعبارات - يسارع الكثير من الناس بالوصية في مرضاة الله تعالى مع أنه كان في سعة الحياة يرتع ويربع ويلعب.

ومن ناحية أخرى فإنه تبدو صلة الفعل (أخرج) بتحدي خلق حياة الحي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذْ مَا مَنُتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۗ ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مریم: ٦٦-٦٧]، حيث استبعد الإنسان الملحد البعث

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الزكاة، باب: فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، رقم: (١٤١٩) (١١٠/٢)، واللفظ له، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الزكاة، باب: بَيَانِ أَنْ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، رقم: (١٠٣٢) (٧١٦/٣).



بعد الموت، والمراد بالإنسان في قوله: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ (إمّا الجنس بأسره، وإسناد القول للكل؛ لوجود القول بينهم، وإن لم يقله الجميع، وإمّا البعض المعهود منهم، وهم أهل الكفر، أو أبي بن خلف، فإنه أخذ عظاماً بالية ففتّتها، وقال أبي: «يزعم محمد أنا نُبعث بعدما نموت، ونصير إلى هذا الحال» أي: يقول ابنُ خلف ذلك بطريق الإنكار والاستبعاد، وعن مثل هذا الإنكار قال ربُّنا: ﴿أَوَدَّامِمْتُ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا﴾ أي: أُبعث من الأرض، أو من حال الموت^(١)، ووجه الإعجاز بخلق المنكر ذاته في الدنيا لقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الذي فلم يدع فعل الخلق في الدنيا أحد إلا الله تعالى.

ورجّح ابن عاشور أن المراد بالإنسان البعض على احتمالين هما: الأول: أن المراد بالإنسان جمعٌ من الناس، بقرينة قوله بعده: ﴿فَوَرِّكَ لَتَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨] فيراد من كانت هذه مقالته - وهم معظم المخاطبين بالقرآن في أول نزوله - الثاني: يجوز أن يكون وصفٌ حُذِفَ أي: الإنسان الكافر، فتكون كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ جَمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿يَلَىٰ قَدْرَيْنَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بِنَانِهِ﴾ [القيامة: ٣ - ٤]، وكذلك إطلاق الناس على خصوص المشركين ورد في آيات، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] (٢).

وكان الجواب في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ الاستفهام إنكار وتعجيب من ذهول الإنسان المنكر للبعث عن خلقه الأول^(٣)، وهذا يدل على العلاقة بين الفعل

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦/ ١٤٤).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦/ ١٤٥).



(أخرج) بفعل الخلق والإيجاد بصفة عامة، كما يدل على علاقته بالحياة الأخرى (البعث بعد الموت).

قال أبو السعود: من الذكر الذي يراد به التفكير والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شؤون التكوين الموحية بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان، والهمزة للإنكار التويخي، والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه، أي: أيقول الإنسان ذلك ولا يذكر ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً، فحيث خلقناه، وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الواقع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر^(١).



المطلب الخامس:

معاني الفعل (جعل) ودلالته

♦ أولاً: معاني الفعل (جعل) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (جعل) من جَعَلَ جَعْلًا أي: صنع صنْعًا، وجَعَلَ أعْمٌ؛ لأنَّكَ تقول: جَعَلَ يَأْكُلُ، وجَعَلَ يصنع كذا، ولا تقول: صَنَعَ يَأْكُلُ، قال تعالى: ﴿وجعلنا نبيًا﴾ [مریم: ٣٠]، أي: صيرني، وقال: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عبد الرحمن إنشأ﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: سمّوهم، والجُعَلُ والجُعَالَةُ: ما جعلت لإنسان أجرًا له

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ٢٧٤-٢٧٥).



على عمل يعملُهُ، والجُعالاتُ: ما يتجامل الناس بينهم عند بعث، أو أمر يحزبهم من السلطان، والجُعَلُ: دابةٌ من هوام الأرض، والجُعَلُ، واحداً جَعَلَةٌ: وهي النخل الصغار، والجَعْعُولُ: وَلَدُ النَّعَامِ^(١)، وقد أفاد الإمام الراغب أن الفعل (جعل) يفيد التصيير، فهو (لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه:

الأول: يجري مجرى (أوجد) فيتعدى لمفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [النحل: ٧٨].

الثاني: في إيجاد شيء من شيء، وتكوينه، منه قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النحل: ٨١].

الثالث: في تصيير الشيء على حالة دون حالة، نحو قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: ٨١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

الرابع: يجري مجرى صار وطفق، فلا يتعدى، نحو (جعل زيد يقول كذا).

والخامس: الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلاً، فأما الحق فنحو قوله: ﴿وَجَاءَ لَوْ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الفصص: ٧]، وأما الباطل فنحو قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا

(١) ينظر مادة (جعل) في: (العين) للخليل، (٢٢٩/١)، وتاج اللغة، للجوهري (١٦٥٦/٤)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (١/٤٦٠-٤٦١)، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، (ص: ٩٧٧).



ذُرًّا مِنْ الْحَرِّثِ وَالْأَنْعَمِ نَصِيبًا ﴿[الأنعام: ١٣٦]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] ^(١). أقول: وهذه الأنواع الثلاثة الأولى محط الخلق والإيجاد من محض العدم عدا النوعين الرابع والخامس.

تبين مما سبق أن الفعل (جعل) تعددت معانيه، ومنها: خلق وصنع، وبمعنى صار، فمن دلالاته في اللغة: التحويل والصيرورة، فلما كثرت دلالات الفعل (جعل)، وكان الخلق أحد دلالاته اكتفيت بغيره من أفعال الخلق والإيجاد لوضوح دلالاته.

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (جعل):

أولًا: عطف القرآن الفعل (جعل) على أفعال الخلق والإيجاد الصريحة الأساسية، وهي: (خَلَقَ وَأَنْشَأَ) بالواو العاطفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فعطف جعل على خلق، وفي قوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [الملك: ٢٣]، فعطف جعل على أنشأ، والواو حرف عطف يفيد الترتيب، أو لمطلق الجمع وهو الأولى، وهذا يدل على أن الفعل (جعل) له دلالة الخلق من عدم؛ لعطفه على (خَلَقَ وَأَنْشَأَ)، بينما عطف الفعل (يذُرُّ) على (جعل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]، ليدل على تهيئة المخلوق بعد الإيجاد، لعطف الفعل (يذُرُّكم) عليه لبيان النسل والذرية، ويدل على أنه قبل الخروج للحياة ربما مرحلة التصوير، وقد سبق الارتباط بين الفعل (أخرج وجعل) ^(٢).

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب، (ص: ١٩٦-١٩٧).

(٢) تنظر الدلالة السابعة للفعل «أخرج»، ص: ٥١-٥٢.



ثانيًا: دلالة الفعل (جعل) على سنة الزوجية في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢، والشورى: ١١]، قال الشربيني: (والمعنى أنه تعالى خلق النساء لتتزوج بهن الذكور، ومعنى ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَقْشِرُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة، ٥٤]، وقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور، ٦١]، أي: بعضكم بعضًا، ونظيره قوله: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم، ٢١] (١).

وقال ابن عاشور: (جعل للإنسان سنة التناسل بالزوجية، فجعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف، كما جعل في ذلك التزاوج أنسًا بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجًا عنيفًا أو مهلكًا كتزاوج العناكب (٢)، والضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة (٣)، وفي ذلك أوجه لمنة الله في سنة التزاوج والزوجية.

ثالثًا: اقترن الفعل (جعل) بالفعل (خلق) بالعطف عليه في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا﴾ [الأعراف: ١٨٩] للتعبير عن تهيئة الأزواج من أنفس أزواجهم أي: من جنسهم، حيث إن جعل المرأة من جنس الرجل، وهو موضع منة في ذاته لكلا الطرفين - الرجل والمرأة-؛ لأن ما تجانس

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) تقتل أنثى العناكب الذكر بعد إتمام التزاوج؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٧١).



تأنس، فقد ثبت التعليل العام لآدم وذريته؛ لوضوح خلق كل من الزوجين على جهة استقلال للآخر على وجه الامتنان.

رابعاً: ارتباط الفعل (جعل) بخلق الأزواج والحفدة، في قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢]؛ ليبين ارتباط الفعل (جعل) بسنة الزوجية، والجمع بين جعل الأزواج والحفدة دليل المنة بالتناسل، وتكاثر الذرية، و(المشهور أن الحافد ولد الولد من الذكور والإناث)^(١)، وتكرر الفعل (جعل) مع الحفدة؛ لتأكيد استقلالية كل منهما عن الآخر، ولإظهار براعة الخلق، ولتفريع الخلق بعضهم من بعض برءاً وذراءً وبثاً، وهذه الآية الكريمة دليل منتظم في سلك أدلة التوحيد؛ لأن الله لا زوج له ولا ولد، فقال: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

خامساً: ارتباط الفعل (جعل) بخلق الإنسان وتهيئة حواسه، في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] حيث هيأ الإنسان للحياة بخلق حواسه عند التكوين الذي هو من فعل الله تعالى، بدلالة أصلية للفعل (جعل) لاحقة بالفعل (أخرج) حيث عطفه على جعل الأزواج، وعلاقة الفعل (جعل) بالخلق تبدو في التعبير به عن مرحلة تكوين أعضاء الإنسان لتحقيق تمام المخلوق، فجعل السمع والأبصار والأفئدة أي: أخرجكم بلا شيء، ثم أعطاكم ومنحكم سمعاً وبصراً وفؤاداً، وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الإخراج لأن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني (٢/٢٤٩).



لا يظهر قبل الإخراج أي: جعل لكم هذه الأشياء آياتٍ تحصّلون بها العلمَ والمعرفة^(١)، والتذكير بالحواس لحفظها وصيانتها من الحرام، لذلك قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

كما أظهر الفعل (جعل) مواطن المنة الربانية طلباً لاستحقاق المنعم شكراً وحمداً؛ فأما مواطن المنة الربانية على خلقه، ففي تهيئة حواس الإنسان الظاهرة، وهي:

١- (السمع) آتته الأذن؛ للاستماع والمعرفة، فالسمع محل التفاهم المتبادل بين الناس بسماع الخطاب وردّ الجواب، وتقديم السمع على البصر؛ لأنه طريق تلقي الوحي، وإدراك السمع أقدم من إدراك البصر، وإفراذه باعتبار كونه مصدرًا في الأصل، ووحدة المسموع.

٢- (الأبصار) آتته العين، وهي جمع (بصر) والجمع لتعدد المُبصّرات؛ لتحقيق تعارف الناس، والبصر أصل لمنهج التجربة والمشاهدة؛ لتحصيل علوم الطبيعة والتمكن بالنظر فيها من العلوم المكتسبة.

٣- (الأفئدة) محط الإدراك وتعقل الأشياء، وفهم المعارف، والبصيرة المتصلة بالقلب، وهو ما يميز الإنسان عن العجماءات، ومناطق التكليف، وجمع الأفئدة لتعدد المعقولات، وذكر الأفئدة لشرفها.

سادساً: إظهار الفعل (جعل) استحقاق المنعم سبحانه شكراً وحمداً بدلالة فاصلة الآيتين السابقتين على الحض على شكر الله في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، أي: رجاء شكركم، وفي قوله: ﴿فَلْيَلَامُوا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/١٣١-١٣٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤/٢٣١-٢٣٢).



دلالة على علاقة الفعل (جعل) بالمنة الربانية حيث كانت دالة على أن الفعل جعل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشكر المنعم؛ لأنه أسدى للإنسان حوائج حواسه كنعمة ظاهرة مشاهدة للعبء؛ لذا قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وهذا تهديد للإنسان، كما قال: ﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١] أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها^(١)، فإن صرف العبد نظره إلى مواطن الامتنان بنعم الله -تعالى- الظاهرة فضلاً عن نعمة الباطنة التي خلقها الله في الإنسان، لأقر بربوبية الله الذي أسداها وأولاها، ولخرَّ ساجداً لله تعالى حامداً وشاكراً ما بقي، لظهور منة الله تعالى الأصلية في تمام خلق الإنسان، ليدفعه إلى الإيمان به، والاعتراف بألوهيته.



المطلب السادس:

معاني الفعل (نشر) ودلالاته

♦ أولاً: معاني الفعل (نشر) في اللغة:

أفاد علماء اللغة أن الفعل (نشر) النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه، والنَّشْرُ، الرائحة الطيبة، من نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث: أي: بَسَطَهَا، والنَّشُورُ: الحياة بعد الموت يُنشرهم الله إنشأراً، ونَشَرَ المَيِّتُ نُشُوراً. وَأَنْشَرَ اللهُ المَيِّتَ فَنَشَرَهُ، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] وقيل: نَشَرُوا فِي مَعْنَى انْتَشَرُوا، وقرئ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ [المجادلة: ١١] أي: تفرقوا،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٢٣٢).



والانتشارُ: انتفاخ عَصَبِ الدابة، والنَّوْاشِرُ: عروق باطن الذراع، والنَّشْرُ: الكَلَأُ اليابس إذا أصابه مطرٌ فَيُنْشَرُ أَي: يَحْيَا، فيخرج منه شيء كهيئة الحَلَمَةِ، وذلك داءٌ للغنم، يقال منه: نَشَرَتِ الأَرْضُ تنشُرُ نُشورًا، إذا أصابها الربيعُ فأنبَتت، فهي ناشرةٌ، ويقال: رأيت القوم نَشْرًا، أَي: منتشرين، ونشر المتاع وغيره يُنْشَرُه نَشْرًا: بسطه^(١). إذا معاني الفعل (نشر) هي: البسط والتفرُّق والتفريق، والتشعب، وإعادة الخلق بعد الموت.

◆ ثانيًا: دلالات الفعل (نشر):

أولًا: يدل الفعل (نشر) على الخلق دلالة خفية غير ظاهرة؛ لذلك قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] (فأولها محكم وآخرها متشابه)^(٢)، وهو يقصد بذلك أن إنزال غيث السماء، وإحياء البلد الميت به محكم؛ لأن دلالاته المشاهدة المرئية بالنظر في الواقع، وأما تشبيه ذلك بإعادة الموتى للحياة فشان متشابه، وسبب ذلك أن دلالة الفعل (نشر) على الخلق دلالة خفية.

ثانيًا: دلالة الفعل (نشر) على إحياء بلدة ميتة بجذب ويس وقحط، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ هذا موضع تعدد نِعَمِ الله على البشر جميعًا - مؤمنهم وكافرهم - مسبوق باستفهام تقريرى لخلق السماء والأرض، وجعل الأرض مهديًا للسائرين، وتسليك سبلها للطارقين، وتنزيل المطر من السماء، كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وفي التفسير: ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾

(١) مادة (نشر) ينظر: (العين) للخليل، (٦/ ٢٥١-٢٥٢)، وتاج اللغة، للجوهري (٢/ ٨٢٧-٨٢٨)،

ومقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٣٠)، والمفردات، للراغب (ص: ٨٠٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ١٥٦).



أي: أحيينا، والفعل يفيد العدول عن الغيبة إلى إخبار للمخاطب لعلم المخاطب بالمراد ﴿يَهْ بِهٖ بَلَدَةٌ مَّيِّتَةٌ﴾ يريد مَيِّتًا^(١).

وختمت الآية الكريمة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُكَ﴾؛ لتدل على إمكانية البعث والنشور بإخراج الناس من قبورهم، ونشرهم لفصل القضاء؛ لذا فإن (الآية حجة عليهم في إنكار البعث)^(٢)، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، كما أن نشر البلدة الميتة يذكر بإحياء البلدة الميتة في قوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا﴾ [الفرقان: ٤٩]، فالسقي والإحياء والنشر من مظاهر الامتنان والنعمة.

ثالثاً: دلالة الفعل (نشر) على إرسال السحاب بالغيث منه للعباد على سبيل الامتنان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣]، في السور الثلاث وفي (بشراً) أربع قراءات: الأولى: (قرأ الإمام نافع المدني)^(٣)

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٢٦٧).

(٣) نافع: (...-١٦٧هـ) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة، قال أبو قرة: سمعت نافعاً يقول: قرأت على سبعين من التابعين، واشتهر في المدينة وانتهت إليه رئاسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، وتوفي بها. قال الليث بن سعد: قدمت المدينة سنة مائة فوجدت رأس الناس في القراءة نافعاً. وقال ابن مجاهد: وكان نافع عالماً بوجوه القراءات، متبعاً لآثار الأئمة الماضين. ينظر: طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، عبد الوهاب بن يوسف بن



وابن كثير المكي^(١) وأبو عمرو البصري^(٢): (نُشْرًا) بنون في أوله، وبضمتين، جمع نُشورٍ، كرسول ورسل، والثانية: قرأ ابن عامر الشامي^(٣): (نُشْرًا) بضم فسكون على تخفيف

= إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، (ص: ٧٠)، والأعلام للزركلي، (٨/ ص ٥).
 (١) ابن كثير: (٤٥-١٢٠هـ) هو: عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة. أصله فارسي، وكان داريًا بمكة، وهو العطار، مأخوذ من قوله عطر دارين، ودارين موضع بالبحرين من نواحي الهند. وقيل في نسبه الداري: إنه قرشي من بني عبد الدار، قاله البخاري. مولده ووفاته بمكة، حرفته وأجمع أهل مكة على قراءته. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (٤٩-٥٠)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص ٦٥)، والأعلام، للزركلي، (٤/ ١١٥).

(٢) أبو عمرو: (٦٨-١٥٤هـ وقيل: ١٥٥) هو: العريان بن العلاء بن عمَّار بن العريان بن عبد الله بن الحصين الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمر بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. اختلف في اسمه فقيل: زبَّان، وقيل: العريان، وقيل: رِيَّان، وقيل: عيننة، وقيل: يحيى. نشأ بالبصرة، وأصله من الكازرون، وتوفي بالكوفة عند محمد بن سليمان الهاشمي، في خلافة أبي جعفر المنصور، كان أبو عمرو مقدمًا في عصره، عالما بالقراءة، عارفًا بوجوهها، قدوة في العربية، معولًا على الخبر، مستمسكًا بالأثر، فضله في علم اللسان، وحفظ الأشعار، وأيام العرب، ومعرفة اللغة، وكان عاليًا في الورع. ينظر: طبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص ٧٧-٧٨).

(٣) ابن عامر: (٨-١١٨هـ) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران الشامي اليحصبي بضم الصاد وكسرهما نسبة إلى يحصب بن دهمان، وقد اختلف في كنيته كثيرًا والأشهر أنه أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، قال ابن مجاهد: وعمل بقراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل على قوتها وكيف يسوغ أن يتصور قراءة الأصل لها، ويجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول. كان إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه حافظًا لما رواه متقنًا لما وعاه عارفًا قيمًا فيما جاء به صادقًا فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولد في البلقاء، في قرية رحاب، وانتقل لدمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء محمد بن محمد بن



الحركة، والثالثة: قرأ حمزة بن حبيب الزيات^(١)، والكسائي^(٢)، وخلف^(٣): (نَشْرًا) بفتح النون وسكون الشين على أنه من الوصف بالمصدر، وكلها من النشر وهو البسط^(٤)،

= يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، (١/٤٢٣-٤٢٥).

(١) حمزة: (٨٠-١٥٦هـ وقيل: ١٥٨) هو: حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل، التيمي الإمام الحبر أبو عمار الكوفي التيمي مولا هم الزيات: أحد القراء السبعة، كان من موالي التيم فنبس إليهم، وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم، كان إمامًا حجة قيما بكتاب الله تعالى، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا خاشعًا قانتًا لله، عالمًا بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٢٦١)، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (ص ٦٦-٧١)، والأعلام، للزركلي، (٢/٢٧٧).

(٢) الكسائي: (١٢٦-١٨٩هـ) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، الإمام أبو الحسن الأسدي، مولا هم الكوفي المقرئ النحوي، أحد الأعلام، سمع من جعفر الصادق، الكسائي: انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة، ولد في إحدئ قراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عامًا، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ٧٢-٧٧)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٥٣٥)، والأعلام، للزركلي، (٤/٢٨٣)، ومعجم المؤلفين كحالة، (٧/٨٤).

(٣) خلف: (١٥٠-٢٢٩هـ) هو: خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادي الأسدي: أحد القراء العشرة، كان عالمًا عابدًا ثقة، أصله من فم الصلح بكسر الصاد قرب واسط، كان ثقة كبيرًا زاهدًا عابدًا عالمًا، واشتهر ببغداد، وتوفي ببغداد وهو مختف من الجهمية. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ١٢٣-١٢٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٢٧٢-٢٧٤)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص ٩٦-٩٨)، والأعلام، للزركلي، (٤/٣١١-٣١٢).

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح القاضي، (ص: ١٤٤)، وينظر: الإرشادات الجليلة في القراءات السبع من طريق الشاطبية، محمد محمد سالم محيسن، (ص: ١٨٣-١٨٤)،



والرابعة: قرأ عاصم الكوفي^(١)، من القراء السبعة قرأها: (بُشْرًا) بالباء، وهو القارئ الوحيد الذي قرأها كذلك، أي: من البشارة يبشر الله تعالى بغيث يغيث به عباده.

وفي التعبير عن إرسال الرياح هنا أسلوبان: الأول: خبري مرسل للتقرير في قوله:

﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نُشْرًا﴾ [الأعراف: ٥٧] وفي قوله: ﴿أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

الأسلوب الثاني: أسلوب إنشائي استفهامي في قوله: ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾

[النمل: ٦٣]، وهذا يعتبر من التحدي القرآني؛ فمن ذا يستطيع الإقرار والاعتراف بهذا

الأمر؟! ومن عجيب الأمر ورود قوله: ﴿يَبْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾ عقب المواضع بالسور

الثلاث السالفة، ومعناه: الدلالة على أن السحاب تحمله الرياح مقدّمة للغيث فيُرسل

برحمة الله، أي: تتقدمها مدة وتنشر أسحبتها^(٢) (ولأن المراد التذكر الشامل الذي

يزيد المؤمن عبرة وإيمانًا، والذي من شأنه أن يقلع من المشرك اعتقاد الشرك ومن

منكر البعث إنكاره)^(٣)، وهذا كقوله: ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقوله: ﴿وَاللَّيْلَتِ

نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣]، أي: الملائكة التي تَنْشُرُ الرياح، أو الرياح التي تنشر السحاب.

= والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٩ / ٤٧).

(١) عاصم: (...-١٢٧ هـ) هو: عاصم بن بهدلة أبي النَّجُود بفتح النون وضم الجيم وقد غلط من ضم

النون أبو بكر الأسدي بالولاء الكوفي الحنط بالمهملة والنون، أبو بكر، معدود من التابعين، شيخ

الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، توفي بالكوفة، كان ثقة في القراءات، صدوقًا في الحديث. قيل:

اسم أبيه عبيد، قال أحمد: رجل صالح خير ثقة. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ٥١-٥٤)،

وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٣٤٦-٣٤٩)، وطبقات القراء السبعة لعبد

الوهاب، (ص ٨٤)، والأعلام، للزركلي، (٣/٢٤٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨ / ١٨١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨ / ١٨٤).



رابعاً: دلالة الفعل (نشر) على منة الله على خلقه في (النهار والليل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، هو عقيب قوله: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ في الليل، فلما كان ذلك كذلك وصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخوا الموت^(١)، أي: (ذا نشور وانتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات، فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور)^(٢).

وانتشار الناس: تصرفهم في الحاجات، فقد جعل الله في النهار انتشار العباد ابتغاء للرزق، يشهد لذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، فالليل سكنٌ بالنوم وسكون للراحة، وأما النهار فابتغاء للرزق بالانتشار.

وعلى هذا جرت السنة النبوية في أن النبي ﷺ كان إذا أصبح وقام من نومه يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٣)، فقد (سمى النوم موتاً؛ لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً)^(٤). وبهذا ندرك توافق السنة مع القرآن في تشبيه اليقظة من النوم بالبعث بعد الموت، وهو دال على أمور، منها:

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (٢٧٨/١٩).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (١٢٦/٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الدعوات، باب: مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ، رقم: (٦٣١٢) (٦٩/٦)، من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخَذِ الْمَضْجَعِ، رقم: (٢٧١١) (٤/٢٠٨٣)، من حديث البراء، واللفظ لهما.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/٣٦٩).



أولاً: أن الرسول ﷺ لم يخالف الرؤية القرآنية بل عنها صدر ونبع ووجه الأمة إلى التصور الصحيح.

ثانياً: أن رؤية الإسلام - قرآناً وسنة - إلى الحياة الدنيا أنها انتشار وبقظة وحركة دؤوبة ودائمة مستمرة على سبيل الاطراد، فلا تنقطع إلا بموت العبد.

ثالثاً: أن الإسلام يقر في ذاكرة الفرد المسلم أن الدنيا منقطعة لا أبدية فيها أو بقاء إلى الأبد، فالإنسان مخلوق محدث، وكل محدث لابد له من نهاية بالموت ثم البعث يوم النشور؛ لأن من المحدثات ما لا يلحقه الموت أو النشور؛ كالجمادات.

خامساً: علاقة الفعل (نشر) بالعقائد، وذلك في أمور:

أولاً: دلالة الفعل (نشر) على عقيدة البعث^(١) والمعاد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْقِنُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، في التفسير: إثبات البعث مع تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به عنه، والإشارة في قوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ إلى المذكور من قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ﴾، والأظهر أن تكون الإشارة إلى مجموع الحالة المصورة، أي: مثل ذلك الصنع المحكم المتقن نصنع صنعا يكون به النشور بأن يهيئ الله حوادث سماوية أو أرضية أو مجموعة منهما، حتى إذا استقامت آثارها وتبيأت أجسام لقبول أرواحها أمر الله بالنفخة الأولى والثانية، فإذا الأجساد قائمة ماثلة نظير أمر الله بنفخ الأرواح في الأجنة عند استكمال تهيئها لقبول الأرواح^(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ الْآرْضِ ذُلُومًا فَأَمْشُوا فِي مَنَابِكِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، أي: (وإليه نشوركم، وهو المرجع

(١) وقد سبق التعريف بالبعث في الدلالة الخامسة من الفعل (أحيا).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٢ / ٢٦٨-٢٦٩).



بعد البعث لا إلى غيرِه، فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم^(١)، فلما خلق الله الأرض جعلها مذلَّةً للمشي في طرقها طلباً للرزق، وهذا موضع نَعَمِ الله تعالى.

ثانياً: دلالة الفعل (نشر) على عقيدة النشر^(٢) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢] ﴿ثُمَّ﴾ عطف لبيان تراخي ما بين الميلاد والموت ثم تراخي ما بين الموت والبعث، وقوله: ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (إشعاراً بأن وقته غير معلوم لنا، فتقديمه وتأخيره موكول إلى مشيئة الله تعالى، وأما سائر الأحوال المذكورة قبل ذلك فإنه يعلم أوقاتها من بعض الوجوه، إذا الموت وإن لم يعلم الإنسان وقته؛ ففي الجملة يعلم أنه لا يتجاوز فيه إلا حدًّا معلومًا)^(٣)، ومفعول (شاء) دل عليه الفعل (أنشره) للعلم به أي: (شاء إنشاره)^(٤)، ففيه دلالة الفعل نشر على الحياة بالبعث بعد الموت، وفي تعليق الفعل (أنشر) بمشيئة الله (إيدان بأن وقته غير متعين، بل هو تابع لها)^(٥)؛ ليدل على توقف النشر على إرادة الله.

ثالثاً: دلالة الفعل (نشر) على إعجاز القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آيَاتٍ لِيُنشَرُ عَلَيْكُمْ إِذْ حَرَسْتُمْ عَلَيْهَا رَبِّكُمْ يُنذِرُ لِقَوْمِهِمْ آيَاتِهِ لِيَلْعَنُوا﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

(١) مدارك التنزيل، للنسفي، (٣/ ٥١٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٩/ ص: ٧).
 (٢) النشور: جمع عظام الموتى بعد النفخة الثانية في الصور من الفعل نشر، قال تعالى: ﴿وَالْيَوْمَ النَّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُبُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢]. ينظر: المفردات للراغب، (ص: ٨٠٥).

(٣) التفسير الكبير، للرازي، (١٣/ ٥٨).

(٤) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٤/ ٤٨٦-٤٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/ ١١٠).



وَلَا حَيَاةَ وَلَا نَشْوَرًا ﴿ [الفرقان: ٣]، هذه الآية الكريمة تحمل من التحدي والإعجاز بالأفعال الدالة على الخلق والإيجاد، والعجيب أن بعض الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد وردت لبيان قدرة الله وحده على الخلق والإيجاد من عدم محض - وهي النشأة الأولى-، وبعض الأفعال الدالة على الخلق وردت لبيان الخلق والإيجاد بعد وجود وهي النشأة الأخرى، والتحدي بالأولى يمد قوة احتجاج للتحدي بالثانية، وفي هذه الآية الكريمة من التحدي بعدد أفعال الخلق والإيجاد في المواضيع التالية:

١- في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ (أي: لا يقدرّون على خلق شيء من الأشياء أصلاً، وقيل: لا يقدرّون على أن يخلّطوا شيئاً)^(١)، انتفاء خلق الآلهة المعبودة شيئاً من الأشياء، أو انتفاء قدرتهم.

٢- في قول الله: ﴿وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ إثبات أن هذه الآلهة المعبودة نفسها محدثة مخلوقة من مواد طبيعية أي: (كسائر المخلوقات، وهم يُخلّعون حيث تختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير)^(٢)، فكيف تتخذ معبودة من دون الله تعالى؟!

٣- في قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشْوَرًا﴾ (أي: لا تقدر على الإحياء والإماتة في زمان التكليف، وثانياً في زمان المجازاة، ومن كان كذلك كيف يسمي إلهاً؟! وكيف يحسن عبادته مع أن حق من يحق له العبادة أن ينعم بهذه النعم المخصوصة؟!)^(٣). ولقد أوضح الإمام الرازي بـ(زمان التكليف) التحدي بالخلق الأول -النشأة الأولى- أي: في زمان التكليف، كما أوضح بـ(زمان المجازاة)

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٤٣١).



التحدي بالخلق عند النشأة الأخرى وتكون يوم البعث والنشور، والمعنى أنه (بعد بيان عجز الآلهة عما هو أهون من هذه الأمور، من دفع الضر، وجلب النفع أو ضح أنهم لا يقدرّون على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء، وإحياء الموتى وبعثهم؛ للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل، والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرًا على جميع ذلك)^(١)، فالله هو المحيي المميت، والتعبير بالاسم الموت والحياة؛ ليدل على نفي أصل قدرة الأصنام على الإحياء والإماتة، فضلًا عن أن يملكو نشورًا بعد الموت، وبعد النفخة الثانية.

رابعًا: مناسبة الفعل (نشر) للرد على منكري البعث، في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُبُوءًا وَلَا آيَاتِنَا إِلَّا حُجُوجًا مُّشَوَّرَةً﴾ [الفرقان: ٤٠]، وهم قوم لوط، أي: بل كانوا قومًا كفرة بالبعث لا يخافون بعثًا، فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشورًا كما يأمله المؤمنون؛ لطمعهم في الوصول إلى ثواب^(٢)، (اكتفى عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الأخرى الذي هو الغاية من خلق العالم، وقد كُني عن ذلك بعدم النشور أي: عدم توقُّعه كأنه، قيل: بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخرى، ولا يرون لنفس من النفوس نشورًا أصلًا مع تحقُّقه حتمًا، وشموله للناس عمومًا واطِّرادِهِ وقوعًا)^(٣).

خامسًا: دلالة الفعل (نشر) على الإعادة كما في قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها أَحْمَامًا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فاقترن الفعل (نشر) بالعظام مثلما اقترن

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٠٢) بتصرف وتقديم وتأخير.

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/ ٥٣٨).

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٢٠).



كُلٌّ مِنَ الْفِعْلِ (أحيا، وأنشأ) بالعظام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ [يس: ٧٨-٧٩]، وفي أسلوب استفهام إنكاري؛ لينكر عليهم جحودهم عقيدة النشْر والمعاد.

سادساً: وفي الفعل (نَشْرُهَا) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) وابن عامر: (نشزها) بزاي معجمة من النشز، وهو الارتفاع، أي: يرتفع بعضها على بعض للتركيب وافقهم الأعمش، وقرأ الباقر: (نشرها) بالراء المهملة من النشْر، أنشَر الله الموتى أحياءهم^(١)؛ لأن (أنشرها أي: أحيها، يقال: أنشَر الله الميت ونشره أحياءه، وأنشزها؛ أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمّت، فيجتمع المعنيان في القراءتين أخيراً في معنى واحد)^(٢)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ﴾ [عبس: ٢٢] قال الفراء: كأنه ذهب إلى النشْر بعد الطي، وذلك أن بالحياة يكون الانبساط في التصرف، فهو كأنه مطوي ما دام ميتاً، فإذا عاد صار كأنه نشر بعد الطي، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنه: (كَيْفَ نَنْشُرُهَا)، وقرأ الحسن: (نشرها)، كما قال الشاعر:

طَوْنِكَ حُطُوبٌ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَلِكَ حُطُوبُهُ طَيًّا وَنَشْرًا^(٣)

سابعاً: دلالة الفعل (نشْر) على أول الخلق واعتقاد الخلافة في الأرض،

(١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدبياطي، (ص: ٢٠٨)، البدور الزاهرة القاضي، (ص: ٦٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٣٧).

(٢) مدخل في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل (ت: ١٤١٩ هـ)، (ص: ٢٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٧/ ٣٣)، وتاج اللغة، للجوهري (٢/ ٨٢٨)، والمفردات، للراغب، (ص: ٨٠٥).



وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، فالبعث والانتشار سمة البشر بالنهار، (وهي حجة ظاهرة وآية باهرة من جعلتها خلق الإنسان من تراب، وتقريره: أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كلفه، فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نير، ومن حيث فعله فإنه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة، ومن حيث السكون فإنه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمناً ويسرة، وفي الجملة فالتراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام)^(١).

قوله: (بَشَرٌ) إشارة للقوة المدركة؛ لأن (البشر بشرٌ لا بحركته، فإن غيره من الحيوانات كذلك، وقوله: ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ إشارة للقوة المحركة، وكلاهما من التراب عجيب، أما الإدراك فلكثافته وجموده، وأما الحركة فثقله وخموده، وقوله: ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ إشارة إلى أن العجبية غير مختص بخلق الإنسان من التراب بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلاً عن خلق البشر)^(٢)، و﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ مضارع دالٌّ على لزوم صفة الانتشار للبشر في الماضي، واستمرارٍ في الحاضر إظهاراً لوجه المنة للبشر العاقل؛ فانتشار ذرية آدم في الحياة بحركة وتصريف؛ طلباً للرزق والسفر والانتقال قديم قدم آدم أبي البشرية.

ولقد فرّق الإمام الرازي بين قوله: ﴿إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، فقال: (هنا) ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ وقال في خلق الإنسان أولاً: ﴿إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ فنقول في الآية الأولى:

(١) التفسير الكبير، للرازي، (١٩/٢٥).

(٢) المصدر السابق، (٩٠/٢٥).



﴿تَتَشَرُّوْنَ﴾ يكون خلق وتقدير وتدرّيج وتراخٍ حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفخ فيه روحه، فإذا هو بشر، وأما في الإعادة؛ أي: في الآية الأخرى ﴿تَخْرُجُونَ﴾ فلا يكون تدرّيج وتراخٍ، بل يكون نداء وخروج^(١)، هذا موضع يدل على إعجاز المفردة القرآنية.

يدل كلا الفعلين (نشر وخرج) على الابتعاث والانتشار والبروز في الدنيا والآخرة، وإن الدلالة الأولى بالفعل (نشر) البعث في الآخرة، وقد ورد في شأن الخلق الدنيوي كما في الآية الأولى، وأن الدلالة الأولى بالفعل (خرج) الصدور والبروز في الدنيا، وقد ورد في شأن أخروي، كما في الآية الثانية لبيان فائدة فرعية بالإشارة إلى عموم فعل الخلق والإيجاد سواء بداية خلق من العدم إلى الحياة الدنيا، أو إعادة الخلق في القبور يوم النشور.

وبعد، فهذا أوان بيان فائدة دراسة أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد لعصرنا الذي نحياه بخيره وشره، وحلوه ومرّه؛ فما علاقة دراسة هذه الأفعال القرآنية بحياتنا الفكرية المعاصرة؟ فيما يلي جواب ذلك مستعيناً بالله تعالى مالك القوي والقدر.



(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٩٦ / ٢٥)، والسراج المنير، للخطيب الشربيني (٣ / ١٦٥).



المبحث الثاني

مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن

الدالة على الخلق والإيجاد

المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن

الدالة على الخلق والإيجاد

إن انتشار الإلحاد^(١) اليوم بين بعض الشباب في العالم العربي المسلم، وبصور عديدة حيث أطلق عليهم (لادينيّين)^(٢)، وهو اتجاه فكري نشأ بانجلترا يرفض مرجعية الدين في حياة الإنسان، ثم انتشر في العالم، واتجاه آخر أطلق عليه

(١) الإلحاد: انحراف وميل عن الحق والصواب والاستقامة، قال الراغب: أَلْحَدَ فلان: مال عن الحقّ، والإلْحَادُ ضربان: إلحاد إلى الشُّرك بالله، وإلحاد إلى الشُّرك بالأسباب، فالأوّل ينافي الإيمان ويبطله. والثاني: يوهن عراه ولا يبطله. ينظر: المفردات للراغب (ص ٧٣٧).

(٢) اللادين: يؤمن بحق الإنسان في رسم حاضره ومستقبله واختيار مصيره بنفسه دون وصاية من دين، ودون التزام بشريعة دينية، ويرى أن النص الديني مجرد نص بشري محض لا ينطوي على قداسة خاصة، ولا يعبر عن الحقيقة المطلقة، ويمكن تعريفه بأنه: «اعتقاد ببشرية الأديان، بغض النظر عن الاعتقاد بفكرة وجود إله أو آلهة أو عدم الاعتقاد بذلك»، فإن اللاديني هو شخص لا يملك إيماناً بوجود الخالق الأعظم، وفي نفس الوقت لا يملك قناعة بعدم وجود الخالق الأعظم، كما أنها مرحلة وسطية بين الإيمان والإلحاد وهناك البعض ممن يعرف اللادينية كإلحاد ضعيف. ينظر: الدين والعلم لبرتراند راسل، ترجمة: رمسيس عوض، (ص: ٣-١٢)، وينظر: (ص: ١٨٩).



(اللا أدريين)، ويقال: مبدأ (عدم اليقين)^(١)، حيث ظهور الاعتراض على بعض المعتقدات السمعية، وإظهار سلوكيات دالة على الإنكار والضجر من الحياة، والسخط من مقدور الله، والقنوط أو اليأس من رحمته، وهذه مظاهر انتشرت اليوم بصورة تدعو أهل الفكر والدين والدعوة إلى مزيد الاهتمام بالدعوة الاعتقادية؛ لأن هذا أمر يحتمه أزمة الواقع من انتشار الإلحاد، والسعي في بناء وعي المدعو والعمل على تحقيق رسوخ الإيمان في القلوب، وزيادة اليقين وتثبيته على أصول وأسس قوية من الأدلة والبراهين عسى أن يعين ذلك على استعادة النقاء الإيماني، والجلاء عن فطرة الإنسان.

وإن الإسلام - قرآنًا وسنة - قد حثَّ على البحث، والنظر في آيات الأنفس وآفاق الكون؛ لأن الإسلام يحث المسلم على التدبر، وذلك بالنظر في أدلة الكتاب الدالة على ذلك، فقد قال تعالى: ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، وهذا أمر يدل على تكليف النظر في خلق الله تعالى؛ للاعتبار الموصل إلى الإيمان، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمٰوٰتِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، فهذا حض على النظر، فإن النظر في آيات الأنفس وآفاق الكون عبادة مأمور بها في الإسلام تتعلق بكتاب الله تعالى.

(١) اللا أدرية: اتجاه فكري قديم ما زال قائمًا بين البعض يقوم على فوضوية الرؤية وعشوائية النظرة، لا يمكنه الركون للمسلمات أو الثوابت، فأصحاب هذا الاتجاه يحملون فكرًا لا أدريًا يقوم على ثبوت انتفاء اليقين بأي شيء. ينظر: علاقة الكتب السماوية بالعلم، د. الأمير محفوظ محمد، (ص: ٣٠٨-٣١٣).



وإن الصحابة والتابعين لم يبحثوا في أفعال الخلق والإيجاد على سبيل الخصوص؛ لأنهم علموا دلالاتها بفطرتهم النقية، وفهموا دلالتها ومعانيها اللغوية لسلامة ألسنتهم فرسخت معانيها في قلوبهم؛ إذ فهموها فلم يبحثوا عن جزئياتها الفرعية لعدم الداعي لإفراها بالبحث والدراسة، ولعدم توفر ضرورة ذلك.

وإن تدبر مواضع أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد بالوقوف على دلالتها، وإن المسلم بين أن يترك هذا الزاد القرآني المعرفي في أفعال الخلق والإيجاد، وهذا مخالف للمقصد الأساسي من نزول القرآن للتدبر، أو أن يستثمر هذه المعرفة القرآنية فيما يتفق مع حقائق العلم، لأن ما يكتشفه أهل العلم الطبيعي إما أن يرفض مطلقاً، أو أن يقبل مطلقاً، أو أن يقبل إن صح دليله، واحتفت به القرائن والأدلة، والصواب أن دلائل أفعال الخلق والإيجاد مقبولة بشروط هي:

(١) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنقل الصحيح، وهذا ورد كثيراً من خلال تلك الأفعال الواردة في كتاب الله تعالى الدالة على الخلق، وقد سبقت نماذجها التطبيقية.

(٢) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للحس والمشاهدة والواقع القائم على التجربة الصحيحة، وقد وردت تلك الإشارة -أيضاً- كثيراً من خلال أفعال الخلق والإيجاد الواردة في كتاب الله تعالى.

(٣) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنظر القائم على الخبرة النظرية الصحيحة؛ لأن القرآن يحث على سؤال أهل الذكر، فقال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، إذ النظر في أفعال الخلق والإيجاد من التكلف أو التهور والتهور.



وقد دعت اليوم الضرورة إلى النظر في (أفعال الخلق والإيجاد) بغية نشرها بين الشباب؛ ليثبت إيمانهم، ويزدادوا إيماناً بالله رب العالمين، فمن خلال دراسة أفعال الخلق في القرآن تحقيق هذه الأهداف، واستعادة ثقة الإنسان بإيمانه من خلال إثبات وإسناد (أفعال الخلق والإيجاد) إلى الله تعالى، وتحقيق معرفته بالله، وتوثيق صلته به، لاتصاف الله ربنا بكل كمال من قدرة وإرادة وعلم؛ لأن النظر في خلق الأكوان والإنسان والحياة والأحياء التي تساعد على دفع الإلحاد، ومواجهته كانت -ولا تزال- سرّاً مكنوناً لم يدعُ لذلك إلا الله تعالى في القرآن المجيد، وبالتالي فهو أكبر شاهد على دفع الإلحاد ومواجهته.



المطلب الثاني

علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد

أولاً: لقد أورد الشيخ محمد الغزالي رحمته الله تصريحاً لبعض علماء الكونيات، فقال: (لقد استفتت إحدى المجالات عدداً من علماء الذرة والطاقة والفلك وعلم الأحياء، فأكدوا جميعاً أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود من ينظم هذا الوجود، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذي لا حدَّ له)^(١)، وهذا التصريح يثمن، ويؤكد على ضرورة دراسة كل ما يدل على خلق الله تعالى لجميع الخلق المشهود في كل الوجود، وإن أفعال الخلق والإيجاد خير شاهد على ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فمعرفة الله أمر فطري، لكن قد يطلب البعض الدليل عليه.

(١) ينظر: عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي، (ص: ٣١).



ثانيًا: لما كانت الأفعال الدالة على الخلق متعلقة في كثير من مواضعها بأدلة مشاهدة ومحسوسة فهي متوفرة للرد على شبهات الملحدين؛ لأن من شبهات الإلحاد: طلب دليل محسوس على خلق الله للخلق، ويدعون أن الصدفة والأسباب هي الفاعلة للخلق، ويقال لهؤلاء: إن الأسباب الظاهرة من (خلق الماء وتبيئة التراب) كأسباب ظاهرة في إنبات الزرع، والشجر مع أنه لا فعل للماء، أو التراب، ولا عقل حتى ينبتوا زرعًا أو شجرًا؛ فكيف ولماذا تسير في طريق إنبات النبات إلا بإذن الله الذي فطرها على شيء أذن له بقدرته، وفطرها على القيام به، فلزم التعرف على أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد؛ لأنها مُسندة إلى الله حتى يزداد أهل اليقين إيمانًا وبقينًا، ويستفيدوا دوامًا وثباتًا على ما هم عليه، كما يعالج أهل الشك ما هم فيه من حيرة وتردد، فيحصل الملحّد تصديقًا تامًا بأن الله موجود متصف بكل أوصاف الكمال.

ثالثًا: الإنسان إذا أراد معرفة الله فإن أهم أسباب النظر على الإطلاق التعرف على الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه واجب الوجود، فقد أوجد كل موجود، وأن كل ما في الكون من دلائل حسية دالة على عظمة الله ووحدانيته سبحانه، واتصافه بكل كمال، كما تدل على أن النظر في الأنفس والآفاق من الضرورة بمكان من أجل معرفة الإنسان ربه تعالى، ومن الأدلة على ذلك، (دليل الإبداع والإتقان - ودليل الخلق والإيجاد - ودليل العناية والرعاية - ودليل الحركة والحدوث)، كما أن الإنسان إذا أراد الانتفاع بما خلقه الله له، فإن عليه القيام بالكشف عن مساتير الكون وإتقان النظر في الكون والتدبر للآيات.

رابعًا: إن مظاهر إثبات وجود الله تعالى وقدرته وإرادته وعلمه، مما يحقق



قيومية الحق تعالى على خلقه مهما أنكر المنكرون الملحدون، أو تأبوا على طاعة الله تكبراً عن الاعتراف به سبحانه، وهي في ذات الوقت تشتمل على أوضح استدلال على قدرة الله على إيجاد الممكنات وإعدامها، وتخصيص إرادته تعالى، وتَمَام انكشاف علمه.

إذاً فإن قيام المعرفة على أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ضرورة تربط هؤلاء الشباب بالقرآن من خلالها، وهي مدخل علمي يُشبع رغبة شباب الأمة في اكتشاف الكون، ويصونه عن الانكباب في هويس الإلحاد واللادين، واللاأدرية؛ فإن قطع العمر - وبخاصة مرحلة الشباب - فيما يفيد، والمحافظة عليه، والانشغال بما ينفع أمور لها قدرٌ كبيرٌ من الأهمية في الإسلام؛ لذا قال النَّبِيُّ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَا عَلِمَ»^(١)، فذكرَ عامة العُمُر ثم خصَّ مرحلة الشباب منه؛ للأهمية والخطورة لقصد شباب الأمة من موجات عاتية، وهجمات مغالية من الإلحاد، ومن دعاوى اللادين، وإن العبء ثقيل، والمسؤولية كبيرة، ودعوة الإيمان فريضة واجبة، وعلى الله توكلنا لا رب لنا سواه.

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» أبواب صفة القيامة باب قي القيامة، رقم: (٢٤١٦)، (٢٤١٧)، (٦١٢/٤)، واللفظ له، وقال: «هذا حديث غريب» من حديث ابن مسعود، والدارمي، في «سننه» باب من كره الشهرة والمعرفة، رقم: (٥٥٤)، (٤٥٢/١) كلاهما من حديث أبي بَزْرَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن أبي شيبة، في «مصنفه» كتاب الزهد، رقم: (٣٤٦٩٤)، (١٢٥/٧) من حديث معاذ.



وبعد، فهذه علاقة الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد التي تعم خلق الإنسان والأكوان بمواجهة ومعالجة الإلحاد، وتلك دلالاتها الوافية ببيان براهين الإيمان الصحيح لكافة أبنائنا وبناتنا من شباب الأمة، وخاصة من انحرف فكرهم بالإلحاد في حياتنا المعاصرة.

كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الأفعال الدالة الخلق والإيجاد تشير إلى النشاطين الأولي والأخرى، كما تبقى أفعال للخلق والإيجاد تختص بالأكوان، وأفعال أخرى تختص بخلق الإنسان، وأسأل الله أن يعين على التمام.





الخاتمة

يمكن الوقوف على بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي:

(١) عموم الدلالة على خلق الأكوان والإنسان؛ لأن معظم أفعال الخلق والإيجاد تدل على ذلك العموم؛ لنعرف أن فعل الخلق معجزة مستقلة أيًا كان المخلوق عاقلًا، أو غير عاقل، سواء أكان ناميًا بالتغذية، أو غير نامٍ بها كالجماد.

(٢) ظهرت دلالة أفعال الخلق والإيجاد على إظهار المنن الربانية على سائر خلقه حتى ينظروا فيما قدر لهم من مننٍ ونعمٍ تقصر قواهم عن تحقيقها لأنفسهم؛ فسبحان من أولاهها وأسداها لآدم وذريته من غير طلب.

(٣) في دلالة أفعال الخلق والإيجاد الرد المفحم على الملحد المنكر للبعث بعد الموت، وهي شبهة ظهرت قديمًا بين الناس، ولا يزال صداها يتردد في الفكر الإنساني.

(٤) انصبت دلالات أكثر أفعال الخلق والإيجاد على إثبات العقائد، ومن أظهرها عقيدة البعث والمعاد.

ويوصي الباحث عموم الباحثين بالاعتناء بدراسة المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة على أفعال الخلق والإيجاد في القرآن الكريم بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه على أن يبحثوها سواء من حيث اللغة، أو التفسير، أو العلم الطبيعي.

وبعد، فإنه لن يوفِّي أحدُ القرآن حقه من التدبر لمعانيه، واستخراج دلالاته



واستثمار إشاراتِهِ، لكنه جهد المقل، وليس من ضعف الإنسان مفرُّ؛ إذ خلقه الله -تعالى- ضعيفًا، فاللهم اجبر كسرنا، وقوِّ في رضاك ضعفنا، وخُذ بنواصينا إليك أخذَ الكرام لديك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا آمين.

كتبه الفقير إلى عفوريته ومغفرته/

الأمير محفوظ محمد أبو عيشة





بُتُّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

أولاً: القرآن الكريم كتاب الله المجيد.

ثانياً: كتب السنة المطهرة.

ثالثاً: كتب التفسير والقراءات:

- ١- «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر»، الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ٣، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
- ٢- «الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية»، محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).
- ٣- «إرشاد العقل السليم»، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: ٩٨٢هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د: ط. ت).
- ٤- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، البيضاوي، ناصر الدين (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة (١٤١٨هـ).
- ٥- «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» القاضي، عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).
- ٦- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة (١٩٨٤م).



- ٧- «تفسير الخواطر» الشعراوي، محمد متولى، (ت: ١٤١٨هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة (١٩٩٧م).
- ٨- «التفسير الكبير»، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي أبو عبد الله فخر الدين خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، سنة (١٤٢٠).
- ٩- «تفسير القرآن العظيم»، أبو الفداء ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة (١٤١٩هـ).
- ١٠- «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة سنة (١٩٦٤).
- ١١- «جامع البيان عن تأويل القرآن»، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة (٢٠٠٠م).
- ١٢- «السراج المنير في كلام ربنا الحكيم الخبير»، الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (ت: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة، (١٢٨٥هـ).
- ١٣- «العُدْب النَّمِير من مجالس الشَّنْقِيطِي فِي التَّفْسِير» الشنقيطي، محمد، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الطبعة: الثانية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، سنة (١٤٢٦هـ).
- ١٤- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، الطبعة: الأولى،



الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، سنة (١٩٩٨م).

١٥- «مدخل في علوم القراءات»، الطويل، السيد رزق الطويل، دكتور (ت: ١٤١٩هـ)، الطبعة:

الأولى، الناشر: المكتبة الفيصلية، سنة (١٩٨٥م).

١٦- «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:

٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم والدار

الشامية، دمشق بيروت، سنة (١٤١٢هـ).

رابعاً: كتب اللغة العربية:

١٧- «تهذيب اللغة»، الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)

تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،

سنة (٢٠٠١م).

١٨- «الصحاح تاج اللغة»، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق:

أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت لبنان، سنة

(١٩٨٧).

١٩- «العين» الخليل الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي

البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار

الهلال، القاهرة، (د: ط. ت).

٢٠- «الفروق اللغوية»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، تحقيق:

محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د: ط. ت).

٢١- «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم

العرقشوسي، الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

- لبنان، سنة (٢٠٠٥م).

٢٢- «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى



الحسيني القريمي الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (د: ط.ت).

٢٣- «لسان العرب» ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، طبع: دار صادر، بيروت، سنة ١٤١٤هـ).

٢٤- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، سنة (١٩٧٩م).

خامساً: كتب أخرى:

٢٥- «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» الجويني، إمام الحرمين، تحقيق: د. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، سنة (٢٠٠٩).

٢٦- «الإصابة في تمييز الصحابة»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة (١٤١٥هـ).

٢٧- «أصول الدين» الغزنوي، أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي، تحقيق: د. عمر وفاق الداعوق، الطبعة: الأولى، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة (١٩٩٨).

٢٨- «الأعلام» الزركلي، خير الدين، طبعة رقم: (١٥)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة (٢٠٠٢).

٢٩- «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).



٣٠- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق بيروت، سنة (١٩٩٣).

٣١- «شرح الصاوي على جوهرة التوحيد» الصاوي، أحمد محمد المالكي الصاوي (ت: ١٢٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، سنة (١٩٩٩).

٣٢- «شرح صحيح مسلم»، الإمام النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ) الطبعة: الثانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة (١٣٩٢هـ).

٣٣- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، (د: ط. ت).

٣٤- «طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم» ابن السَّلَّار، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا بيروت، سنة (١٤٢٣هـ).

٣٥- «عقيدة المسلم» الغزالي، محمد، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الدعوة، مصر، سنة (١٩٩٠).

٣٦- «غاية النهاية في طبقات القراء» ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره المستشرق الألماني برجستراسر، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة ابن تيمية، سنة (١٣٥١هـ).

٣٧- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة، بيروت سنة (١٣٧٩هـ) (د: ط).

٣٨- «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» الإمام الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).



٣٩- «معجم المؤلفين»، كحالة، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى-بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د: ط. ت).

سادساً: البحوث والمجلات:

- ٤٠- بحث «أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها» أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، منشور في «مجلة تدبر» التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة، عدد رجب (١٤٤٠هـ) مارس (٢٠١٩).
- ٤١- بحث «علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة»، أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، المجلة العلمية لكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، بالقاهرة، العدد (٢٨)، سنة (٢٠١٥/٢٠١٦).

(والله ولي التوفيق)





References and Sources

First: The Holy Quran

Second: The Sunna Books

Third: Interpretation of the Holy Quran References

1. (*Al-Irshdat Al-Jaliah fi Al-Qiraat Al-Sabei m'n Tariq Alshatibiyah*) Mu-haisen, Muhammed Mohammed Mohammed Salem Muhaisen, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, (2005).
2. (*Guiding Sound Mind*), Abu Al-Saud Al-Emadi, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa, (Died.: 982 AH) Edition: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, Leb- anon, (without publishing date).
3. (*Anwaru Tanzil wa Asraru Tawail*), Al-Baydawi, Nasser Al-Din (Died.: 685 AH), Investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1418 AH).
4. (*Al-Bodor Al-Zahirah fi Al-Qiraat Al-Ashr Al-Motawatirah*) Alqadi, Abdul- fattah Alqadi, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, year (2005).
5. (*Al-Tahrir wat Tanwir*), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, (Died: 1393 AH), Edition: First, Publisher: Tunisian Publishing House, (1984 AD).
6. (*Tafsir Al-Khawatir*), Al-Shaarawy, Mohammed Metwally, (Died: 1418 AH), Edition: First, Publisher: Akhbar Al-Youm Press, (1997 AD).
7. (*Al-Tafseer Al-Kabeer*), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi Abu Abdullah Fakhr Al-Din Khatib Al-Reyy (Died.: 606 AH), Edition: Third, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, (1420 AH).
8. (*Tafseer Al-Quran Alazeem*), Abo Alfidaa Ibn Katheer, Ismail bin Omar bin Katheer Alqurashi Albasri Aldemashqi (Died: 774 AH);, investigated by: uham-



mad Hussein Shams Al-Din, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Elmiyah - Beirut, (1419 AH).

9. (*Aljamei li Ahkam Al-Quran*), Alqurtobi, Mohammed bin Ahmed ibn Abi Bakr ibn Farah Al-Ansari Alkhazraji, (Died: 671 Ah), Investigated by: Ahmed Al-Baradouni, and Ibrahim Atfish, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo (1964).
10. (*Jamiu al-Bayan A'n Taweel El-Quran*), Al-Tabari, Mohammed bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb, (Died: 310 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, Edition: First, Publisher: Al-Risala Foundation, (2000 AD).
11. (*Asserajul Munir fi Kalam Rabbina Al-Hamimul Khabir*), Al-Sherbini, Shamsu Ddin Mohammed bin Ahmed Al-Khatib Al-Sharbeni Al-Shafei, (Died: 977 AH) Publisher: Bulaq Al-Amiriyah Press, Cairo, (1285 AH).
12. (*Al-Azbul Namir m'n Majalis Al-Shanqeeti fi Tafsir*) Al-Shanqeeti, Mohammed, Investigated by: Khalid bin Othman Al-Sabt, Edition: Second, Publisher: Dar Alam Al-Fawa'id Publishing and Distribution, Makkah Al-Mukarramah, (1426 AH).
13. (*Madarik Attanzil wa Haqaiqu atawil*) Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud, (T.: 710 AH), Investigated by: Youssef Ali Badawi, Reviewed by: Mohieddin Deeb Misto, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, Beirut, (1998 AD).
14. (*Introductory to the Sciences of Recitations*), Al-Taweel, Al-Sayyid Rizk Al-Taweel, Doctor (Died.: 1419 AH), Edition: First, Publisher: Al-Faisaliah Library, (1985 AD).
15. (*Al-Mofradat fi Ghrib Al-Qur'an*), Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Mohammed (Died.: 502 AH), Investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Edition: First, publisher: Dar Al-Qalam and Al-Dar Al-Shamiyah, Damascus Beirut, (1412 AH).

Fourth: Arabic Language References

16. (*Tahzebul Loghah*), Al-Harawi, Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari



- Al-Harawi, Abu Mansour (Died: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereib, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (2001 AD).
17. (*Al-Sehah Tajul Loghah*), Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, (died.: 393 AH), Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Fourth Edition, Publisher: Dar El Ilm Lil Malayin - Beirut, Lebanon, year (1987).
 18. (*Al-Ayn*), Abu Abdrrahman Al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr Al-Farahidi Al-Basri (died: 170 AH), Investigated by: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher: Dar Al-Hilal, Cairo, (without publishing date)
 19. (*Al-Forouq Al-Lughawiyah*), Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah (died about: 395 AH), Investigated by: Mohammed Ibrahim Selim, Dar Al-Ilm wa Al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, (without publishing date)
 20. (*Al-Qamous Al-Moheit*), Al-Fayrouzabadi, Mohammed Bin Yaqoub (Died: 817 AH), Investigated by: Mohammed Naim Al-Erqsusi, Edition: Eighth, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, (2005 AD).
 21. (*Al-kolliyyat; Lexicon of Lingual Idioms and Differences*), Abu Al-Baqa Al-Kafwi, Ayoub bin Musa Al-Hussaini Al-Quraimi Al-Hanafi (Died: 1094 AH), Investigated by: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masry, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (without publishing date)
 22. (*Lisan Al-Arab*), Ibn Manzur, Mohammed Ibn Makram Ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamalu Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifa'i Al-Ifriqi (died: 711 AH), edition: third, printed by: Dar Sader, Beirut, (1414 AH).
 23. (*Al-Nihayah fi Gharib Al-Hadith wal Athar*), Ibn Al-Atheer, Abu Al-Saadat Al-Mubarak Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Abdul Karim Al-Shaibani Al-Jazari Ibn Al-Atheer (T.: 606 AH) Investigated by: Taher Ahmad Al-Zawi, Mahmoud Mohammed Al-Tanahi, Edition: First, Publisher: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah - Beirut, year (1979 AD).

Fifth: Other Refences

24. (*Al-Irshad Ila Qawatei Al-Adellah fi Asoul Al-Etiqad*), Al-Juwayni, Imam of



the Two Holy Mosques, investigated by: Dr. Ahmed Abdel Rahim Al-Sayeh, and Tawfiq Ali Wahba, Edition: First, Publisher: Religious Culture Library, Cairo, (2009).

25. (*Al-Esabah fi Tameiz Al-Sahabah*), Al-Hafiz Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani Al-Shafi'i, Investigated by: Adel Ahmed Abdel-Mawgod and Ali Mohammed Moawad, Edition: First, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, year (1415 AH).
26. (*Usoul Al-Din*) Al-Ghaznawi, Ahmed bin Mohammed Al-Ghaznawi Al-Hanafi, investigated by: Dr. Omar Wafiq Daouk, first edition, publisher: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beirut, in the year 1998.
27. (*Al-Alam*) Al-Zarkali, Khair Al-Din, Edition No.: (15), Publisher: Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Lebanon, year (2002).
28. (*Siyar Alaamu Noblaa*), Imam Al-Zahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Investigated by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Arnaout, Edition: Third, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (1405 AH/ 1985 AD).
29. (*Shazarat Alzahab fi Akhbar m'an Zahab*), Ibn Al-Imad, Abd Al-Hai bin Ahmed bin Mohammed Ibn Al-Imad Al-Akri Al-Hanbali, Abu Al-Falah (died: 1089 AH), Investigated by: Mahmoud Arnaout, publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus Beirut, (1993).
30. (*Sharhu Assawi ala Jawhaatu Attawhid*) Al-Sawy, Ahmed Mohammed Al-Maliki Al-Sawy (Died: 1241 AH), Investigated by: Dr. Abdel Fattah Al-Bazam, Edition: Second, Publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus, Beirut, (1999).
31. (*Sharhu Sahih Muslim*), Imam Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf (T.: 676 AH) Edition: Second, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1392 AH).
32. (*Addaw Allamei Liahl Al-Qarnu Atasei*), Al-Sakhawi, Mohammed bin Abdurrhman bin Mohammed bin Abi Bakr bin Othman bin Mohammed (died: 902 AH), Publisher: Al-Hayat Library Publications - Beirut, (without publishing date.).



33. (*Tabaqat Al-Quraa Al-Sabaa wa Zikru Manaqihim wa Qiaatihim*), Ibn al-Sallar, Abd al-Wahhab ibn Yusuf ibn Ibrahim, Ibn al-Sallar al-Shafei (died: 782 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Azzouz, Edition: First, publisher: Al-Maktabah Al-Asriyag – Saida, Beirut, (1423 AH).
34. (*Muslim's Creed*) Al-Ghazali, Mohammed, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Da`wah, Egypt, in the year (1990).
35. (*Ghayau Al-Nihayah fi Tabaqat Al-Quraa*) Ibn al-Jazari, Shams al-Din Mohammed ibn Mohammed ibn Yusuf ibn al-Jazari, (Died: 833 AH), published by the German orientalist Bergstrasser, Edition: First, Publisher: Ibn Taymiyyah Library, year (1351 AH).
36. (*Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari*), al-Hafiz Ibn Hajar, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar al-Asqalani al-Shafi'i, publisher: Dar al-Maarifa, Beirut (1379 AH) (without publishing date).
37. (*Maifatu al-Quraa Al-Kibar al Altabaqat wa Al-Aasar*) Imam Al-Dhahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Edition: First, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1417 AH / 1997 AD).
38. (*Glossary of Authors*), Kahala, Omar Reda Kahala, Publisher: Al-Muthanna Library - Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut (without publishing date).

Sixth: Researches and Journals

39. (*Verbs of Creation and Existing in the Holy Quran and their Implications*) research, Abo Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, published in (Tadabor Journal), affiliated to Saudi Ministry of Information, Issue Six, Third Year, Rajab Issue (1440 AH) March (2019).
40. (*The Relationship Between Heavenly Books and Science and scholars position of such Relationship and its Implications*) Research, Abu Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, the scientific journal, College of Islamic Call, Al-Azhar University, Cairo, No. (28), (2015/2016).





فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

- المستخلص ٢٣٧
- المقدمة ٢٤٠
- المبحث الأول: معاني أفعال القرآن الدالّة على الخلق ودلالاتها ٢٤٩
- المطلب الأول: معاني الفعل (بثّ) ودلالته ٢٤٩
- ◆ أولاً: معاني الفعل (بثّ) في اللغة ٢٤٩
- ◆ ثانياً: دلالات الفعل (بثّ) ٢٥٠
- المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالته ٢٥٦
- ◆ أولاً: معاني الفعل (أحيا) في اللغة ٢٥٦
- ◆ ثانياً: دلالات الفعل (أحيى) ٢٥٧
- المطلب الثالث: معاني الفعل (أنبت) ودلالته ٢٧٠
- ◆ أولاً: معاني الفعل (أنبت) في اللغة ٢٧٠
- ◆ ثانياً: دلالات الفعل (أنبت) ٢٧١
- المطلب الرابع: معاني الفعل (أخرج) ودلالته ٢٨١
- ◆ أولاً: معاني الفعل (أخرج) في اللغة ٢٨١



- ◆ ثانيًا: دلالات الفعل (أخرج) ٢٨٢
- المطلب الخامس: معاني الفعل (جعل) ودلالته ٢٩٣
- ◆ أولاً: معاني الفعل (جعل) في اللغة ٢٩٣
- ◆ ثانيًا: دلالات الفعل (جعل) ٢٩٥
- المطلب السادس: معاني الفعل (نشر) ودلالته ٢٩٩
- ◆ أولاً: معاني الفعل (نشر) في اللغة ٢٩٩
- ◆ ثانيًا: دلالات الفعل (نشر) ٣٠٠
- المبحث الثاني: مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد ٣١٣
- المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد ٣١٣
- المطلب الثاني: علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد ٣١٦
- الخاتمة ٣٢٠
- ثبت المصادر والمراجع ٣٢٢
- رومنة المصادر والمراجع ٣٢٨
- فهرس الموضوعات ٣٣٣

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.



بِحُلَّةِ تَلْكَ بِرِّ

.....

الفُرُوقُ الحَرَكِيَّةُ فِيمَا اتَّخَذَتْ حُرُوفُهَا مِنَ القَرَاءَاتِ الفَرَشِيَّةِ
وَأَثَرُهَا فِي المَعْنَى وَالتَّدْبِيرِ
«دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ»



مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ بَغَامٍ

طالب بمرحلة الدكتوراة بقسم القرآن الكريم وعلومه
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٧/١١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٨/١٧

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- ◆ حصل على درجة الماجستير من قسم القراءات، كلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف عام ١٤٣٩ هـ بأطروحته: «الدرّ المنثور في النهج المنشور في قراءات الأئمة العشرة للإمام محمد بن أحمد العوفي (ت بعد ١٠٥٤ هـ) - من بداءة الكتاب إلى نهاية باب المدّ والقصر (دراسةً وتحقيقاً)».
- ◆ سجّل موضوع رسالة الدكتوراة بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم عام ١٤٤١ هـ بعنوان: «توجيه القراءات الفرشية المتواترة بلغات العرب وأثره في المعنى (جمعاً ودراسة)».

النتاج العلمي:

- ١- «الارتياق في توجيه المتشابه اللفظي بالسياق في كتب توجيه المتشابه اللفظي».
- ٢- «منهج المنتجب الهمداني في توجيه القراءات في كتابه: (الدرّة الفريدة في شرح القصيدة)».
- ٣- «الاحتجاج للقراءات الفرشية المتواترة بالفاصلة القرآنية في كتب توجيه القراءات».
- ٤- «الاحتجاج للقراءات الفرشية المتواترة بالقراءات الشاذة في كتاب: (الدرّة الفريدة في شرح القصيدة) للمنتجب الهمداني».
- ٥- «الاحتجاج للقراءات الفرشية المتواترة برسم المصحف في كتاب: (الشافى في علل القراءات) لابن القَرَاب».
- ٦- «الاحتجاج للمختلّف فيه من القراءات الفرشية المتواترة بالمجمّع عليه منها في كتاب: (الشفاء في علل القراءات) لأبي الفضل البخاري».
- ٧- «التعقبات على حاشية ابن المنير على الكشّاف للزمخشري الموسومة بـ (الانتصاف من الكشّاف)».

البريد الشبكي: m.paigham@gmail.com



المستخلص

يتعلّق البحث بالقراءات الفرشيّة التي اتّحدت حروفها واختلفت حركاتها، وأثر هذا الاختلاف في معنى القراءات، وتدبرها، ودلالاتها؛ لِمَا للحركة في بناء الكلمة من أهمية في تحديد المعنى، والإسفار عن دلالتها، والحركة المقصودة في البحث ليست هي حركة الإعراب، بل إنها الحركة الثابتة في أصل الكلمة، والتي تعتبر الرمز الصوتي للكلمة، التي لو تغيّرت؛ تغيرت قيمة الكلمة، واختلف معناها، واختلفت دلالتها، ورمزها الصوتي، وجرسها التعبيري.

وعليه.. جاء هذا البحث منتهجاً المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على الدراسة التطبيقية؛ ليحاول إبراز الجانب التدبري للقراءات القرآنية من خلال بيان أهمية الحركة للقراءة التي اتّحدت حروفها، واختلفت حركاتها؛ ليتجلى بذلك أثرها في اختلاف المعنى، واختلاف الدلالة، وغير ذلك من الاختلافات التي تلحقها، وأنّ العناية بدلالات ألفاظ القراءات من حروف وحركات من أصول تدبر القراءات، وأنّه لا إدراك لإعجاز القرآن عامة والقراءات خاصة دون إتقان اللسان العربي المبين الذي نزل به، وأنّ القراءات وعاء ومستودع لكثير من لغات العرب، وأنّ العناية بكتب علل القراءات من الأصول العملية المُفضية إلى تدبر القراءات، وأنّ النظر إلى ما وراء الألفاظ والحروف والحركات من المعاني والعبّر والمقاصد هو الذي يثمر العلوم النافعة، والأعمال الزاكية، وهو المقصد الأعظم من تنزيل القرآن العظيم.

الكلمات المفتاحية: القراءة الفرشيّة - الحركة - اتحاد المعنى - اختلاف

المعنى - تدبر القراءات.



marks is crucial for understanding these readings. It is not possible to comprehend the miracles of the Quran in general and the readings in particular without mastering Arabic language. Readings) are repositories for many Arab dialects. Giving attention to the references dealing with the rationale behind readings is one of the practical principles of reflecting on them. Focusing on meanings, lessons and purposes underlain by words, letters and diacritical marks results in useful sciences and significant accomplishments, which constitutes the major purpose of revealing the Holy Quran.

Keywords:

Farshi readings- diacritical marks- - the same meaning different meaning - reflecting on readings.





Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study

Prepared by

Mohammad bin Abdul-Kareem bin Paigham

A PhD student at the Holy Quran and its Sciences Department,
College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University

Abstract

This paper is about the Farshi readings with identical letters and different diacritical marks and the effect of this variation on the meanings and reflection of these readings. This is due to the fact that a diacritical mark is essential for determining the meanings and semantics of words. The diacritical marks we mean are not the inflectional ones; rather they are the fixed marks of root words, which represent the phonetic symbols of words which if are changed, the values of words, their meaning, semantics, phonetic symbols and expressive sounds will differ as well.

Accordingly, this paper followed an inductive analytical method based on an applied study to highlight the reflective aspect of the Quranic readings by showing the importance of the diacritical marks of readings with identical letters but different diacritical marks in order to demonstrate the effect of the diacritical marks on meaning and semantics in addition to other variations. Paying attention to the semantics of reading words in terms of their letters and diacritical



المُقَدِّمَةُ

حمداً لله مستحقَّ الحمد، والصلاة والسلام على نبيِّه وآله من بعد .. وبعدُ:
فإنَّ شرف كلِّ علم بما يتَّصل به من مباحث ومسائل؛ لهذا كانت علوم القرآن الكريم أشرف العلوم، وأرفعها منزلةً، وأعلاها قدرًا، وأجلَّها شأنًا؛ لصلتها بأعظم كتاب أنزل، على أعظم نبيٍّ أرسل ﷺ، وأهلها هم خير النَّاسِ، وأشرف الخلق؛ لصلتهم الوثيقة به.

ولا شكَّ أنَّ علم القراءات وتوجيهها من أكثر العلوم تعلقًا بالقرآن؛ والأمر يشرفُ بما به يتعلَّق، ومن هنا فقد اهتمَّ بها العلماء، فصنَّفوا فيها وأبدعوا، وألَّفوا فأجادوا؛ إذ بالقراءات تُحفظ ألفاظ الحروف ومبانيها، وبالتوجيه تُعرف وجوه الكلمات ومعانيها.

وإنَّ المتأمل في القراءات القرآنيَّة ليجد فيها أوجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وأنَّ في تنوعها براهينَ وأدلةً على أنَّ القرآنَ كلامُ الله العزيز؛ حيث إنَّها مع كثرتها لا تضادَّ فيها ولا تناقض، بل يصدِّق بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعض، مع اتفاق فيما بينها على علوِّ الأسلوب، وغاية السموِّ في التعليم والهداية؛ وذلك يفيد تعدد أوجه الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومن أوجه إعجاز القراءات: اختلاف القراءات لاختلاف المعاني، واتحادها لاتحاد معانيها، واختلافها واتحاد معانيها؛ فالقرآن يُعجِّزُ بهذه القراءة، وبتلك القراءة؛ لتتعدَّد أوجه الإعجاز بتعدُّد تلك الوجوه والحروف والمعاني.



ولأجل هذا وذاك.. فإنِّي أرجو أن أكون قد أحسنتُ في اختيار البحث الذي وسمته بـ: (الفروق الحركية فيما أتحدتُ حروفها من القراءات الفرشية وأثرها في المعنى والتدبر - دراسة تطبيقية)، وآمل -أيضاً- أن أكون عند حسن الظن، وأن أوفيه حقّه، وما توفيقى إلا بالله، وهو وحده المستعان، وعليه التكلان.

◆ موضوع البحث:

جاء هذا البحث مهتمّاً بالقراءات الفرشية التي أتحدتُ حروفها واختلفتُ حركاتها، وأثر هذا الاختلاف في معنى القراءات، ودلالاتها، وتدبرها، وما يثمره من علوم نافعة، وأعمال زاكية، وتوجيهات تربوية، ولطائف بيانية.

◆ أهمية البحث، وأسباب اختياره:

(١) اتّصال البحث بعلمين من أشرف العلوم، وهما: علم القراءات، وعلم العربية، وهما علمان مهمّان متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ فازدان بهما رُواءً وجمالاً، وازداد رفعةً وكمالاً.

(٢) اهتمام البحث بتوجيه القراءات الذي به تُفسّر الآيات، وتُعرف وجوه الألفاظ ومعانيها، ويكشف غامضها وما أُبهم منها.

(٣) عناية البحث بتدبر القراءات الذي هو من أعظم أسباب صلاح القلب وتزكية النفس؛ لما يحويه من فوائد إيمانية، وتوجيهات تربوية، ولطائف ربانية تفضي به إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهو من ثمار توجيه القراءات.

(٤) إظهار البحث لإعجاز القراءات؛ حيث إن الاختلاف في القراءات على كثرتها لا تضادّ فيها ولا تناقض، بل يصدق بعضها بعضاً؛ وذلك يفيد تعدد أوجه الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.



٥) كثرة ووفرة القراءات التي اتحدت حروفها واختلفت حركاتها، وهذا يشكل ظاهرة لا يمكن إغفالها وتجاوزها دون أن يلمَّ شملها وتبرز، وتدرس وتُشهر.

٦) قلة الدراسات التي اهتمت بتدبر القراءات الذي هو من تدبر القرآن العظيم.

◆ أهداف البحث:

١) استقراء القراءات الفرشية التي اتحدت حروفها واختلفت حركاتها؛ إجلالاً لأنواعها، وبياناً لأقسامها.

٢) دراسة مواضع من تلك القراءات؛ إظهاراً لأهمية الحركة في بناء اللفظ القرآني من تحديد المعنى، والإسفار عن دلالاته، ودقة وعمق تعبيراته.

٣) إبراز الجانب التدبري للقراءات، والنظر إلى ما وراء الألفاظ والحروف والحركات من المعاني والعبء والمقاصد والتوجيهات؛ لأنَّ العناية بألفاظ القراءات القرآنية وتحقيقها وترقيقها وإمالتها وغير ذلك مهمة، غير أنَّ الأولى أن تجتمع العناية بتلك الألفاظ وكيفية أدائها مع العناية بفهم كلام الله وتدبره.

٤) تسليط الضوء على هذا النوع المستظرف من البحوث، وضمُّها إلى قوائم الدراسات القرآنية التدبرية.

◆ حدود البحث:

حددت موضوع بحثي هذا بدراسة اثني عشر مثلاً للقراءات الفرشية المتواترة والشاذة مما اتحدت حروفها واختلفت حركاتها؛ ليظهر أثر هذا الاختلاف في معناها، ودلالاتها، وتدبرها، وخرج بذلك: أصول القراءات، والقراءات التي لم



تتحدّ حروفها، والفروق الإعرابية في القراءات الفرشيّة^(١).

الدراسات السابقة:

بعد أن راسلتُ عددًا من المراكز المتخصصة في الأبحاث العلمية وكنْتُ منها في إفادة، وبحثتُ عبر الشبكة العنكبوتية وقواعد البيانات والمعلومات والمراسد والمكانز العلمية وكنْتُ معها في زيادة، وسألتُ بعض الباحثين في القرآن والقراءات وكنْتُ معهم في وفادة؛ تبين لي أنّ البحث لم يُفردْ على سبيل الانفراد والاستقلال وكنْتُ بدا في أنمّ سعادة، غير أنّي وقفتُ على بحث لطيف مما قد يُظنُّ أنّ له علاقة بموضوع بحثي موسوم بـ(القراءات من قبيل اللغات بين اتحاد المعنى أو اختلافه - دراسة تطبيقية مقارنة) للأستاذ الدكتور عبدالله بن حماد القرشي^(٢)، غير أنّ بحثي يختلف عن بحثه في: عنوانه، وموضوعه، وحدوده، وإجراءاته^(٣).

ثم إنني أحبُّ قبل ختام الدراسات السابقة أن أفردَ -استقلالًا- بالذكر بحثَ الدكتور شبيل أبو الغيث إبراهيم الحكمي الموسوم بـ(الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتحدتْ حروفها واختلفتْ حركاتها لاختلاف معناه)^(٤)؛ إذ إنني استلهمتُ فكرة بحثي منه عملاً بتوصيته في بحثه حين قال: «وبدأتُ أتتبع مادته في القرآن العظيم، ورأيتُ أنّه ينقسم إلى قسمين: قسم موجود في موضعين مختلفي

(١) اعتبرتُ الحرفَ المشدّدَ حرفين على مذهب متقدمي أهل اللغة كالأخفش (٢١٥هـ): يُنظر: تداخل

الأصوات العربية وأثره في بناء المعجم للدكتور عبدالرزاق الصاعدي: (١/١٧٨).

(٢) منشور كبحث علمي محكّم في مجلة كلية التربية بجامعة طنطا بالجزء الثاني من العدد الرابع في عام

٢٠١٥م.

(٣) يُراجع: مقدمة البحث: (ص: ٣ - ٥).

(٤) مطبوع بنادي المدينة المنورة الأدبي في مجلد واحد في عام ١٤٤٠هـ.



الحركات، وقسم يدل عليه اختلاف القراءات، أي: في قراءة بحركة، وفي أخرى غيرها... ورأيتُ أن الثاني - وهو ما ورد في موضع واحد إلا أنه بقراءتين مختلفتي الحركات - أكثر عددًا، ويستحق أن يكون رسالة علمية مستقلة حافلة^(١)، ولم أشأ أن أوثر بنصبي من هذا البحث أحدًا؛ فكانتُ قطرة سماء، وومضة سناء، ووردة بستان، ونبضة جنان، وبضاعتي تُردُّ إليه؛ فأحسن الله به وإليه، إلا أن الاختلافَ بينهما في أن بحثه يتعلق باختلاف حركات اللفظ القرآني الذي اتحدت حروفه في موضعين من رواية حفص عن عاصم، وبيان أثره في المعنى، وأما بحثي فهو متعلق باختلاف حركات القراءات الفرشية المتواترة والشاذة مما اتحدت حروفها في موضع واحد، وبيان أثره في معنى القراءات، ودلالاتها، وتدبرها.

◆ منهج البحث:

يعتمد البحث على منهجين:

- ١) المنهج الاستقرائي لمواضع القراءات الفرشية المتواترة والشاذة مما اتحدت حروفها واختلفت حركاتها؛ لتتجلى بذلك أنواعها وأقسامها كما هي مبيّنة في فصول هذا البحث.
- ٢) المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال دراسة بعض تلك المواضع دراسة تحليلية؛ ليظهر بذلك أثر اختلاف حركاتها مع اتحاد حروفها في المعنى، والدلالة، والتدبر.

(١) الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتحدت حروفه واختلفت حركاته لاختلاف معناه للدكتور شبيل أبو الغيث إبراهيم حسن الحكمي: (ص: ١٤).



◆ إجراءات البحث:

أولاً: الإجراءات الخاصة:

التمهيد لكل فصل من فصول البحث بتوطئة تحوي تعريفاً به، وذكرًا لأنواعه وأقسامه، ثم أمثلة تطبيقية مراعيًا فيها ومتبعا الإجراءات الآتية:

(١) ذكر الآية القرآنية المشتملة على القراءة المراد دراستها، ثم ذكر اللفظ القرآني المختلف فيه.

(٢) ذكر القراءات المتواترة والشاذة^(١) الواردة في اللفظ القرآني المختلف فيه مع عزوها لأصحابها، وتوثيقها.

(٣) توجيه القراءات المذكورة مستعينا بكلام أهل التوجيه والتفسير واللغة في توجيهها، والكشف عن معانيها.

(٤) عند اتفاق أهل العلم على اتحاد معنى القراءات أو اختلاف معناها؛ فإنني أكتفي بتوجيهها، وأما عند اختلافهم في معناها بين اتحاده أو اختلافه؛ فإن كانت المعاني محتملة ومقاربة؛ حملتها على معنى كلي تدخل فيه المعاني جميعها، وإلا قَدِّمْتُ الأولى، ورجَّحته بالحجة والبرهان مع الاعتضاد بأقوال مَنْ وافقتهم في الترجيح والتقديم.

(٥) بيان أثر اختلاف الحركة في القراءات التي اتحدت حروفها في معناها، وتدبرها،

(١) إن وافقت القراءة الشاذة المتواترة بحروفها وحركاتها كما قرئت: ﴿الْقُدْسِ﴾ بإسكان الدال متواترة وشاذة؛ فإنني عندها أثبت كلتا القراءتين؛ وذلك لتعلق البحث بالقراءات المتواترة والشاذة، وحتى يتحد منهمج ذكر القراءات الواردة في اللفظ القرآني المختلف فيه.



وما يثمره من فوائد علمية، وتوجيهات تربوية، ولطائف تدبرية، ونكت لغوية.

ثانياً: الإجراءات العامة:

١) كتابة الآيات القرآنية، والقراءات المتواترة بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين هكذا: ﴿ ١ ﴾، والقراءات الشاذة بالرسم الإملائي بين قوسين مزهرين هكذا: ﴿ ٢ ﴾؛ تمييزاً لها، مع عزو الآيات، بإيراد اسم السورة ورقم الآية في المتن دون الحاشية.

٢) توثيق النصوص، والآثار، والأقوال، وذلك من المصادر الأصلية الأصيلة لكلِّ ممَّا سبق.

٣) التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث مكتفياً بذكر تاريخ وفياتهم دون التعرض لتراجمهم ما لم يكونوا من الصحابة والقراء العشرة ورواتهم لشهرتهم.

٤) كتابة البحث وفق قواعد الإملاء الحديثة، واستخدام علامات الترقيم الحديثة.

٥) ضبط ما يحتاج إلى ضبط مع مراعاة الإيجاز والاختصار في البحث بشكل عام.

◆ خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وثلاثة فصول رئيسية، وخاتمة، ثم فهرس، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة فيه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.



الفصل الأول: الفروق الحركية فيما أتحدت حروفها من القراءات الفرشيّة مع

اتحاد المعنى.

الفصل الثاني: الفروق الحركية فيما أتحدت حروفها من القراءات الفرشيّة مع

اختلاف المعنى.

الفصل الثالث: الفروق الحركية فيما أتحدت حروفها من القراءات الفرشيّة

مع اختلاف في المعنى.

الخاتمة: وتشتمل على: النتائج، والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأحمد الله سبحانه وأثنى عليه في الختام على تيسيره وإعانتته، وأستغفره من

كل تقصير، والشكر لكل من ساهم وأعان، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد،

وعلى آله وصحبه.





الفصل الأول:

الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها

من القراءات الفرشية مع اتحاد المعنى

هذا الفصل مختص بالقراءات الفرشية التي اتحدت حروفها، واختلفت حركاتها مع اتحاد المعنى؛ وليس ذلك إلا لأنها أوجهٌ ولغاتٌ يتعدّد بها نطق الكلمة الواحدة باختلاف حركاتها دونما تأثير على اتحاد المعنى بينها.

ويتجلّى في هذا النوع: التيسير، ورفع الحرج؛ لأنّ القرآن لو أنزل بلغة واحدة دون مراعاة الألسن ولغات العرب؛ لكان ذلك القصر عليها حائلاً بينهم وبين كثير من القرآن الذي لم تعدّ ألسنتهم على اللغة التي نزل بها.

قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ): «واعلم أنّ العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغةً غيره، فمنهم من يخفّ ويسرعُ قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته ألبتّة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووُجدت في كلامه»^(١).

ويتجلّى هذا في الأمثلة التالية:

❖ **المثال الأول:** قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿الْقُدُسِ﴾.

(١) «الخصائص» لابن جني: (١/ ٣٨٤).



القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ الإمام ابن كثير المكي بإسكان الدال: ﴿الْقُدْسِ﴾،
وقرأ الباقر بضمها: ﴿الْقُدْسِ﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت ١٢٣هـ) بإسكان الدال:
﴿الْقُدْسِ﴾^(٢).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿الْقُدْسِ﴾، ﴿الْقُدْسِ﴾.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

أولاً: توجيه قراءة من قرأ بضم الدال: ﴿الْقُدْسِ﴾: أن الضم على الأصل،
وهي: لغة أهل الحجاز^(٣).

وقد استشهد أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) على هذه القراءة بقول الشاعر:

لَا نَوْمَ حَتَّى تَهْبِطِي أَرْضَ الْقُدْسِ وَتَشْرَبِي مِنْ خَيْرِ مَاءٍ بِقُدْسٍ^(٤)

ثانياً: توجيه قراءة من قرأ بإسكان الدال: ﴿الْقُدْسِ﴾: أن الإسكان تخفيف من
الضم الذي هو الأصل، وللعرب لغتان فيما كان على وزن: (فُعَل): ضم وسطه

(١) يُنظر: «التيسير في القراءات السبع» للداني: (ص: ٧٤)، و«تجويد التيسير في القراءات العشر» لابن الجزري: (ص: ٢٩١).

(٢) يُنظر: «المبهبج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي» لسبط الخياط: (ص: ٣٤٦)، و«المعني في القراءات» للنوزاوازي: (١/ ٤٤٠).

(٣) يُنظر: «معاني القراءات» للأزهري: (١/ ١٦٤)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي: (١/ ٤٩٧).

(٤) «معاني القراءات»: (١/ ١٦٤)، ولم أقف على قائله.



على الأصل، وإسكانه للتخفيف؛ استثناءً لتوالي الضميتين، كما يُقال: الرَّعْبُ والرُّعْبُ، ونحوهما، والإسكان: لغة أهل نجد^(١).

قيل: إِنَّمَا خُفِّفَ: ﴿الْقُدْسِ﴾ لمجاورته: ﴿بِرُوحٍ﴾؛ لَأَنَّهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، وَأَوْسَطُهُ سَاكِنٌ، فَسَكَّنَ الدَّالَ مِنْ: ﴿الْقُدْسِ﴾؛ لِيَكُونَ جَمِيعًا عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ^(٢).

وقيل: خَفَّفَهُ لِمَعْنَاهُ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: (الطُّهْرُ)؛ فَرَامَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُطَابِقًا لِمَعْنَاهُ^(٣).

وقيل: إِنَّمَا خَفَّفَهُ لِأَنَّهَا كَالِاسْمِينَ جُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مَعَ صَاحِبِهِ، فَصَارَا كَالِاسْمِ الْوَاحِدِ، فَخَفَّفَهُ لَطَوْلِ الْاسْمِ^(٤).

قال الفارسي (ت ٣٧٧هـ): «و﴿الْقُدْسِ﴾، و﴿الْقُدْسِ﴾: التَّخْفِيفُ وَالتَّثْقِيلُ فِيهِ حَسَنَانٌ»^(٥).

والقُدس: الطُّهْرُ، وَالتَّقْدِيسُ: التَّطْهِيرُ، وَالْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ: الْمُطَهَّرُ، وَرُوحُ الْقُدْسِ: جَبْرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْتَرِفُ ذَنْبًا، وَلَا يَأْتِي مَأْتَمًا؛ فَلَأَجَلِهِ سَمِّيَ بِهِ، وَهُوَ الْأَصْحَحُ^(٦).

وقيل: الْقُدْسُ: هُوَ اللَّهُ كَالْقُدُوسِ ﷻ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِيْدَنْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾،

(١) يُنْظَرُ: «الْحِجَّةُ لِلْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ» لِلْفَارْسِيِّ: (٢/١٤٨)، وَ«الدَّرُ الْمَصُونُ»: (١/٤٩٧).

(٢) يُنْظَرُ: «الشَّافِي فِي عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ» لِابْنِ الْقِرَابِ: (١/٥٤٦)، وَ«الشِّفَاءُ فِي عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ» لِأَبِي الْفَضْلِ الْبَخَارِيِّ: (١/١٢٢).

(٣) يُنْظَرُ: «الْحِجَّةُ لِلْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ»: (٢/١٤٨)، وَ«الشَّافِي فِي عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ»: (١/٥٤٦).

(٤) يُنْظَرُ: «الشِّفَاءُ فِي عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ»: (١/١٢٢).

(٥) «الْحِجَّةُ لِلْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ»: (٢/١٥٠).

(٦) يُنْظَرُ: «مَقَابِيسُ اللَّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ: (٥/٦٣) (قُدْسٌ)، وَ«تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ»: (١/١٧٦)، وَ«الْبَحْرُ

الْمَحِيْطُ» لِأَبِي حَيَّانٍ: (١/٢٣٣).



أي: وأيد عيسى بنصرٍ منه، والقدس والقدوس واحد^(١)، وتعضده: قراءة من قرأ: ﴿وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُّوسِ﴾^(٢).

❧ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم ولهجاتهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، وليس ذلك إلا من إعجاز القرآن وقراءاته، ودراسة لغة العرب التي نزل بها القرآن من الأصول العلمية التي يُعتمد عليها في فهم كلام الله وتدبره.

(٢) للعرب لغتان فيما كان على وزن: (فَعْلُ): ضَمٌّ وسطه على الأصل، وإسكانه للتخفيف؛ استثقلاً لتوالي الضمّتين؛ لأنَّ حروف الكلمة كما أنَّها قد تتنافر؛ فكذاك حركاتها قد تتثاقل^(٣)، وعناية القارئ المتدبر بقواعد الفصاحة المستخرجة من القراءات القرآنية مما يؤول به ويفضي إلى التدبر.

(٣) الله ﷻ يؤيّد رسله وأوليائه بالملائكة الكرام، ومن جملة تسخير الملائكة للخلق أنهم يؤيّدون من أمرهم الله ﷻ بتأييده؛ تأمّله في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُّوسِ﴾^(٤).

(٤) في القراءتين دليل على مكانة جبريل ﷺ عند الله ﷻ، فهو سيد الملائكة، قال الله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]^(٥).

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (٢/ ٣٢٢)، و«تفسير ابن عطية»: (١/ ١٧٦)، و«البحر المحيط»: (١/ ٤٨١).

(٢) وهي قراءة أبي حيوة: يُنظر: «تفسير ابن عطية»: (١/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٣).

(٤) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة الفاتحة والبقرة»: (١/ ٢٨٦).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهداياات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة»: (ص: ٤٠).



٥) جبريل ﷺ هو الطاهر المطهر الذي لا يقترف ذنباً، ولا يأتي مأثماً، وهو أمين الوحي الذي لا حياة للقلوب إلا به، فكما أن الوحي موكل به طاهر مطهر؛ فمعاني القرآن لا تحيي إلا القلوب الطاهرة المطهرة، وهي قلوب المتقين، قال الله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

٦) علم أسماء الله الحسنی وصفاته العلی من أشرف علوم التوحيد والإيمان، وفي تأملها من الهدايات التي لا تنتهي، والأسرار التي لا تنقضي، مما تقصر العبارة عن ذكرها بالتفصيل، وتعجز الإشارة عن إحاطتها على وجه التكميل؛ تأمله على القول بأن: (القدس) اسم من أسماء الله ﷻ كالقدوس، وما يثمره هذا القول من إشارة لطيفة إلى طهارة مريم وعفتها في سياق قوله: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، والعناية بسياق القراءة، ودلالة ما قبلها وما بعدها عليها مما يعين في بيان التوجيه الصحيح لها، واستخراج الهدايات منها.

٧) الله ﷻ يؤيد بنصره من يشاء، وهو القوي العزيز، والحكيم الخبير؛ تأمله في قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٨) من جاور السعيد يسعد؛ تأمله في علة تخفيف قراءة: ﴿الْقُدُسِ﴾ بالإسكان مجاورة لقوله: ﴿بِرُوحٍ﴾؛ ليكونا جميعاً على لفظ واحد.

٩) الاحتجاج للقراءة بالشعر من أهم موارد الاحتجاج للقراءات؛ إذ إنه ثبت موافقتها للغة العرب ولو بوجه، وأنها ليست مما لم تستعملها العرب، كما احتج أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) بالشعر لقراءة ضم الدال: ﴿الْقُدُسِ﴾ كما بين؛ لأن جهل الإنسان بألفاظ وأساليب العرب في خطابهم وكلامهم مما هو منشور في شعرهم ونثرهم من موانع التدبر وعوائقه.



❖ المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ المدنيان والمكي والبصريان وابن عامر بفتح الفاء مخففة: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ ابن السَّمَّال^(٢) بكسر الفاء مخففة: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾^(٣).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾، ﴿وَكَفَّلَهَا﴾.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

أولاً: توجيه قراءة من قرأ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: أنها على الإخبار عن الغابر والماضي، وأنَّ الفعل فيها مسندٌ إلى زكريا ﷺ، من: كَفَّلَ يَكْفُلُ، ويعضدها: قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]^(٤).

ثانياً: توجيه قراءة من قرأ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: أنها لغة، من: كَفَّلَ يَكْفُلُ، وتعضدها: قراءة من قرأ^(٥): ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]^(٦).

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص: ٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٣٢١).

(٢) لم أقف له على تاريخ وفاة.

(٣) يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/ ٥٧٨)، و«شواذ القراءات» للكرماني: (ص: ١١١).

(٤) يُنظر: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه: (ص: ١٠٨)، و«الكتاب المختار» لابن إدريس: (١/ ١٤٨).

(٥) عن ابن المنادي عن نافع، والمُرِّي عن ابن كثير: يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص: ٥١٦)، و«المغني

في القراءات»: (١/ ٥٨٤).

(٦) يُنظر: «معاني القرآن» للأخفش: (١/ ٢١٥)، و«إعراب القراءات الشواذ» للعكبري: (١/ ٣١٣).



قال المتجرب الهمداني (ت ٦٤٣هـ): ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: يُقال: كَفَّلَ يَكْفُلُ - بفتح العين في الماضي، وضمَّها في الغابر - وعليها الجمهور، وَكَفَّلَ يَكْفُلُ - بكسر العين في الماضي، وفتحها في الغابر - وبها قرأ بعض القراء: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾^(١).

ومعنى الآية على القراءتين: أن زكريا عليه السلام ضمنها، وضمن القيام بأمرها وتربيتها^(٢).

والكاف والفاء واللام أصل صحيح يدلُّ على تضمن الشيء للشيء، ومنه: الكفيل، وهو: الضامن، ومنه أيضًا: الكافل، وهو: الذي يكفل إنسانًا يعوله^(٣).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات مصدر أصيل لكثير من لغاتهم، ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بعشر سور مثله، وهذا من إعجاز القرآن وقراءاته، والإعداد الروحي بإدراك عظمة المنزل للكتاب المعجز من الجوانب المهمة التي لا يستغني عنها القارئ المتدبر.

(٢) الفعل: (كفل) من الأفعال التي يجوز فيها فتح عينها وكسرها في الماضي، غير أنك لو فتحت عينها في الماضي؛ فإنك تضمُّها في المضارع، وأما لو كسرتها في الماضي؛ فإنك تفتحها في المضارع، نحو: حَبَطَ يَحْبُطُ، وَحَبِطَ يَحْبِطُ، وعناية القارئ المتدبر بقواعد الصرف المستنبطة من القراءات القرآنية مما يُستعان بها في توجيه القراءة المفضي به إلى التدبر والإسفار عن الدلالة.

(١) «الفريد في إعراب القرآن المجيد» للهمداني: (٤٣/٢).

(٢) يُنظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج: (٤٠٣/١)، و«معاني القراءات» للأزهري: (٢٥٢/١).

(٣) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (١٧٨/٥) (كفل)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده: (٣٧/٧) (كفل).



٣) في قراءتي: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾، ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: إشارة إلى أن زكريا ﷺ لم يكفلها إلا بأمر الله ﷻ بقريته القراءة المتواترة الأخرى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾^(١)، أي: وأكفلها الله زكريا وضمها إليه، وأن الله لم يكفلها زكريا إلا بدعاء أم مريم بقريته القراءة الشاذة الأخرى على الدعاء: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾^(٢).

٤) فيهما العناية الخاصة من الله لمريم، وفي ذلك إشارة لعظم شأنها، وأنها سيكون لها دور في الأسوة والإصلاح^(٣).

٥) فيهما إشارة إلى أهمية البيئة الصالحة لبناء الشخصية الصالحة^(٤).

٦) فيهما أن الله قد ييسر للعبد من يكفله من أهل الخير والصلاح؛ فيكون ذلك من أسباب فوزه وسعادته^(٥).

٧) فيهما إشارة إلى فضل زكريا ﷺ وكرمه وحسن خلقه وحبه للخير؛ حيث إنه كفل مريم واعتنى بها^(٦).

٨) بقدر صلاح المرثي يكتسب من يربيه من خلقه وصلاحه ودينه، وفي كفاية زكريا لمريم فضيلةً تزيد من فضائلها^(٧).

(١) وهي قراءة الكوفيين: يُنظر: «التيسير»: (ص: ٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٣٢١).

(٢) وهي قراءة مجاهد: يُنظر: «المعنى في القراءات»: (٢/ ٥٧٨)، و«شواذ القراءات»: (ص: ١١١).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٤).

(٤) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٥).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٥).

(٦) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٥).

(٧) يُنظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور: (٣/ ٢٣٥)، و«تفسير ابن عثيمين - سورة آل عمران»:

(١/ ٢٣١)، و«التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة آل عمران»: (ص: ١٧٦).



٩) الاحتجاج للقراءة بالنظائر القرآنية هو من الاحتجاج للقرآن بالقرآن، وخير ما يُحتجُّ به للقرآن هو القرآن نفسه؛ فقراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ احتجَّ لها بالنظائر القرآنية كما بيّن.

١٠) القراءات الشاذة مورد عذب من موارد الاحتجاج للقراءات؛ فقراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ احتجَّ لها بالقراءة الشاذة: ﴿يَكْفُلُ﴾ كما بيّن، وأيضاً هي من المصادر الأصلية لمعرفة لغات العرب، وأساليب خطابهم.

❖ **المثال الثالث:** قوله تعالى: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة وخلف بضم السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، والباقون بضمّهما: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ عبيد بن عمير (ت ٧٤هـ) بكسر السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، وقرأ شيبة بن نصّاح (ت ١٣٠هـ) بضمّ السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، وقرأ خارجة بن مصعب (ت ١٦٨هـ) عن نافع بفتح السين والحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، وقرأ زيد بن علي (٣٥٨هـ) بفتح السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾^(٢).

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص: ٩٩)، و«التحبير»: (ص: ٣٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري: (٢/٢١٦).

(٢) يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/٧١٥)، و«شواذ القراءات»: (ص: ١٥٤).



مجموع القراءات: خمس قراءات: ﴿لِلسُّحْتِ﴾، ﴿لِلسُّحْتِ﴾، ﴿لِلسُّحْتِ﴾، ﴿لِلسُّحْتِ﴾.

توجيه القراءات: وذلك على النحو التالي:

أولاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ بضمّتين: ﴿لِلسُّحْتِ﴾: أنّها اسم للشيء المسحوت، وأنّ الضمّ فيها على لغة أهل الحجاز (١).

ثانياً: توجيه قراءة مَنْ قرأ بضمّة ثمّ سكون: ﴿لِلسُّحْتِ﴾: أنّ الإسكان فيها للتخفيف؛ لأنّ الاسم إذا كان على ثلاثة أحرف، وكان أوله مضموماً، فمنهم مَنْ ثقل وسطه بالضم، ومنهم من خفّفه بالإسكان، كالعُسر والعُسر، واليُسْر واليُسْر، والحُلْم والحُلْم، والرُّعْب والرُّعْب، والإسكان لغة تميم (٢).

ثالثاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ بفتحتين: ﴿لِلسُّحْتِ﴾: أنّها لغة، وهي أيضاً اسم للشيء المسحوت (٣).

رابعاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ بفتحة ثمّ سكون: ﴿لِلسُّحْتِ﴾: أنّها لغة، والإسكان فيها طلباً للخفّة، وهي مخفّفة من قراءة الفتحتين (٤).

(١) يُنظر: «الحجة» للفارسي: (٤/٢٢١)، و«الكتاب المختار»: (١/٤٩٩)، و«الدر المصون»: (٤١٨/١).

(٢) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/٧٢٥)، و«تفسير البيضاوي»: (٣/٢٨٢)، و«تفسير ابن جزي»: (٤٤٦/١).

(٣) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/٧٢٥)، و«تفسير الرازي»: (١١/٣٦٠)، و«الدر المصون»: (٤١٨/١).

(٤) يُنظر: «إعراب القراءات الشواذ» للعكبري: (١/٤٣٨)، و«الدر المصون»: (٤١٨/١).



خامساً: توجيه قراءة من قرأ بكسرة ثم سكون: ﴿لِلَّيْحَتِ﴾: أنها لغة، والإسكان فيها أيضاً طلباً للخفة استثقلاً لتوالي المحركات (١).

قال العكبري (ت ٦١٦ هـ) عن القراءات المذكورة آنفاً: «وكل ذلك لغات» (٢).

ومعنى الآية على القراءات: أنه ذمهم على أكلهم الحرام وكل ما لا يحل كسبه؛ لأنهم كانوا يأخذون الرشوة والمال الحرام على الأحكام وتحليل الحرام (٣).

والسين والحاء والتاء أصل صحيح يدل على استئصال، ومنه: سحت الله الكافر بعذاب، إذا استأصله، وسُمِّي المال الحرام سُحتاً؛ لأنه يَسْحَت البركة منه، أي: يمحقها ويستأصلها، ولأنه يستأصل صاحبه بالهلاك (٤).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بسورة منه، ولن يستطيعوا، والإعداد الروحي بإدراك عظمة القرآن المجيد المنزل من الجوانب المهمة التي لا يستغني عنها القارئ المتدبر.

٢) يظهر من خلال القراءات وتوجيهها: رحمة الله بالأمة في تلقي القرآن

(١) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/٧٢٥)، و«تفسير الرازي»: (١١/٣٦٠)، و«الدر المصون»: (٤١٨/١).

(٢) «إعراب القراءات الشواذ»: (١/٤٣٩).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٠/٣٢٤)، و«معاني القراءات»: (١/٣٢٩)، و«الكشاف» للزمخشري: (١/٦٣٤).

(٤) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٣/١٤٣) (سحت)، و«المحكم والمحيط الأعظم»: (٣/١٧٩) (سحت).



وتلاوته؛ إذ روعي فيه اختلاف اللغات؛ ليسهل على الأمة حفظ القرآن ونقله، وما ورود قراءة إسكان الحاء في القراءات المذكورة إلا دليل وشاهد على ذلك؛ لأنَّ الحاء لم تسكن فيهنَّ إلا طلباً للخفة استثقلاً لتوالي المحركات.

(٣) كل قراءة مرجعها اختلاف اللغات؛ فمهما عَسُرَ أداؤها عند قوم، فليس لذلك أثر على فصاحتها^(١).

(٤) في القراءات دلالة على تحريم أكل الحرام، وأن الإكثار من ذلك من صفات اليهود^(٢).

(٥) فيها دعوة إلى العناية بأكل الحلال الطيب، والبعد عن الحرام الخبيث، والله ﷻ لم يذكر أكل اليهود للسحت والمال الحرام إلا لنحذره ونحذر من اتباعهم في ذلك^(٣).

(٦) السحت يشمل جميع المال الحرام، كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم والمغصوب^(٤).

(٧) في وصف المال الحرام بالسحت دلالة عميقة، وهي أن أصلها من: كَلَبِ الجوع، يُقال: فلان مسحوت المَعِدَّة، إذا كان أكولاً لا تجده أبداً إلا جائعاً، وإنما سُمِّيَ المال الحرام سُحْتًا؛ تشبيهاً بذلك، كأنَّ يأكله من الشَّرِّه إلى أخذ ما يُعطاه من

(١) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٥).

(٢) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة المائدة»: (ص: ١٠٥).

(٣) يُنظر: «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة المائدة»: (ص: ٢٣١).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٦/ ٢٠٢).



ذلك مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلى الطعام^(١)، وفهم معاني الألفاظ وفق دلالاتها في اللغة، ثم ضبط ذلك بمراعاة دلالاتها في السياق من مسالك العلماء في استخراج اللطائف التدبرية، والهدايات القرآنية.

٨) في القراءات مجاز مرسل، علاقته: السببية؛ لأن المال الحرام لم يُسَمَّ سحتاً إلا لأنه يسحت البركة ويمحقها، والاهتمام بالجانب البلاغي في القراءة مما يعين القارئ المتدبر على التدبر.

❖ **المثال الرابع:** قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَخُفْيَةً﴾.

القراءات الواردة فيه مما أتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ شعبة بكسر الخاء: ﴿وَخُفْيَةً﴾، والباقي بضمها: ﴿وَخُفْيَةً﴾^(٢).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ الأعمش (ت ١٤٨ هـ) بكسر الخاء: ﴿وَخُفْيَةً﴾^(٣).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿وَخُفْيَةً﴾، ﴿وَخُفْيَةً﴾.

توجيه القراءتين: أنهما لغتان فاشيتان بمعنى واحد، نحو: رُشوة ورِشوة،

وحُبوة وحِبوَّة، وهما ضدُّ الجهر، من: أخفيتُ الشيء، إذا سترته، والمعنى: إسرار

الدعاء، والضمُّ أشهر^(٤).

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٠/٣٢٤).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص ١٠٣)، و«التحبير»: (ص ٣٥٦)، ويأخذ حكمه أيضاً: آية: (٥٥) من سورة الأعراف.

(٣) يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص ٥٤٢)، و«المغني في القراءات»: (٢/٧٦٦).

(٤) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٢/٢٠٢) (خفي)، و«إعراب القراءات الشواذ»: (١/٤٨٨)، و«الفريد»

للهمداني: (٢/٦٠٥).



قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): «هما لغتان، والضمُّ أجودهما، ومعناهما: ضد

الجهر»^(١).

❖ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم ولهجاتهم، وإتقان اللسان العربي الذي نزل به القرآن من الأصول العلمية التي يُعتمد عليها في التدبر.

(٢) استعمال غير المشهور من كلام العرب من أسباب إخراجها عن حدِّ الفصاحة إلا ما كان من كلام الله؛ فقراءة الضمِّ: ﴿وَحُفْيَةً﴾ أشهر من قراءة الكسر: ﴿وَحُفْيَةً﴾، غير أن ورودها في القرآن كافٍ في فصاحتها، بل ورودها في القرآن أفصح مما في غيره^(٢).

(٣) في القراءتين توجيه إلى أن الإسرار بالدعاء سبب في إجابته، وأدعى إلى قبوله^(٣).

(٤) إخفاء الدعاء أعظم إيماناً و يقيناً؛ لأنَّ صاحبه يعلم أن الله ﷻ يسمع دعاءه الخفي^(٤).

(٥) إخفاء الدعاء أعظم أدباً وإجلالاً وتعظيمًا؛ ولهذا لا تُسأل الملوك برفع

(١) «معاني القراءات»: (١/٣٦٢).

(٢) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٦).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص: ١٢٥).

(٤) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٥).



الأصوات، ومن فعل ذلك مقتوه - والله ﷻ المثل الأعلى -، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به (١).

٦ إخفاء الدعاء أبلغ تضرعاً وخشوعاً؛ فإنَّ الخاشع الدليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق (٢).

٧ إخفاء الدعاء أبلغ إخلاصاً، ويعين على جمع القلب على الله؛ لأنَّ رفع الصوت يفرقه ويشتته (٣).

٨ إخفاء الدعاء أدهى إلى دوام الطلب والسؤال؛ فإنَّ اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يمل اللسان، وتضعف قواه (٤).

٩ الله ﷻ يحب أن يسأل سرّاً لكمال غناه وعزته، ويحب ابن آدم أن يسأل علانية لحاجته وضعفه ومنته (٥).

١٠ في إخفاء الدعاء دلالة على قرب صاحبه من الله، يسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، فلما استحضر قرب ربه، وأنه أقرب إليه من كل قريب؛ أخفى دعاءه ما أمكنه (٦).

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٦/١٥).

(٢) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٦/١٥).

(٣) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٦/١٥).

(٤) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٧/١٥).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص: ١١٦).

(٦) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٦/١٥).



(١١) في إخفاء الدعاء اقتداءً بنبي الله زكريا ﷺ، والذي رضي الله فعله واستجاب دعاءه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءٌ خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] (١).

(١٢) في إخفاء الدعاء امتثالاً لأمر الله لما قال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] (٢).

(١٣) في سياق القراءتين إشارة إلى أن الدعاء جهراً وسراً من أسباب دفع البلاء، وإزالة الشدائد والمحن (٣).

(١٤) سياق القراءتين يفيد: أن كفر المشركين صادر عن مكابرة ومعاندة؛ لأنهم عند الشدائد والمحن يلجؤون إلى الله وحده، ويدعونه جهراً وسراً؛ تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣] (٤).



(١) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص: ١١٦).

(٢) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص: ١١٦).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص: ١٢٥).

(٤) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص: ١٢٥).



الفصل الثاني:

الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها من القراءات القرشية

مع اختلاف المعنى

هذا الفصل مختص بالقراءات التي اتحدت حروفها، واختلفت حركاتها مع اختلاف المعنى، غير أن هذا الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: اختلاف تنوع.

القسم الثاني: اختلاف تباين.

فأما القسم الأول، وهو: أن تتحد حروف القراءات مع اختلاف حركاتها واختلاف معانيها اختلاف تنوع، غير أن مقتضى تلك المعاني واحد، وكلها تفيء إلى معنى جامع، وهذا الخلاف مما تستعمله العرب وتعرفه في لسانها الذي نزل به القرآن.

قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): «اعلم أن من كلامهم: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»^(١).

ويتجلى هذا في المثالين الآتيين:

❖ المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿يَرُونَ﴾.

(١) «الكتاب» لسبويه: (١/ ٢٤).



القراءات الواردة فيه مما أتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ ابن عامر بضمّ الياء: ﴿يُرُونَ﴾، والباقون بفتحها: ﴿يَرُونَ﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ أبو حيوة (ت ٢٠٣هـ) بضمّ الياء: ﴿يُرُونَ﴾^(٢).
مجموع القراءات: قراءتان: ﴿يُرُونَ﴾، ﴿يَرُونَ﴾.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

أولاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿يُرُونَ﴾: أنها على حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعولين إيجازاً وتفخيماً؛ لأنَّ حذف الفاعل يوجب تفخيم الأمر؛ لأنه يتسع تقديره، ومعناها: أن الله يريهم بأن يجعلهم يعاينونه، ويعضدها: قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقوله: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]^(٣).

ثانياً: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿يَرُونَ﴾: أنها على البناء للفاعل، وإسناد الفعل إلى ضمير الفاعلين، وهو الواو، ومعناها: يعاينونه، ويعضدها: قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ آرَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ [النحل: ٨٥]^(٤).

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص: ٧٨)، و«تحرير التيسير»: (ص: ٢٩٨).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهدلي: (ص: ٤٩٥)، و«المعني في القراءات»: (١/ ٤٧٦).

(٣) يُنظر: «حجة ابن زنجلة»: (ص: ١٢٠)، و«الدرة الفريدة» للهمداني: (٣/ ٩٥)، و«الشفاء في علل القراءات»: (١/ ١٤٨).

(٤) يُنظر: «الشافعي في علل القراءات»: (١/ ٦٩)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٨٤)، و«الدرة الفريدة» للهمداني: (٣/ ٩٥).



◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية :

(١) الاختلاف في القراءتين اختلاف تنوع؛ لأنَّ مقتضى معناهما واحد، والمعنى الجامع لهما: رؤيتهم ومعاينتهم العذاب.

(٢) في القراءتين إثبات اليوم الآخر والحساب والجزاء^(١).

(٣) ليس مَنْ رَأَى كَمَنْ سَمِعَ؛ فالذين ظلموا حين يرون العذاب يعلمون عندها يقيناً أنَّ القوة والقدرة لله، ويعلمون شدة عذابه لمن كفر به وأشرك، وأنه ليس للأنداد التي اتخذوها شيء من تلك القدرة الإلهية؛ فيتبين عندئذ عجزها وضعفها، وأنها لا تدفع ضراً، ولا تجلب لهم نفعاً: ﴿وَلَوْ كَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٦]^(٢).

(٤) أوتر في القراءتين صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقيق في أخبار علام الغيوب^(٣).

(٥) كل معنى أدِّي بتمامه فصيحاً بيناً بأوجز لفظ؛ فهو الإيجاز^(٤)؛ فقراءة: ﴿يُرُونَ﴾ تدلُّ على قراءة: ﴿يَرَوْنَ﴾ وزيادة؛ لأنهم إذا أروا رأوا، وعناية القارئ المتدبر بالقواعد البلاغية المستنبطة من القراءات القرآنية مما يُستعان بها في توجيه القراءة المفصي به إلى التدبر والإسفار عن الدلالة.

(١) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثالث من سورة البقرة»: (ص: ٨١).

(٢) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٢/ ٩٣)، و«التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة الفاتحة والبقرة»: (ص: ٤٦١).

(٣) يُنظر: «تفسير أبي السعود»: (١/ ١٨٦).

(٤) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٧٤).



٦) الأصل في المسند إليه ذكره، وقد يُحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه، كما حُذِفَ الفاعل من قراءة: ﴿يُرُونَ﴾؛ ليذهب السمع إليه كل مذهب.

٧) الاستشهاد بالمواضع المجمع على قراءتها في توجيه المواضع المختلف في قراءتها، وهو من توجيه القرآن بالقرآن، وهو من الأصول التي يعتمد عليها في توجيه القراءات.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿سُقْفًا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح السين وإسكان القاف: ﴿سُقْفًا﴾، والباقون بضمّهما: ﴿سُقْفًا﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ شيبه بن نصّاح (ت ١٣٠ هـ) بفتح السين وإسكان القاف: ﴿سُقْفًا﴾، وقرأ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) بضمّ السين وإسكان القاف: ﴿سُقْفًا﴾^(٢).

مجموع القراءات: ثلاث قراءات: ﴿سُقْفًا﴾، ﴿سُقْفًا﴾، ﴿سُقْفًا﴾.

توجيه القراءات: وذلك على النحو التالي:

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص: ١٩٦)، و«التحبير»: (ص: ٥٤٨).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهدلي: (ص: ٥٨٤)، و«المغني في القراءات»: (٤/ ١٦٤٦)، و«شواذ القراءات»:

(ص: ٤٢٧).



أولاً: توجيهه قراءة فتح السين وإسكان القاف: ﴿سَقْفًا﴾: أنها بلفظ الواحد، غير أن الواحد هنا على إرادة الجنس؛ لأنه مصدر في الأصل، وهو يدل على الجمع، ودل على الجمع: قوله تعالى: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣]، على أن لكل بيت سقفاً^(١).

قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «﴿سَقْفًا﴾ بفتح السين وإسكان القاف على الإفراد، والمراد من المفرد: الجنس؛ بقرينة قوله: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾، كأنه قيل: لكل بيت سقف»^(٢).

ثانياً: توجيهه قراءة ضم السين والقاف: ﴿سُقْفًا﴾: أنها بلفظ الجمع، وواحدتها: سَقْف، نحو: رَهْنٌ ورُهْنٌ، على أن ما كان بزنة: (فَعْلٌ)؛ فإنه يُجمع على: (فُعْلٌ)، أو واحدتها: سقيفة، نحو: سفينة وسُفْنٌ؛ لأنَّ المُخْبَرَ عنهم جمع، ولكل واحد منهم بيت، ولكل بيت سَقْفٌ؛ فجمع ليكون اللفظ موافقاً للمعنى، ويعضدها: ما جاء بعدها في سياقها بلفظ الجمع، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [الزخرف: ٣٣]؛ ليكون الكلام على نظم واحد^(٣).

قال المنتجب الهمداني (ت ٦٤٣هـ): «﴿سُقْفًا﴾ بضم السين والقاف، وهو: جمع: (سَقْف)»^(٤).

(١) يُنظر: «الحجة» لابن خالويه: (ص: ٣٢١)، و«حجة ابن زنجلة»: (ص: ٦٤٩)، و«الدرة الفريدة» للهمداني: (٧٩/٥).

(٢) «التحرير والتنوير»: (٢٥/٢٠٦).

(٣) يُنظر: «حجة الفارسي»: (٦/١٤٨)، و«الشافعي في علل القراءات»: (٣/٣١٣)، و«حجة ابن زنجلة»: (ص: ٦٤٩).

(٤) «الفريد في إعراب القرآن المجيد»: (٥/٥٥٢).



ثالثاً: توجيه قراءة ضمّ السين وإسكان القاف: ﴿سُقْفًا﴾: أنّها بلفظ الجمع، وهي مخففة من قراءة: ﴿سُقْفًا﴾، وواحدتها: سَقْف، على لغة من يجمع ما كان بزنة: (فَعَلَ) على: (فُعِلَ)، وهي لغة تميم^(١).

قال العكبري (ت ٦١٦هـ): «ومنهم من يسكن القاف، وهو من تخفيف المضموم»^(٢).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

(١) الاختلاف في القراءات اختلاف تنوع؛ لأن مقتضى معناها واحد، وهو: أنّها أتت على إرادة الجمع، على أنّ لكل واحد من المخبر عنهم بيتاً، ولكل بيت سَقْفٌ؛ فقراءة: ﴿سُقْفًا﴾ بلفظ الواحد على إرادة الجمع، وقراءتا: ﴿سُقْفًا﴾، و﴿سُقْفًا﴾ بلفظ الجمع على إرادة الجمع.

(٢) الاحتجاج للقراءة بالسياق بيّن مجملاتها، ويرجّح محتملاتها، ويقرّر واضحاتها؛ فلما قرئت قراءة: ﴿سُقْفًا﴾ بلفظ المفرد؛ بيّن توجيهها أنّ المراد منها: الجمع بقريئة قوله قبلها: ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ﴾.

(٣) في القراءات وسياقها دلالة على هوان الدنيا على الله، وأنّها لو كانت تساوي عنده جناح بعوضة؛ ما سقى كافراً منها شربة ماء؛ تأمل قوله في نهاية سياق الآيات: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكُمْ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥].

(١) يُنظر: «تفسير القرطبي»: (٨٤/١٦)، و«إعراب القراءات الشواذ»: (١٢٧٢/٢)، و«البحر المحيط»: (٣٧١/٩).

(٢) «إعراب القراءات الشواذ»: (٤٤٦/٢).



٤) التنكير في قراءة: ﴿سَقْفًا﴾ يدلُّ على التكثر، وهذا يتناسب مع سياق الآية في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَهُمْ﴾.

٥) كما أن حروف الكلمة قد تتنافر؛ فكذلك حركاتها قد تتشاكل^(١)؛ تأمله في تخفيف القاف بالإسكان في قراءة: ﴿سُقْفًا﴾ من قراءة: ﴿سُقْفًا﴾.

٦) إسهام القراءات في بيان لغات العرب الواردة في كتاب الله، وحفظها من الضياع والاندثار.

وأما القسم الثاني، وهو: أن تتحد حروف القراءات مع اختلاف حركاتها واختلاف معانيها اختلاف تغاير، غير أن هذه المعاني المتعددة لا يمكن أن تتناقض؛ لاستحالة كون ذلك في القرآن، والفرق بين هذا القسم والذي سبقه هو: أن المعاني في هذا القسم متعددة، ولا يمكن اجتماعها في شيء واحد؛ لأن الله أنزل القراءات محتملة هذا التعدد، وقابلة لجميع الأغراض المأخوذة منها خلافاً للقسم السابق الذي معانيه على تعددها متحدة المقصود.

قال ابن الجزري (ت ٨٨٣هـ): «... وبهذا افرق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء؛ فإنَّ اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله، وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي، والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمن به»^(٢).

(١) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٣).

(٢) «النشر»: (١/ ٥٢).



وكل قراءة مع صحتها وصحة معناها في هذا القسم هي بمنزلة آية قائمة بنفسها. وأما القراءة الشاذة فهي مفسرة ومبينة وناصرة للقراءة الصحيحة غالباً، ويُحتجُّ بها للمتواترة، وبها يُستأنس.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): «المقصد من القراءة الشاذة: تفسير القراءة المتواترة، وتبيين معناها» (١).

ويتجلى هذا في المثالين الآتين:

❖ المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾، والباقون بكسرها: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ (٢).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) بفتح الخاء: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ (٣).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾، ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

(١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد: (١٥٤/٢).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص: ٧٦)، و«تحرير التيسير»: (ص: ٢٩٤).

(٣) يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص: ٤٩٢)، و«المغني في القراءات»: (١/ ٤٦٠).



أولاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أنها على الخبر عطفًا على ما قبلها، وهو: قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وهو خبر، ويعضدها: ما جاء بعدها في سياقها على الخبر أيضًا، وهو: قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ فحمل الكلام عليهما ليكون الكلام على نظم واحد^(١).

فالقراءة تدل على أَنَّ الله أخبر محمدًا ﷺ عنم كانوا قبله بأنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الذي وسم به لاهتمامه به، وإسكان أهله عنده؛ ليقتدى بهم، ويُسْتَنَّ بسنتهم.

ثانيًا: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أنها على الأمر، ويعضدها: ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلت: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾»^(٢)، واحتج الأزهري (ت ٣٧٠هـ) لهذه القراءة بهذا الحديث، ثم قال: «فكان الأمر على هذا الخبر أبين وأحسن»^(٣)، واحتج به ابن إدريس (من علماء القرن السادس) أيضًا، ثم قال: «وهي تفيد شرعًا لا يُستفاد من قراءة مَنْ قرأ على الخبر»^(٤).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) الاختلاف في القراءتين اختلاف تغاير دون تناقض وتضاد؛ لصحة معنى

(١) يُنظر: «معاني القراءات»: (١/ ١٧٤)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٧٥)، و«الدرة الفريدة» للهمداني: (٣/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١/ ٨٩) برقم: (٤٠٢).

(٣) «معاني القراءات»: (١/ ١٧٤).

(٤) «الكتاب المختار»: (١/ ٧٥).

كل منهما في حال استقلالها، وكل منهما مع صحتها بمنزلة آية قائمة بنفسها.

(٢) قراءة الأمر أبلغ في المعنى؛ لدلالة لفظها على لزوم الفرض على العموم، وإن كان في قراءة الخبر أيضًا معنى الأمر من جهة الثناء عليهم، وكل ما أثنى الله به على قوم ففيه معنى الأمر به والترغيب فيه؛ لأنهم لم يفعلوا ذلك إلا بأمره (١).

(٣) الترغيب قبل التكليف؛ ففي قراءة: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: ترغيب بكون المقام كان مصلي لمن كان قبلنا، ثم جاء الأمر والتكليف على قراءة: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾؛ لنقتدي بهم، ونستنّ بستهم (٢).

(٤) الله ﷻ يثيب العامل بأكثر من عمله؛ فإبراهيم ﷺ لما أتمّ الكلمات، جعله الله إمامًا للناس، وأمرهم أن يتخذوا من مقامه مصلي (٣).

(٥) في القراءتين تشریف لمقام إبراهيم ﷺ، ورفعة لمنزله، وإظهار لفضيلته وتكرمه؛ إذ كان فعل من اتخذه مصلي محمودًا عليه، وممدوحًا به، ولم يكن اتخاذه مصلي إلا بأمر من الله ﷻ (٤).

(٦) في القراءتين دلالة على عظمة ومنزلة البيت العتيق، ومن تعظيم الله ﷻ: تعظيم ما عظمه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبًا لِرَبِّهِ فَاتَّهَا مِنْ نَفْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] (٥).

(٧) القراءتان تقتضيان أن اتخاذا مقام إبراهيم مصلي كان من عهد إبراهيم ﷺ، ولم

(١) يُنظر: «الشفاء في علل القراءات»: (١/١٣٨).

(٢) يُنظر: «الشافى في علل القراءات»: (١/٥٦٦)، و«الدرة الفريدة»: (٣/٧٥).

(٣) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة الفاتحة والبقرة»: (٢/٤٣).

(٤) يُنظر: «الشافى في علل القراءات»: (١/٥٦٦).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة»: (ص: ١٤٢).



يكن الحجر الذي اعتلى عليه إبراهيم في البناء مخصوصاً بصلاة عنده، ولكنه مشمول للصلاة في المسجد الحرام، ولما جاء الإسلام بقي الأمر على ذلك إلى أن كان عام حجة الوداع أو عام الفتح؛ دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام ومعه عمر بن الخطاب كما في الحديث المذكور آنفاً، ثم سُنَّت الصلاة عند المقام في طواف القدوم (١).

٨) الاحتجاج بالسياق من أهم الموارد القرآنية التي يُحتجُّ بها للقراءات القرآنية، كما احتجَّ لقراءة: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ بما قبلها وما بعدها في سياقها؛ ليكون الكلام على نظم واحد، وعناية القارئ المتدبر بالسياق هو الجانب الأهم في تدبره. ٩) معرفة سبب نزول الآية مما يعين على توجيه القراءة، ويكشف وجهها، ويوضح مرادها، وهي من الأصول التي يعتمد عليها في توجيه القراءات، وفي تفسير الآيات كذلك.

١٠) القراءة الشاذة: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ بلفظها ومعناها.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَضَعَتْ﴾.

القراءات الواردة فيه مما أتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب بإسكان العين وضمّ التاء:

﴿وَضَعْتُ﴾، والباقون بفتح العين وإسكان التاء: ﴿وَضَعَتْ﴾ (٢).

(١) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (١/ ٧١١).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص: ٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٣٢١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ ابن عباس بإسكان العين وكسر التاء: ﴿وَضَعْتَ﴾، وقرأ الحسن البصري (ت ١١٠هـ) بإسكان العين وضمّ التاء: ﴿وَضَعْتُ﴾ (١).

مجموع القراءات: ثلاث قراءات: ﴿وَضَعْتُ﴾، ﴿وَضَعْتَ﴾، ﴿وَضَعْتِ﴾.

توجيه القراءات: وذلك على النحو التالي:

أولاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَضَعْتُ﴾: أَنَّهَا من قول أم مريم حملاً على ما قبلها وعلى ما بعدها من كلامها، فالذي قبلها: قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، والذي بعدها: قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]؛ فحمل الكلام عليهما ليكون الكلام على نظم واحد (٢).

ثانياً: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَضَعْتَ﴾: أَنَّهَا من قول الله ﷻ عن أم مريم؛ وذلك أَنَّهَا لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]؛ أخبر الله أَنَّهُ أعلم بما وضعت، وهو العليم الحكيم (٣).

ثالثاً: توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَضَعْتِ﴾: أَنَّهَا من قول الله ﷻ لأم مريم؛ وذلك أَنَّهَا لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]؛ خاطبها الله أَنَّهُ أعلم بما وضعت، وهو العليم الحكيم (٤).

(١) يُنظر: «الكامل» للهلالي: (ص: ٥١٥)، و«المغني في القراءات»: (١/ ٥٧٧)، و«شواذ القراءات»: (ص: ١١٠).

(٢) يُنظر: «معاني القراءات» للأزهري: (١/ ١٧٤)، و«الكتاب المختار»: (١/ ٧٥)، و«الدرة الفريدة» للهمداني: (٣/ ٧٥).

(٣) يُنظر: «الحجة» لابن خالويه: (ص: ١٠٨)، و«حجة الفارسي»: (٣/ ٣٢)، و«حجة ابن زنجلة»: (ص: ١٦٠).

(٤) يُنظر: «الدرة الفريدة»: (٣/ ٢١٩)، و«الشفاء في علل القراءات»: (١/ ٢١٥).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية :



(١) الاختلاف في القراءات اختلاف تغاير دون تناقض؛ لصحة معنى كل منها في حال استقلالها.

(٢) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: تسلية لنفسها، وأنَّ الله حكيمٌ، ولعلَّ هذه الأئني خير من الذكر^(١).

(٣) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: معنى الخضوع لله، وهي كقولهم: (رب قد أذنبت وأنت أعلم به)^(٢).

(٤) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: اعتذار منها إلى الله ﷻ؛ حيثُ أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة^(٣).

(٥) في إظهار اسم الجلالة على قراءة: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، ويكون قرينة لفظية على أنَّ الخبر مستعمل في التحسر^(٤).

(٦) في قراءة: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾: حسن مناجاة منها لله ﷻ لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَدَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، ولم تقل: وأنت أعلم بما وضعت؛ لأنَّ العرب تخبر عن غائب ثم تخاطب، وتخاطب ثم تخبر، كما في سورة فاتحة الكتاب، وهذا التفات

(١) يُنظر: «تفسير الزمخشري»: (١/٣٥٦).

(٢) يُنظر: «الدررة الفريدة»: (٣/٢١٩).

(٣) يُنظر: «تفسير أبي السعود»: (٢/٢٨).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٣/٢٣٣).



من الخطاب إلى الغيبة؛ إظهاراً لغاية الإجلال (١).

(٧) في قراءة: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾: إسراع منها إلى تنزيه الله عن الجهل؛
لئلا يتوهم السامع من قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ أنها أضافت إلى الله علماً لم
يكن حاصلًا له (٢).

(٨) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: مشاكلة لفظية لقوله تعالى قبلها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا
أُنثَى﴾.

(٩) في قراءتي: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾: تعظيم الله
نفسه بإثبات العلم له.

(١٠) في قراءتي: ﴿وَضَعْتَ﴾، ﴿وَضَعْتَ﴾: تعظيم للمولود وما يكون منه،
وتجهيل لها بقدر ما وهب لها منه، وهو أنه يجعله للعالمين آية، وهي جاهلة
بذلك (٣).

(١١) القراءة الشاذة: ﴿وَضَعْتَ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿وَضَعْتَ﴾
بمعناها؛ لأنَّ القراءتين دالَّتَانِ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ مِنَ اللَّهِ عَنْهَا وَلِهَا.



(١) يُنظر: «الشافى فى علل القراءات»: (١/١٤٣).

(٢) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة آل عمران»: (١/٤٢٥).

(٣) يُنظر: «تفسير الزمخشري»: (١/٣٥٦)، و«الدرة الفريدة»: (٣/٢١٨).



الفصل الثالث:

الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها من القراءات الفرشية

مع اختلاف في المعنى

هذا الفصل مختص بالقراءات التي اتحدت حروفها، واختلفت حركاتها مع اختلاف في المعنى، غير أن هذا الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن تكون الأقوال محتملة، غير أنه يمكن الجمع بينها، والقول بمقتضى جميعها.

القسم الثاني: أن تكون الأقوال محتملة دون تعارض، غير أن بعضها أولى من بعض لحجة تدل على ذلك.

فأما القسم الأول، وهو: أن تكون الأقوال محتملة، غير أنه يمكن الجمع بينها بمعنى كلي تدخل جميع الأقوال فيه؛ لأنه لا دليل يدل على تقديم بعضها أو ترجيحها.

والعلماء سلخوا في الجمع بين الأقوال من هذا القسم مسالك لطيفة، وهي على النحو التالي^(١):

(١) أن يعبر كل قول عن اللفظ العام ببعض أفرادها؛ فتحمل الأقوال على المعنى العام الذي يدل عليه اللفظ.

(١) يُنظر: «منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية» للدكتور حسين الحربي:



(٢) أن تكون الأقوال مختلفة ألفاظاً قائلها مع تقارب المعنى أو اتفاقه؛ فهذا خلاف لفظي لا يؤثر في توجيه القراءة.

(٣) أن يكون معنى أحد الأقوال كلياً يدخل تحته باقي الأقوال؛ فتُحمل بقية الأقوال على هذا المعنى الكلي الذي به تُوجَّه القراءة.

(٤) أن يكون في أحد الأقوال تنبيه ودلالة على بقية الأقوال؛ فهذا القول هو الذي يجمع الأقوال في توجيه القراءة لدلالته على بقيتها.

(٥) أن يكون بين الأقوال تلازم.

(٦) أن تكون بعض الأقوال من ثمرات ونتائج البعض.

قال الطبري (٣١٠هـ): «وأما إذا كانت المعاني في جميعها متفقة، فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى»^(١).

وقال أيضاً: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»^(٢).

ويتجلى هذا في المثالين الآتين:

❖ **المثال الأول:** قوله: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَهُمْ إِلَىٰ بُدَايِهِمْ لَمَّا تَكُونُوا بَلِغِيهِمُ الْإِبْشِقَ الْأَنْفُسِ﴾

[النحل: ٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿بِشِقٍ﴾.

(١) «تفسير الطبري»: (١٣٧/٥).

(٢) «تفسير الطبري»: (٦٤٨/٢٣).



القراءات الواردة فيه مما أتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ أبو جعفر بفتح الشين: ﴿بِشَقِّ﴾، والباقي بكسرها:

﴿بِشَقِّ﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ شيبه بن نَصَّاح (ت ١٣٠ هـ) بفتح الشين: ﴿بِشَقِّ﴾^(٢).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿بِشَقِّ﴾، ﴿بِشَقِّ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿بِشَقِّ﴾، ﴿بِشَقِّ﴾ بين اتحاد المعنى أو اختلافه

على قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنى^(٣).

القول الثاني: أن لكل منهما معنى^(٤).

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنى، وهما على إرادة المصدر، من: المشقة، أي:

بمشقة الأنفس^(٥).

(١) يُنظر: «النشر»: (٢/٣٠٢)، و«التحبير»: (ص: ٤٣٠).

(٢) يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص: ٦٠٦)، و«المعني في القراءات»: (٣/١٣١٨).

(٣) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/٢٧٩).

(٤) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»:

(ص: ٢٥٨).

(٥) يُنظر: «الشافى في علل القراءات»: (٣/٨٦)، و«تفسير البغوي»: (٥/١٠)، و«زاد المسير»:

(٢/٥٥١).



توجيه القول الثاني: وذلك على مذهبين:

المذهب الأول: أنَّهما على إرادة المصدر، غير أنَّ الفتح من: شَقَّ الأمر عليه شَقًّا، أي: مشقة النفس، والكسر من: (الشَّقُّ) بمعنى: النِّصْف، كأنه يذهب نصف قوَّته لما يناله من الجهد والتعب، ويعضد هذا المعنى: قوله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمر»^(١).

المذهب الثاني: أنَّ الفتح على إرادة المصدر، والكسر على إرادة الاسم^(٢).

القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ المعاني المذكورة في اختلاف العلماء بين اتحاد القراءتين في المعنى أو اختلافهما كلها محتملة ومتقاربة بدلالة اللفظ وأصل اشتقاقه وسياق الآية والمعهود من كلام العرب؛ فقراءة: ﴿بِشَقِّ﴾ على إرادة المصدر بمعنى: بمشقتكم على أنفسكم، وقراءة: ﴿بِشَقِّ﴾ تحتل معنى: ﴿بِشَقِّ﴾ على أنَّها مصدر بمعنى: المشقة، وتحتل معنى: النصف، أي: بنصف قواكم، وتحتل أن تكون على إرادة الاسم^(٣).

قال الطبري (ت ٣١٠هـ): «وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١٠٩/٢) برقم: (١٤١٧).

(٢) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٧١/١٧)، و«الشافي» لابن القراب: (٨٦/٣)، و«الدر المصون»: (١٩٥/٧).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٧١/١٧)، و«الشافي في علل القراءات»: (٨٦/٣)، و«زاد المسير»: (٥٥١/٢)، و«تفسير الرازي»: (١٧٦/١٩)، و«الشفاء في علل القراءات»: (١١٩/٢)، و«الدر المصون»: (١٩٤/٧).



المصدر، مِنْ: شَقَّقْتُ عَلَيْهِ أَشَقُّ شَقًّا، وبالكسر إلى الاسم، وقد يجوز أن يكون الذين قرؤوا بالكسر أرادوا: إلا ينقص من القوَّة وذهب شيء منها حتى لا يبلغه إلا بعد نقصها، فيكون معناه عند ذلك: لم تكونوا بالغيه إلا بِشَقِّ قُوَى أَنْفُسِكُمْ، وذهب شَقَّهَا الْآخِرُ»^(١).

وقال الرازي (ت ٦٠٦هـ): «وَالشَّقُّ: المشقة، والشُّقُّ: نصف الشيء، وحمل اللفظ هاهنا على كلا المعنيين جائز، فإن حملناه على المشقة كان المعنى: لم تكونوا بالغيه إلا بالمشقة، وإن حملناه على نصف الشيء كان المعنى: لم تكونوا بالغيه إلا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم، ويرجع عند التحقيق إلى المشقة»^(٢).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إذا كانت المعاني تؤيِّدها دلالة اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى^(٣).

(٢) إذا كانت المعاني تنصرها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضى تلك المعاني جميعها أولى^(٤).

(٣) أبلغ الكلام أوجزه في تمام^(٥)؛ فقراءة: ﴿بِشَقِّ﴾ انطوت على معنيين لطيفين، وهما: المشقة، والشَّقُّ الذي هو نصف الشيء، وهذا من إعجاز القراءات القرآنية.

(١) «تفسير الطبري»: (١٧/١١٧).

(٢) «تفسير الرازي»: (١٩/١٧٦).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣٤٩).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٢٩٩).

(٥) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٤٠).

٤) في قراءة: ﴿بِشِقِّ﴾: معنى مجازي بليغ، وهو: ذهاب نصف الأنفس، وكأنّها تذوب تعبًا ونصبًا لما ينالها من المشقة، كما يُقال: لا تقدر على كذا إلا بذهاب جُلِّ نفسك أو قطعة من كبديك^(١).

٥) في القراءتين دلالة على عظيم رأفة الله بنا ورحمته لنا حيث سخر لنا الأنعام التي تحمل ما ثقل من أمتعتنا إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة مما لم نكن بالغيه إلا بجهد شديد من أنفسنا ومشقة عظيمة، إن ربنا لرؤوف رحيم.

٦) السفر قطعة من العذاب؛ لما فيه من ألم المشقة وفراق الديار والأحباب، والمنع من لذيذ الطعام والشراب، والتقلب بين الأعراب والمخاطر والصعاب، قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته؛ فليعبجل إلى أهله»^(٢).

٧) اقتضت حكمة الله ﷻ أن خلق لنا دارًا نتزوّد منها إلى الدار التي خلقت لنا، غير أننا لا ننالها ونبليغها إلا بزيادة التقوى؛ تأمل قوله في هذه الدار: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧]؛ فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى بلد؛ فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار؟^(٣).

٨) الاحتجاج للقراءة بالسنة يبيّن العلاقة القوية بين القراءات القرآنية والسنة النبوية؛ فقراءة: ﴿بِشِقِّ﴾ احتج لها بالسنة النبوية المطهرة كما بيّن في أحد معانيها.

٩) حمل كلام الله على المعهود من كلام العرب مما يعين على فهم القرآن،

(١) يُنظر: «روح المعاني» للألوسي: (٣٤٣/٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١٠٩/٢) برقم: (١٤١٧).

(٣) يُنظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (١٠/١).



وغير جائز حملة على غير المعهود من كلامهم وله في المفهوم الجاري بين الناس وجه صحيح موجود، وكان معروفاً بينهم، ووظفوه في خطاباتهم (١).

١٠) القراءة الشاذة: ﴿بِشَقِّ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿بِشَقِّ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتماماً بالغاً بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُردفون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

١١) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأن الاعتناء والاهتمام بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجه عمقاً في معرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة مناسبة توجيهات أهل العلم لأصل اللفظ.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْرِبِينَ بِهٖ سَلِمَرَاتِهٖ جُرُونٌ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿تَهَجْرُونَ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ نافع بضمّ التاء وكسر الجيم: ﴿تَهَجْرُونَ﴾، والباقون بفتح التاء وضمّ الجيم: ﴿تَهَجْرُونَ﴾ (٢).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ ابن محيصة (ت ١٢٣هـ) بضمّ التاء وكسر الجيم: ﴿تَهَجْرُونَ﴾ (٣).

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣٦٩).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص: ١٥٩)، و«التحبير»: (ص: ٤٧٦).

(٣) يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص: ٦٠٦)، و«المغني في القراءات»: (٣/ ١٣١٨).



مجموع القراءات: قراءتان: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾، ﴿تَهَجِّرُونَ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾، و﴿تَهَجِّرُونَ﴾ بين اتحاد المعنى أو

اختلافه على قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنى^(١).

القول الثاني: أن لكلٍّ منهما معنى^(٢).

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنى، وهما: من الهَجْر، أي: الإفحاش في المنطق،

والسيئ من القول، يعني: تقولون الهَجْر في النبي ﷺ والقرآن^(٣).

توجيه القول الثاني: وذلك من وجهين:

الوجه الأول: وجهٌ من قرأ: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾: أنه من الهَجْر، أي: فُحش المنطق،

ويعضده: قوله ﷺ: «ألا إني قد كنت نهيتكم عن ثلاث، ثم بدا لي فيهن: نهيتكم عن

زيارة القبور، ثم بدا لي أنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فزوروها ولا

تقولوا هُجْرًا...»^(٤).

(١) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٢) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»:

(ص: ٢٥٨).

(٣) يُنظر: «الصحاح»: (٢/ ٨٥١) (هجر)، و«مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«تفسير البغوي»:

(٥/ ٤٢٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢١/ ١٤١) برقم: (١٣٤٨٧)، وقال ابن عبد البر في «التمهيد»:

(٣/ ٢١٤): «وهو حديث صحيح».



الوجه الثاني: وجهٌ من قرأ: ﴿تَهَجَّرُونَ﴾، وذلك على مذهبين (١):

المذهب الأول: أنه من الهَجْر، وهو: الترك، يقال: هجره هَجْرًا وهَجْرَانًا، إذا تركه، والمعنى: تهجرون النبي ﷺ والقرآن بالإعراض عنهما.

المذهب الثاني: أنه من الهَجْر، وهو: الهديان، يقال: هجر في نومه يَهْجُرُ هَجْرًا، إذا هذى، والمعنى: تقولون في النبي ﷺ والقرآن ما لا يضره وما لا فائدة منه كالهديان.

◆ القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أن المعاني المذكورة في اختلاف العلماء بين اتحاد القراءتين في المعنى أو اختلافهما كلها محتملة بدلالة اللفظ وتصريفه وأصل اشتقاقه وسياق الآية والنظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ؛ فالقراءتان تحتملان أن تكونا من: (الهَجْر)، أي: فُحِشَ القول وسيئه، وتحتمل قراءة: ﴿تَهَجَّرُونَ﴾: أن تكون من: (الهَجْر)، وهو: الترك، ويُراد به أيضًا: الهديان؛ فيتحصّل من مجموع القراءتين: أنهم كانوا يجتمعون حول البيت ليلاً يسمرون، وكانت عامة سمرهم: إعراضهم عن النبي ﷺ والقرآن؛ وذلك بذكرهما بالسبى من القول، وتسميتهم القرآن سحرًا وشعرًا، وأن النبي ﷺ ساحر وشاعر، وغير ذلك مما لا فائدة منه كالهاذي الذي يهذي في نومه ومرضه.

ولو أنعمنا النظر في سياق الآيات والنظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (٥٤/١٩)، و«معاني القرآن» للزجاج: (١٨/٤)، و«الدرة الفريدة»:



النبي ﷺ الدالة على تلك المعاني المذكورة في توجيه القراءتين؛ لتبين لنا صحتها، وأنه لا ضير من القول بمقتضى جميعها.

في: (الصحاح) للجوهري (ت ٣٩٣هـ): «الهِجْرُ: ضد الوصل، وقد هَجَرَهُ هَجْرًا وهَجْرَانًا، والاسم: الهِجْرَةُ، والهَجْرَتَان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، والمُهَاجِرَةُ من أرضٍ إلى أرضٍ: ترك الأولى للثانية، والتهاجُرُ: التقاطع، والهَجْرُ أيضًا: الهديان، وقد هَجَرَ المريض يَهْجُرُ هَجْرًا، فهو هَاجِرٌ، والكلام مَهْجُورٌ... والهَجْرُ بالضم: الاسم من الإهْجَارِ، وهو الإفْحَاشُ في المنطق» (١).

وقال المنتجب الهمداني (ت ٦٤٣هـ): «وجهٌ من قرأ: ﴿تُهْجِرُونَ﴾: أنه جعله من: الإهْجَارِ، وهو الإفْحَاشُ في المنطق، يقال: أهجر فلان يَهْجُرُ إهْجَارًا، إذا نطق بالفحش، ووجهٌ من قرأ: ﴿تَهْجِرُونَ﴾: أنه من: الهَجْرِ، وهو الترك، يقال: هجر فلانٌ فلانًا يَهْجُرُ هَجْرًا وهَجْرَانًا، إذا تركه، على معنى: تهجرون بيتي وكتابي، أو من الهَجْرِ، وهو الهديان، يقال: هجر فلان في نومه يَهْجُرُ هَجْرًا، إذا هذى.. وقيل: هما لغتان بمعنى» (٢).

❖ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إذا كانت المعاني يؤيدها تصريف اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى (٣).

(١) «الصحاح»: (٢/ ٨٥١) (هجر).

(٢) «الدرة الفريدة»: (٤/ ٤٣٢).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٥١١).



٢) إذا كانت المعاني تنصرها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضى تلك المعاني جميعها أولى^(١).

٣) إذا كانت المعاني تؤيدها النظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ الدالة عليها؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى^(٢).

٤) أبلغ الكلام أجزه في تمام^(٣)؛ فقراءة: ﴿تَهَجَّرُونَ﴾ انطوت على ثلاثة معانٍ لطيفة، وهي: الترك، والهديان، وفحش القول.

٥) في القراءتين إشارة إلى أن فحش القول وسيئه لا يجتمع مع طهارة كلام الله وحسنه؛ فالقرآن لا يحيي إلا أصحاب القلوب النقية، وأرباب الألسن الزكية، وهي قلوب المتقين، وألسنة الصالحين، قال الله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ومن الأصول العملية المعينة على التدبر: البعد عن فاحش القول والعمل.

٦) في قراءة: ﴿تَهَجَّرُونَ﴾: تعريض بمن يهجر كتاب الله تلاوةً وحفظاً وتدبراً وعملاً به، والتعريض نوع من الكناية، والكناية أسلوب بياني ماثور.

٧) في قراءة: ﴿تَهَجَّرُونَ﴾: إشارة إلى العناية بتدبر القرآن وفهم معانيه؛ لأن الذي يقرأ القرآن دون تدبرٍ وفهمٍ لمعانيه كالذي يهذي بكلام لا يفهم ولا معنى له بقرينة قوله بعدها: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ومن الأصول العملية المعينة على التدبر: تلاوته بتفهم وتمهّل.

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٢٩٩).

(٢) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣١٢).

(٣) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي:

(ص: ٤٠).

٨) الاحتجاج للقراءة بالسنة يبين العلاقة القوية بين القراءات القرآنية والسنة النبوية؛ فقراءة: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾ احتجَّ لها بالسنة النبوية المطهرة كما بيِّن.

٩) القراءة الشاذة: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾ تؤيِّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾ بلفظها ومعناها.

١٠) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجه عمقاً في معرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة مناسبة توجيهات أهل العلم لأصل اللفظ.

وأما القسم الثاني، وهو: أن تكون الأقوال محتملة، وليس بينها تعارض، غير أن بعضها أولى من بعض؛ لكون القرآن ودلالة ألفاظه تشهد لقول دون غيره، أو السنة تشهد لأحدها، أو لغة العرب، أو قرائن في السياق، أو حجج أخرى تقضي بتقديم أحد الأقوال، وهذا ما يسمى بتقديم الأولى.

ويتجلى هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

أولاً: القراء العشرة: قرأ المدنيان بضم الياء وكسر الميم: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، والباقي بفتح الياء وضم الميم: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾^(١).

(١) يُنظر: «النشر»: (٢/ ٢٧٥)، و«التحبير»: (ص: ٣٨٢).



ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ ابن محيصة (ت ١٢٣هـ) بضمّ الياء وكسر الميم: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾^(١).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾، ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ بين اتحاد المعنى أو

اختلافه على قولين:

القول الأول: أنّهما بمعنى^(٢).

القول الثاني: أنّ لكلّ منهما معنى^(٣).

توجيه القول الأول: أنّهما بمعنى، يُقال: مَدَّ وَأَمَدَّ، أي: الجرّ والإطالة والإعانة

والزيادة^(٤).

توجيه القول الثاني: وذلك على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أنّ (مَدَّ) يكون في الشر والمكروه، و(أَمَدَّ) يكون في الخير

والمحسوب^(٥).

(١) يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص: ٥٥٧)، و«المغني في القراءات»: (٢/ ٨٧٣).

(٢) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»:

(ص: ٢٥٨).

(٤) يُنظر: «تفسير البغوي»: (٣/ ٣١٨)، و«تفسير الرازي»: (١٥/ ٤٣٨).

(٥) يُنظر: «معاني القراءات»: (١/ ٤٣٤)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي: (٤/ ١٢٢).

المذهب الثاني: أن: (مَدَّ) إذا أعانه بنفسه ومن جنسه، و(أَمَدَّ) إذا أعانه وكثره بغيره (١).

المذهب الثالث: أن: (مَدَّ) إذا جرَّه في الغيِّ، و(أَمَدَّ) إذا زاده غيًّا (٢).

◆ القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أن لكلَّ من القراءتين معنى، وأن المعاني المذكورة في اختلاف هذا المعنى كلها محتملة ومتقاربة؛ لأنَّ مراعاة سياق الآية أولى، وحمل معاني القرآن على الغالب من أسلوبه ومعهود استعماله أولى؛ فقراءة: ﴿يَمْدُوهُمْ﴾ من: (مَدَّ)، ويكون في الشر والمكروه، ونظيرها: قوله تعالى: ﴿وَيَمْدُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ يَبْعَمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقوله: ﴿وَمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وغيرهما، وقراءة: ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾ من: (أَمَدَّ)، ويكون في الخير والمحسوب، ونظيرها: قوله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦]، وقوله: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَاحَةٍ وَخَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢]، وغيرهما، والعرب تقول: مددته في غيِّه، وأمددته بخيل ورجال، وأصلهما اللغوي يدلُّ على الجرِّ والإطالة والزيادة المتصلة واتصال شيء بشيء في استطالة، فيكون معنى الآية قائمًا على أنَّهم لا يزالون يزيدونهم في الغيِّ، ويجرُّونهم إلى الخزي بذنب بعد ذنب، ويعينونهم على ذلك، ولا يمسون حتى يستمروا عليه (٣).

(١) يُنظر: «تفسير الطبري»: (٣٤٠ / ١٣)، و«الصحيح»: (ص: ٢٩٢) (مدد)، و«الشافعي»: (٢ / ٣١٥)، و«مفاتيح الأغاني»: (ص: ١٨٨).

(٢) يُنظر: «حجة ابن زنجلة»: (ص: ٣٠٦).

(٣) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٥ / ٢٦٩) (مدَّ)، و«شرح الهداية»: (ص: ٣١٩)، و«تفسير ابن عطية»:



فإن قيل: كيف الجمع في الآية بين الغي الذي هو بمعنى الضلال والشر والمكروه، وبين قراءة: ﴿يُمِدُّوَنَهُمْ﴾ الدالة على الخير والأمر المحبوب؟

قيل: هو استعارة تهكمية، قال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ): «أنه بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقوله: ﴿فَسَيُصِيبُكَ وَلِلْعَصْرِى﴾ [الليل: ١٠]»^(١)، وقال المهدوي (ت ٤٤٠هـ): «وقد يُستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر على الاتساع، كما استعملت البشارة في الخير والشر»^(٢)، وقال ابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ): «والوجه أنه وإن كان الإمداد يُستعمل فيما يُحب ويُستحب، فهو ههنا على المجاز والتشبيه»^(٣).

◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما^(٤)، وهو من الأصول العلمية التي يُعتمد عليها في تدبر كلام الله وفهمه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): «فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن؛ تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»^(٥).

= (٢/٤٩٣)، و«لسان العرب»: (٣/٣٩٦) (مدد)، و«الدر المصون»: (١/١٤٩)، و«التحرير والتنوير»: (٩/٢٣٥).

(١) «الحجة» للفارسي: (٤/١٢٣).

(٢) «شرح الهداية»: (ص: ٣٢٠).

(٣) «الموضح»: (ص: ٥٧٠).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ١٢٥).

(٥) «مجموع الفتاوى»: (١٥/٩٤).



(٢) حمل كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك^(١)، وهذا من الأصول والقواعد العلمية التي تفضي إلى تدبر كلام الله وفهم معانيه والإسفار عن دلالاته، قال الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ): «من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك: الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل استقرائي على عدم خروجه من معنى الآية»^(٢).

(٣) في قراءة: ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾ الدالة على الخير والأمر المحبوب: استعارة تهكمية بقريظة قوله: ﴿فِي الْغَيِّ﴾، كما أن في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]: استعارة تهكمية بقريظة قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾؛ لأن البشارة تدل على الخير والسرور^(٣).

(٤) لا يزال الشيطان يجرُّ إخوانه في الغي والضلال كما تدل عليه قراءة: ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾، ثم لا يكتفي بذلك، بل لا يزال يمدُّهم في الغي ذنباً بعد ذنب، ولا يقصر عن ذلك كما تدل عليه قراءة: ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾، ولو أنهم استعاذوا بالله والتجؤوا إليه إذ نزغهم منه نزغاً؛ لحماهم من نزغاته، ووقاهم من وسوساته، قال الله: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

(٥) لا ينفك الشيطان بالإنسان حتى يمدّه في الغي، وإلا أمده بأوليائه وأعوانه من شياطين الإنسان والجن، وليس يحول بينه وبينهم إلا تقوى الله؛ فإن مسه منهم

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ١٧٢).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»: (٣/ ٤٧٨).

(٣) يُنظر: «الحجة» للفرارسي: (٤/ ١٢٣)، و«التحرير والتنوير»: (٩/ ٢٣٥).



طَيْفٌ تَذَكَّرَ فَأَبْصَرَ فَحَذَرَ فَسَلِمَ، وَإِنْ زَلَّ تَابَ وَأَنَابَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] (١).

٦) في قراءة: ﴿يُمِدُّوَنَّهُمْ﴾ مطابقة مع: ﴿يُقَصِّرُونَ﴾، والطباق من المحسنات الدالة على جمال لغة القرآن.

٧) القراءة الشاذة: ﴿يُمِدُّوَنَّهُمْ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿يُمِدُّوَنَّهُمْ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتماماً بالغاً بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُردفون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

٨) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأن الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجه عمقاً في معرفة دلالات الألفاظ ومعرفة مناسبة توجهات العلماء لأصل اللفظ.

٩) الوصول إلى مراد الله من كلامه لا يتأتى إلا بالنظر فيه عبر ثلاثة مستويات: مستوى الوضع اللغوي، ومستوى معهود العرب، ومستوى معهود القرآن، ويبقى لمعهود القرآن الصدارة على جميعها في تقرير المعنى (٢).

❖ **المثال الثاني:** قوله: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿فَوَاقٍ﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

(١) يُنظر: «تفسير المنار»: (٩/ ٤٥٩).

(٢) يُنظر: «عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن» لبشرى باحي: (ص: ٢١٣).



أولاً: القراء العشرة: قرأ الأخوان وخلف بضمّ الفاء: ﴿فُوقٍ﴾، والباقي بفتحها: ﴿فَوَاقٍ﴾^(١).

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ الأعمش (ت ١٤٨هـ) بضمّ الفاء: ﴿فُوقٍ﴾^(٢).

مجموع القراءات: قراءتان: ﴿فُوقٍ﴾، ﴿فَوَاقٍ﴾.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: ﴿فُوقٍ﴾، ﴿فَوَاقٍ﴾ بين اتحاد المعنى أو اختلافه على قولين:

القول الأول: أنّهما بمعنى^(٣).

القول الثاني: أنّ لكلّ منهما معنى^(٤).

توجيه القول الأول: أنّهما لغتان بمعنى، يُقال: فُوق وفُوق بمعنى واحد، أي: ما لها من توقّف قدر فُوق وفُوق الناقّة، وهو ما بين حلّبتيّ الحالب؛ لأنّها تُحلب، وتُترك ساعة حتى يعود اللبن، نحو: فُصاص الشعر وفُصاصه، والضمُّ: لغة تميم وقيس، والفتح: لغة أهل الحجاز^(٥).

(١) يُنظر: «التيسير»: (ص: ١٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٥٣١).

(٢) يُنظر: «الكامل» للذهلي: (ص: ٦٢٨)، و«المعني في القراءات»: (١٥٧٩/٤).

(٣) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢٧٩/٢).

(٤) يُنظر: «تفسير الطبري»: (١٩/٥٤)، و«معاني القرآن» للنحاس: (٤/٤٧٦)، و«حجة ابن خالويه»:

(ص: ٢٥٨).

(٥) يُنظر: «معاني القرآن» للزجاج: (٤/٣٢٣)، و«الكشف» لمكي بن أبي طالب: (٢/٢٣١).



توجيه القول الثاني: وذلك على وجهين (١):

الوجه الأول: وجهُ قراءة الضمِّ: أنَّها مأخوذة من: فُواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين، وهو يؤول إلى الرجوع، ومنه: قولهم: أفاق المريض، إذا رجع إلى صحته، أي: ما لها من رجوع.

الوجه الثاني: وجهُ قراءة الفتح: أنَّها بمعنى: ما لها من راحة، ومنه: قولهم: أفاق المريض، إذا استراح.

◆ القول الراجح من القولين:

لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ القراءتين بمعنى، أي: ما لها من توقُّفٍ قدر فُواق وفُواق الناقة، وهو القول الذي جنح إليه الطبري (ت ٣١٠هـ) قائلاً بعد أن ذكر خلاف أهل العربية في معناهما: «والصواب من القول في ذلك: أنَّهما لغتان؛ وذلك أنَّنا لم نجد أحداً من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرِّقون بين معنى الضمِّ فيه والفتح، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم؛ لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى، فإذا كان ذلك كذلك؛ فبأيِّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب، وأصل ذلك من قولهم: أفاقت الناقة، فهي تفيق إفاقة؛ وذلك إذا ردت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى، وذلك أن ترضع البهيمة أمها، ثم تتركها حتى ينزل شيء من اللبن، فتلك الإفاقة، يُقال إذا اجتمع ذلك في الضرع: (فيقة)» (٢).

(١) يُنظر: «مجاز القرآن»: (٢/١٧٩)، و«الكتاب المختار»: (٢/٧٥٧)، و«الشفاء» للبخاري: (٢/٤٣٠).

(٢) «تفسير الطبري»: (٢١/١٦٢).



وقال السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): «والمشهور: أنَّهما بمعنى واحد، ك(قصاص الشعر وقصاصه)»^(١).

ولو أنعمت النظر في المعاني المذكورة في اختلاف القراءتين بين اتحادهما في المعنى أم اختلافهما؛ لتجلى لك أنَّها متقاربة، وأنَّها تنهل من نفس المعين، وترتوي من ذات الكأس؛ وذلك لأنَّ الفاء والواو والقاف أصل صحيح يدلُّ على أوبة ورجوع^(٢)، وعليه: فقراءة: ﴿فَوَاقٍ﴾ من: فُواقِ الناقة، وهو ما بين الحلبتين، وهو يؤول إلى الرجوع الذي هو أحد معاني قراءة: ﴿فَوَاقٍ﴾؛ لأنَّ اللبن يرجع إلى الضرع بعد الحلبة الأولى فيما بين الحلبتين، ويؤول كذا إلى المعنى الآخر لقراءة: ﴿فَوَاقٍ﴾: أنَّها بمعنى: الراحة؛ لأنَّ ما بين الحلبتين راحة حتى يرجع اللبن إلى الضرع، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم تُردِّ ولم تصرف، وليس لها رجوع ولا إمهال، وهي صيحة واحدة لا تُثنى ولا تُكرَّر.

❖ الفوائد العلمية، واللطائف التدبيرية:

(١) إذا كانت المعاني تؤيدها دلالة اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى^(٣).

(٢) إذا كانت المعاني تؤيدها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضى تلك المعاني جميعها أولى^(٤).

(١) «الدر المصون»: (٩/ ٣٦٤).

(٢) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٤/ ٤٦١) (فوق)، و«الصحاح»: (٤/ ١٥٤٦) (فوق).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣٤٩).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٢٩٩).



(٣) في القراءتين تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ حيث عبّر عن الصيحة بفواق الناقة في عدم رجوعها وإمهالها وإفافتها؛ لأنها أثبت في الأذهان، وفيهما تقريب الغائب بالشاهد، والخفي بالجلي.

(٤) لما كانت الناقة تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل تهامة والحجاز ونجد، وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع؛ حَسُنَ اقتران قصر زمن الفواق بالصيحة التي لا رجوع فيها ولا إمهال ولا راحة، وكم قد جرى ذكرها وصفاتها وحمدها في شعرهم، ولا تكاد تخلو قصيدة عن وصفها ومزاياها^(١).

(٥) على قراءة الضمّ مجاز مفرد بالاستعارة حيث استعيرت: لتشبيه قصر الزمن بعد النفخة بقصر زمن الفواق، والقريظة الصارفة: حالية؛ لأنَّ حال الناس في تلك الساعة ليس حال حلب ناقة، والعلاقة: المشابهة، وهذا من محسنات علم المعاني الدالة على روعة القرآن الكريم^(٢).

(٦) المبادرة إلى الصالحات والخيرات ما دما في زمن الإمهال والرجوع والتأخير قبل أن لا يكون هناك إمهال ولا رجوع ولا تأخير، قال الله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

(٧) القراءة الشاذة: ﴿فُوقٍ﴾ تؤيّد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿فُوقٍ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتمامًا بالغًا بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُردفون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

(١) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٣٠٥/٣٠).

(٢) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٥٩).



٨) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقائي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجه عمقاً في معرفة دلالات الألفاظ ومعرفة مناسبة توجيهات العلماء لأصل اللفظ.





الخاتمة

حمداً لله تعالى على الانتهاء والتمام، وصلاةً وسلاماً على أشرف الأنام، وآله وصحبه الكرام .. وبعد:

فأما وقد أنجز الموعود، وبلغ البحث المقصود، بقي أن أعرض أبرز ما خلَّص إليه البحث من: نتائج، وتوصيات.

◆ فأما النتائج، فأوجز ذكرها فيما يلي:

١ [تدبر القراءات يعتمد بشكل كبير على توجيه القراءات؛ فتدبرها فرع من توجيهها، وثمره من ثماره.

٢ [العناية بدلالات ألفاظ القراءات من حروف وحركات من أصول تدبر القراءات.

٣ [إتقان اللسان العربي الذي نزل به القرآن من الأصول العلمية المفضية إلى إدراك إعجاز القراءات.

٤ [الحركة البنائية للفظ القرآني لها أهميتها البالغة في تحديد المعنى والإسفار عن دلالاته ودقة تعبيراته.

٥ [القراءات مستودع ووعاء لكثير من لغات العرب، بل هي من مصادرها الأصيله.



٦ [النظر إلى ما وراء الألفاظ من حروف وحركات من المعاني والعبر والمقاصد هو الذي يثمر العلم النافع والعمل الصالح، وهو المقصد الأعظم من تنزيل القرآن العظيم.

◆ وأما التوصيات، فأوجز ذكرها فيما يلي:

١ [العناية البحثية بالجانب التدبري للقراءات؛ لأنه باب عظيم يمكن أن تكتب فيه رسائل وبحوث علمية.

٢ [حث المقرئين الفضلاء والقراء النبلاء والمختصين بالقراءات وعلومها من أهل العلم والفضل بالاهتمام في دروسهم ومحاضراتهم ومقارنهم وحلقاتهم بتدبر القراءات، وما يثمره من توجيهات إيمانية، ولطائف تربوية، وفوائد بيانية.

٣ [الاهتمام بإتقان اللسان العربي المبين، وخاصة الجانب البلاغي؛ لأنه هو الجانب الأهم للقارئ المتدبر.

٤ [العناية بكتب علل القراءات؛ لأنها من الأصول العملية العلمية المفضية إلى تدبر القراءات.

٥ [تبني موسوعة علمية تهتم بالهدايات القرآنية في القراءات القرآنية، وتجمعها في مكان واحد؛ لتكون مرجعاً يسهل الرجوع إليها، والاستفادة منها.

وأحمد الله أولاً وآخرًا حمدًا كثيرًا، وهو تعالى كريم يعطي على القليل كثيرًا. ولا جرّم أن كان الخطأ حالفني، أو الغلط رافقني، فذي بضاعة من خلّق من عجل، ونبرة بنانه على وجل؛ لذا أنا ألتمس ممن سلمت بصيرته، وطابت سيرته، أن يغض الطرف عمّا يرى من الإخلال والإجحاف، وأن ينظر إليه بعين الحلم

واللطف والإنصاف، فإن أحسنتُ فرميتهُ من غير رامٍ، وإن أخطأتُ فمعدرةً أطلبها عند الكرام، والله الهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.





تَبْتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- ١- «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». أبو السعود، محمد بن محمد. د.ت. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.خ.
- ٢- «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية - دراسة تطبيقية». طلال أحمد علي محمد. مجلة تدبر. (٩)، ١٤٤٢هـ.
- ٣- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. د.ت. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- ٤- «إعراب القراءات الشواذ». العكبري، عبدالله بن الحسين. تحقيق: محمد السيد عزوز. د.ط، بيروت: عالم الكتب، د.خ.
- ٥- «البحر المحيط في التفسير». أبو حيان، محمد بن يوسف. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- ٦- «التسهيل لعلوم التنزيل». الكلبي، محمد بن جزي. تحقيق: عبدالله الخالدي. ط١، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.
- ٧- «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة آل عمران». القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. ط١، الظهران: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٧هـ.
- ٨- «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة المائدة». القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. ط١، الظهران: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٧هـ.
- ٩- «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد». ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي أ محمد عبد الكبير البكري. د.ط، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.



- ١٠- «التيسير في القراءات السبع». الداني، عثمان بن سعيد. تحقيق: أوتو تريزل. ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ.
- ١١- «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثالث من سورة البقرة». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط ١، د.خ.
- ١٢- «الجامع في الهدايات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط ١، د.خ.
- ١٣- «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة آل عمران». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط ١، د.خ.
- ١٤- «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة الأعراف». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط ١، د.خ.
- ١٥- «الجامع في الهدايات القرآنية - سورة المائدة». كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى ومؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة. ط ١، د.خ.
- ١٦- «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- ١٧- «الحجة في القراءات السبع». ابن خالويه، الحسين بن أحمد. تحقيق: عبدالعال سالم مكرم. ط ٤، بيروت: دار الشروق، ١٤٠١هـ.
- ١٨- «الحجة للقراء السبعة». الفارسي، الحسن بن أحمد. تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. ط ٢، دمشق - بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ.
- ١٩- «الخصائص». الموصلي، عثمان بن جني. د.ت. ط ٤، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.خ.
- ٢٠- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون». السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. تحقيق: أحمد محمد الخراط. د.ط، دمشق: دار القلم، د.خ.
- ٢١- «الدرة الفريدة في شرح القصيدة». الهمداني، حسين بن أبي العز. تحقيق: جمال محمد



- طلبة السيد. ط ١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ.
- ٢٢- «الشافي في علل القراءات». ابن القَرَّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من الآية رقم: (١٤٠) من سورة البقرة إلى نهاية سورة يوسف. دراسة وتحقيق: سلطان أحمد الهديان. رسالة دكتوراة. المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٦هـ.
- ٢٣- «الشافي في علل القراءات». ابن القَرَّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من أول الكتاب إلى آخر الآية رقم: (١٤٠) من سورة البقرة. دراسة وتحقيق: إبراهيم بن محمد السلطان. رسالة دكتوراة، المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ.
- ٢٤- «الشافي في علل القراءات». ابن القَرَّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من بداية سورة الرعد إلى نهاية الكتاب. دراسة وتحقيق: أحمد عبدالله الزهراني. رسالة دكتوراة. المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٦هـ.
- ٢٥- «الشفاء في علل القراءات». البخاري، أحمد بن محمد، من أول الكتاب إلى آخر سورة يوسف. دراسة وتحقيق: صالح بن محمد العماري. رسالة دكتوراة. مكة المكرمة: قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٧هـ.
- ٢٦- «الشفاء في علل القراءات». البخاري، أحمد بن محمد، من بداية سورة الرعد إلى نهاية الكتاب. دراسة وتحقيق: حبيب الله السلمي. رسالة دكتوراة. مكة المكرمة: قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٧هـ.
- ٢٧- «الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتحدت حروفه واختلفت حركاته لاختلاف معناه». الحكمي، شبيل أبو الغيث إبراهيم. ط ١، المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٤٠هـ.
- ٢٨- «الفريد في إعراب القرآن المجيد». الهمذاني، حسين بن أبي العز. تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح. ط ١، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ.



- ٢٩- «القراءات من قبيل اللغات بين اتحاد المعنى أو اختلافه - دراسة تطبيقية مقارنة». القرشي، عبدالله بن حماد. مجلة كلية التربية، جامعة طنطا. م (٤)، (٢)، ٢٠١٥م.
- ٣٠- «الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها». الهذلي، يوسف بن علي. تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط ١، مصر: مؤسسة سما للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ.
- ٣١- «الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار». ابن إدريس، أحمد بن عبيدالله. تحقيق: عبدالعزيز الجهني. ط ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ.
- ٣٢- «الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها». ابن أبي مريم، نصر بن علي. تحقيق: عمر الكبيسي. ط ١، جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤هـ.
- ٣٣- «الكتاب». سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- ٣٤- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر. د.ت. ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- ٣٥- «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» القيسي، مكي بن أبي طالب. تحقيق: محيي الدين رمضان. ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.
- ٣٦- «المبهم في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي». سبط الخياط، عبدالله بن علي. تحقيق: وفاء عبدالله قزمار. رسالة دكتوراة، السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.
- ٣٧- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، عبدالحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
- ٣٨- «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، علي بن إسماعيل. تحقيق: عبدالحميد هندراوي. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
- ٣٩- «المغني في القراءات». النوزاوازي، محمد بن أبي نصر. تحقيق: محمود بن كابر الشنقيطي. ط ١، الرياض: تبيان للدراسات القرآنية، ١٤٣٩هـ.



- ٤٠- «النشر في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: علي بن محمد الضباع. د.ط، مصر: المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية، د.خ.
- ٤١- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». البيضاوي، عبدالله بن عمر. تحقيق: محمد المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
- ٤٢- «تحرير التيسير في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: أحمد محمد القضاة. ط١، الأردن: دار الفرقان، ١٤٢٠هـ.
- ٤٣- «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. د.ت. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- ٤٤- «تداخل الأصوات العربية وأثره في بناء المعجم». الصاعدي، عبدالرزاق بن فراج. ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.
- ٤٥- «تفسير القرآن الكريم - الفاتحة والبقرة». العثيمين، محمد بن صالح. ط١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.
- ٤٦- «تفسير القرآن الكريم - سورة آل عمران». العثيمين، محمد بن صالح. ط٣، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٥هـ.
- ٤٧- «تفسير المنار». الحسيني، محمد رشيد علي رضا. د.ت. د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ٤٨- «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- ٤٩- «حجة القراءات». ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد. تحقيق: سعيد الأفغاني. د.ط. بيروت: دار الرسالة، د.خ.
- ٥٠- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين بن محمود. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ٥١- «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. تحقيق: عبد الرزاق



- المهدي. ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٥٢- «شرح الهداية». المهدي، أحمد بن عمار. تحقيق: حازم سعيد حيدر، د.ط، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ.
- ٥٣- «شواذ القراءات». الكرمانى، محمد بن أبي نصر. تحقيق: شمران العجلي. د.ط، بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠١م.
- ٥٤- «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط ١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- ٥٥- «صحيح مسلم». القشيري، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.خ.
- ٥٦- «عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن». بشرى باحي. مجلة تدبر. (٩)، ١٤٤٢هـ.
- ٥٧- «فضائل القرآن». أبو عبيد، القاسم بن سلام. تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين. ط ١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ.
- ٥٨- «قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية». الحربي، حسين بن علي. ط ١، الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ.
- ٥٩- «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. د.ت. ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ.
- ٦٠- «مجاز القرآن». أبو عبيدة، معمر بن المثنى. تحقيق: محمد سزكين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.
- ٦١- «مجموع الفتاوى». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. ط ١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.
- ٦٢- «مسند الإمام أحمد». أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد شاكر. ط ١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ.
- ٦٣- «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: عبدالرزاق



- المهدي. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- ٦٤- «معاني القراءات». الأزهرى، محمد بن أحمد. تحقيق: مركز البحوث في كلية الآداب. ط ١، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ.
- ٦٥- «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، إبراهيم بن السري. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٨هـ.
- ٦٦- «معاني القرآن». الأخفش، سعيد بن مسعدة. تحقيق: هدى محمود قراعة. ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ.
- ٦٧- «معاني القرآن». النحاس، أحمد بن محمد. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط ١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.
- ٦٨- «مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني». الكرمانى، محمد بن أبي المحاسن. تحقيق: عبدالكريم مصطفى مدليج. ط ١، بيروت: دار الحزم، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٦٩- «مفاتيح الغيب». الرازى، محمد بن عمر. د.ت. ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- ٧٠- «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة». ابن القيم، محمد بن أبي بكر. د.ت. بيروت: دار الكتب العلمية، دأخ.
- ٧١- «مقاييس اللغة». الرازى، ابن فارس. تحقيق: عبدالسلام هارون. د.ط. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ٧٢- «منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية». الحربى، حسين بن علي. ط ١، الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦هـ.





References and Sources

1. «*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*» Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed. DDT Beirut: Dar Ihiya Al-Turath Al-Arabi
2. “*Extracting Rhetorical Rules from Quranic Recitations - an Applied Study.*” Talal Ahmed Ali Mohamed. Tadabor magazine. (9), 1442 AH.
3. “*Adwau Al-Bayan fi Edah Al-Quran bil-Quran*”. Al-Shenqiti, Mohammed Al-Amin bin Mohammed. No edition number, without publishing date, Beirut: Dar Al-Fikr, 1415 AH.
4. “*Erab Al-Qiraat Al-Shazah*” Al-Akbri, Abdullah bin Al-Hussein. Investigation: Mohammed Al-Sayyid Azzouz. No edition number. Beirut: Alam Al-Kotub, without publishing date.
5. «*Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer*». Abu Hayyan, Mohammed bin Yusuf. Investigation: Sidqi Mohammed Jamil. No edition number, Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
6. “*Al-Tas’heel Li-Oloum Al-Tanzeel*”. Al-Kalbi, Mohammed ibn Jazi. Investigation: Abdullah Al-Khalidi. 1st edition, Beirut: Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, 1416 AH.
7. “*Edited Interpretation of the Holy Qur’an - Surat Al Imran*”. The Academic Department of Al-Durar Al-Saniyyah Foundation. 1st Edition, Dhahran: Al-Durar Al-Saniyyah Foundation, 1437 AH.
8. “*Edited Interpretation of the Holy Qur’an - Surat Al-Ma’idah*”. The Academic Department of Al-Durar Al-Saniyyah Foundation. 1st Edition, Dhahran: Al-Durar Al-Saniyyah Foundation, 1437 AH.
9. “*Al-Tamheed li’ma fi el-Muwatta m’na Al-Maani Wal-Asaneed*”. Ibn Abdul-Bar, Youssef bin Abdullah. Investigation: Mustafa bin Ahmed Al-Alawi, Mohammed Abdul-Kabir Al-Bakri. No edition number, Morocco: Ministry of



Endowments and Islamic Affairs, 1387 AH.

10. **“Facilitation in the Seven Recitations”**. Al-Dani, Othman bin Saeed. Investigation: Ottu Trezel. 2nd Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1404 AH.
11. **“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - The Chapter of Surat Al-Baqarah.”** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and the Great News Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
12. **“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - The Second Part of Surat Al-Baqarah.”** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
13. **“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al Imran»**. Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
14. **“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al-A'raf”**. Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
15. **“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al-Ma'idah”**. Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1st Edition, without publishing date.
16. **“Al-Jamei Li-Ahkam Al-Qur'an”**. Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed. Investigation: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atefayesh. 2nd edition, Cairo: The Egyptian Book House, Cairo, 1384 AH.
17. **“Al-Hojjah fi Al-Qiraat Al-Ashr”**. Ibn Khalawayh, Al-Hussein bin Ahmed. Investigation: Abdel-Aal Salem Makram. 4th edition, Beirut: Dar Al-Shorouk, 1401 AH.
18. **“Al-Hojjah Lil-Qurra Al-Sabaah”** Al-Farsi, Al-Hasan bin Ahmed. Investigation: Badr Al-Din Kahwaji and Bashir Joigati. 2nd edition, Damascus - Beirut: Al-Mamoun Heritage House, 1413 AH.
19. **“Al-Khasy'es”**. Al-Mawsili, Othman ibn Jinni. No edition number. 4th edition, Egypt: The Egyptian General Book Authority, without publishing date.



20. **“Al-Durr al-Masoon fi Oloum al-Kitab al-Maknon”**. Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Kharrat. No edition number, Damascus: Dar Al-Qalam, no publishing date.
21. **“Addurrah Al-Faridah fi Sharhul-Qsidah”**. Al-Hamadani, Hussein bin Abi Al-Ezz. Investigation: Jamal Mohammed Tolba Al-Sayed. 1st edition, Riyadh: Al-Maarif for Publishing and Distribution, 1433 AH.
22. **“Ashafi fi Elal Al-Qiraat”**. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from verse No.: (140) from Surat Al-Baqarah to the end of Surat Yusuf. Study and investigation: Sultan Ahmed Al-Hadyan. Ph.D. Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur’an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1436 AH.
23. **“Ashafi fi Elal Al-Qiraat”**. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from verse No.: (140) from Surat Al-Baqarah. Study and investigation: Ibrahim bin Mohammed Al-Sultan. PhD thesis, Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur’an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1435 AH.
24. **“Ashafi fi Elal Al-Qiraat»**. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from the beginning of Surat al-Ra’d to the end of the book. Study and investigation: Ahmed Abdullah Al-Zahrani. Ph.D. Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur’an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1436 AH.
25. **“Ashefua fi Elal-Al-Qira’at”**. Al-Bukhari, Ahmed bin Mohammed, from the beginning of the book to the end of Surat Yusuf. Study and investigation: Saleh bin Mohammed Al-Ammari. Ph. D Thesis. Makkah Al-Mukarramah: Department of Recitations, College of Call and Religion Fundamentals, Umm Al-Qura University, 1437 AH.
26. **“Ashefua fi Elal-Al-Qira’at”**. Al-Bukhari, Ahmed bin Mohammed, from the beginning of Surat Al-Ra’d to the end of the book. Study and investigation: Habibullah Al-Sulami. Ph.D. Thesis, Makkah: Department of Recitations, College of Call and Religion Fundamentals, Umm Al-Qura University, 1437



AH.

27. **“Marks Differences in the Holy Qur’an in Words with the Same Letters and Different Marks for Different Meanings”**. Al-Hakami, Shabeel Abu Al-Ghaith Ibrahim. 1st Edition, Medina: Al-Madinah Al-Munawwarah Literature Club, 1440 AH.
28. **“Al_Fareed fi Erab Al-Quran Al-Majeed”**. Al-Hamadani, Hussein bin Abi Al-Ezz. Investigation: Mohammed Nizamuddin Al-Fateh. 1st edition, Al-Madinah Al-Munawwarah: Dar Al-Zaman Bookstore for Publishing and Distribution, 1427 AH.
29. **“Recitations from Languages between Meaning Unity & Difference- a Comparative Applied Study»**. Al-Qurashi, Abdullah bin Hammad. Journal of the Faculty of Education, Tanta University. Volume (4), (2), 2015 AD.
30. **“Al-Kamel fi Al-Qi’raat Al-Ashr wa Al-Arbeen Azzaidah”**. Al-Huzali, Yusuf bin Ali. Investigation: Jamal Bin Al-Sayed Bin Rifai Al-Shayeb, 1st Edition, Egypt: Sama for Publishing and Distribution Foundation, 1428 AH.
31. **«Al-Kitabul-Mokhtar fi Maani Qiraatu Ahlel-Amsar”**. Ibn Idris, Ahmed bin Obaidullah. Investigation: Abdulaziz Al-Juhani. 1st edition, Riyadh: Al-Rushd Bookstore, 1428 AH.
32. **“Al-Kitabul-Moddah fi Wojoh Al-Qiraat wa Ela’loha”**. Ibn Abi Maryam, Nasr bin Ali. Investigation: Omar Al-Kubaisi. 1st edition, Jeddah: The Charitable Society for the Memorization of the Noble Qur’an in Jeddah, 1414 AH.
33. **“Al-Kitab”. Sibawayh, Amr»** bin Othman. Investigation: Abd al-Salam Mohammed Haroun. 3rd edition, Cairo: Al-Khanji Library, Cairo, 1408 AH.
34. **“Al-Kash’af a’n Haqaiqu at-Tanzil wa Oyoun Al-Aqaweel”** Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
35. **“Al-Kashf a’n Wojoh Al-Qiraat Al-Sabei wa Elaliha wa Hijajiha”** Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib. Investigation: Mohieddin Ramadan. 3rd Edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1404 AH.
36. **“Al-Mob’hij fi Al-Qiraat Al-Thaman a Qiraat Al-Amash wa Ibn Mehe-**



- sen,wa Ekhtiyar Khalaf wa Al-Yazidi*". Sabt Al-Khayat, Abdullah bin Ali. Investigation: Wafaa Abdullah Qazmar. PhD Thesis, Saudi Arabia: College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, 1405 AH.
37. *"Al-Muharrir al-Wajeez fi Tafseer al-Kitab al-Aziz"* Ibn Attia, Abdul Haq bin Ghalib. Investigation: Abd al-Salam Abd al-Shafi Mohammed. 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1422 AH.
38. *"Al-Mohkam wal-Moheet Al-Azam"*. Ibn Syadoh, Ali bin Ismail. Investigation: Abdul Hamid Hindawi. 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Elmiyyah, 1421 AH.
39. *"Al-Moghni fi Al-Qir'at"*. Al-Nawwazi, Mohammed bin Abi Nasr. Investigation: Mahmoud bin Kabir Al-Shanqeeti. 1st edition, Riyadh: Tabyan for Quranic Studies, 1439 AH.
40. *"An'Nashr fi Al-Qiraat Al-Ashr"*. Ibn al-Jazari, Mohammed bin Mohammed. Investigation: Ali bin Mohammed Al-Dabaa. No edition number, Egypt: The Great Commercial Printing Press, photo by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, without publishing date.
41. *"Anwaru Tanzeel wa Asraru Taweel"*. Al-Baidawi, Abdullah bin Omar. Investigation: Mohammed Al-Maraashli. 1st Edition, Beirut: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi, 1418 AH.
42. *"Tahbiru Attayseer fi Al-Qiraat Al-Ashr"* Ibn al-Jazari, Mohammed bin Mohammed. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Qudah. 1st Edition, Jordan: Dar Al-Furqan, 1420 AH.
43. *"Tahrirul Maana Ass'adid wa Tanweer Al-Aqlu-Rasheed m'n Tafseer Al-Kitanul-Majeed"*. Ibn Ashour, Mohammed al-Taher bin Mohammed. No edition number, without publishing date, Tunis: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
44. *«Interference of Arabic Sounds and its Impact on the Lexicon Structure»*. Al-Sa'adi, Abdul Razzaq bin Farraj. 1st Edition, Medina: Deanship of Academic Research, Islamic University of Medina, 1422 AH.
45. *"Interpretation of the Holy Qur'an - Al-Fatihah and Al-Baqarah»*.



- Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh. 1st Edition, Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1423 AH.
46. **“Interpretation of the Holy Qur’an - Surat Al Imran».** Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh. 3rd edition, Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1435 AH.
 47. **“Tafsir Al-Manar”.** Al-Husseini, Mohammed Rashid Ali Reda. No edition number, without publishing date, No edition number, Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
 48. **“Jami’ al-Bayan fi Tafseerul-Qur’an.”** Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. Investigation: Ahmed Mohamed Shaker. 1st edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1420 AH.
 49. **“Hujjatu-Al-Qiraat”. Ibn Zanjla,** Abdul Rahman bin Mohammed. Investigated by: Saeed Al-Afghani. No edition number. Beirut: Dar Al-Resala, d.kh.
 50. **“Rohul-Maani fi Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa Al-Sabei Al-Mathani.”** Al-Alusi, Shihab Al-Din Bin Mahmoud. Investigation: Ali Abdel Bari Attia. 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1415 AH.
 51. **“Zadul-Maseer fi Elm Al-Tafseer”.** Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali. Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1st edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1420 AH.
 52. **“Explanation of guidance».** Mahdawi, Ahmed bin Ammar. Investigation: Hazem Saeed Haider, No edition number, Riyadh: Al-Rushd Library, 1415 AH.
 53. **“Sharhu Al-Hidayah”.** Al-Kirmani, Mohammed bin Abi Nasr. Investigated by: Shamran Al-Ajli. No edition number, Beirut: Al-Balagh Foundation, 2001.
 54. **“Sahih al-Bukhari”.** Al-Bukhari, Mohammed bin Ismail. Investigation: Mohammed Zuhair bin Nasser Al-Nasser. 1st edition, Beirut: Dar Touq Al-Najat, 1422 AH.
 55. **“Sahih Muslim.”** Al-Qushayri, Muslim bin Al-Hajjaj. Investigation: Mohammed Fouad Abdel-Baqi. Dr. T, Beirut: Dar Ihya Al-Kitab Al-Arabi
 56. **“The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran”.** Bushra Bahi. Tadabbur magazine. (9), 1442 AH.
 57. **“Fadayel Al-Quran”.** Abu Obeid Bin Qasim peace. Investigation: Marwan



- Al-Attiyah, Mohsen Kharabeh, and Wafaa Taqi Al-Din. 1st edition, Beirut: Dar Ibn Kathir, 1415 AH.
58. **“Rules of Weighting among Scholars of Interpretation”** - Applied Theoretical Study». Al-Harbi, Hussein bin Ali. 1st edition, Riyadh: Dar Al-Qasim, 1417 AH.
 59. **«Lisan al-Arab»**. Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. Without publishing date, 3rd edition, Beirut: Dar Sader, 1417 AH.
 60. **“The Metaphor of the Qur’an.”** Abu Ubaidah, Muammar bin Al-Muthanna. Investigation: Mohammed Sezgin. Cairo: Al-Khanji Library, 1381 AH.
 61. **“Majmou Al-Fatwa»**. Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim. Investigation: Abd al-Rahman bin Mohammed bin Qasim. 1st edition, Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur’an, 1416 AH.
 62. **Musnad Al-Imam Ahmad»**. Ahmad ibn Hanbal. Investigation: Ahmed Shaker. 1st edition, Cairo: Dar Al-Hadith, 1416 AH.
 63. **“Maalimu at-Tanzeel fi Tafseer Al-Qur’an»**. Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud. Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1st edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath al-Arabi, 1420 AH.
 64. **“Meanings of Recitations”**. Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed. Investigation: Research Center at the Faculty of Arts. 1st edition, Riyadh: King Saud University, 1412 AH.
 65. **“Maani Al-Quran wa Eraboh”** Al-Zajaj, Ibrahim bin Al-Sari. Investigation: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. 1st Edition, Beirut: Alam Al-Kotub, 1418 AH.
 66. **“The Meanings of the Qur’an.”** Al-Akhfash, Saeed bin Masada. Investigated by: Huda Mahmoud Qara’a. 1st Edition, Cairo: Al-Khanji Bookstore, 1411 AH.
 67. **“Maani Al-Quran”** Al-Nahas, Ahmed bin Mohammed. Investigation: Mohammed Ali Al-Sabouni. 1st Edition, Makkah Al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, 1409 AH.
 68. **“Mafatih Al-Aghani fi Al-Qiraat wal Maani”**. Al-Kirmani, Mohammed bin Abi Al-Mahasin. Investigated by: Abdelkarim Mustafa Medlej. 1st edition,



Beirut: Dar Al Hazm, Beirut, 1422 AH.

69. **“Mafatihul-Ghaib”**. Al-Razi, Mohammed bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Ihyau Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH.
70. **“Mafatih Dar Assaadah wa Mansour Welayat Al-Elm wa Assadah”**. Ibn al-Qayyim, Mohammed ibn Abi Bakr. DDT Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, without publishing date.
71. **“Maqaes Al-Lughah”**. Al-Razi, Ibn Faris. Investigation: Abdel Salam Haroun. No edition number. Beirut: Dar Al-Fikr, 1399 AH.
72. **“The approach of Imam Ibn Jarir al-Tabari in the Preference between Explanatory Sayings”**. Al-Harbi, Hussein bin Ali. 1st edition, Riyadh: Interpretation Center for Quranic Studies, 1436 AH.





فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

المستخلص.....	٣٣٧
المقدمة.....	٣٤٠
الفصل الأول: الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيّة مع اتحاد المعنى.....	٣٤٨
الفصل الثاني: الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيّة مع اختلاف المعنى.....	٣٦٤
الفصل الثالث: الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيّة مع اختلاف في المعنى.....	٣٧٨
الخاتمة.....	٤٠٠
ثبت المصادر والمراجع.....	٤٠٣
رومنة المصادر والمراجع.....	٤١٠
فهرس الموضوعات.....	٤١٨



مَجَلَّةُ التَّنْزِيلِ

.....

تَسْبِيحُ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



حَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ سِعَادَةَ شَوَاهِنَةَ

محاضر جامعي غير متفرغ - جامعة القدس المفتوحة:
قلقيلية - فلسطين - كلية العلوم التربوية تفسير
وعلوم قران

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٤/١١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٦/١٤

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- ◆ حصل على درجة الماجستير في أصول الدين (القرآن والسنة) من كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية/ فلسطين بأطروحته: «النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم».
- ◆ طالب دكتوراه، علوم إسلامية (تفسير وعلوم قرآن) في المعهد العالي لأصول الدين بجامعة الزيتونة / تونس.
- عنوان أطروحة الدكتوراه: (قيم المواطنة والتعايش السلمي في منهج الدعوة عند الأنبياء ﷺ من خلال القرآن الكريم).

◆ التناج العلمي:

- ١- بحث علمي محكّم بعنوان: (عناية الأنبياء ﷺ بالقيم الفكرية للتعايش في ضوء القرآن الكريم)، (مجلة إيفاد للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤسسة الدولية للتطوير الأكاديمي، الجزائر).
- ٢- بحث علمي محكّم بعنوان: (أمانة الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)، (مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمریکا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة، الجامعة الإسلامية، مدينة بلومنتون، ولاية منيسوتا أمريكا).
- ٣- بحث علمي محكّم بعنوان: (الفساد الاقتصادي في ضوء القصص القرآني)، (مجلة قبس، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة مصراتة - ليبيا).
- ٤- بحث علمي محكّم بعنوان: (عناية الرسل ﷺ بأبنائهم في ضوء القرآن الكريم)، (مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية - الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة).

◆ البريد الشبكي: hamzahamza1985@outlook.sa



المستخلص

هذا البحث بعنوان (تسييح الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم)، وقد هدفتُ إلى تسليط الضوء على معالم التسييح عند الرسل ﷺ من خلال آيات القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف سلكتُ المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث أعرض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تسييح الرسل ﷺ لله ﷻ، ثم أستنبط أبرز الجوانب التربوية من منهجهم ﷺ في أداء هذه العبادة، وقد خلصتُ البحث في نتائجه إلى المكانة السامية لمنزلة التسييح في القرآن الكريم، وأن الرسل ﷺ هم سادات الذاكرين والمسبِّحين، حيث قاموا ﷺ بتسييح الله ﷻ بألسنتهم وقلوبهم وأعمالهم، كما شمل تسييحهم الأوقات والأحوال جميعها، وعليه ينبغي على العبد التخلُّق بأخلاق الرسل ﷺ في الإكثار من تسييح الله ﷻ، وأوصت الدراسة بالعودة إلى المفهوم الأصيل للذكر عمومًا وللتسييح خصوصًا؛ وذلك من خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، التسييح، الرسل.





The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran

by

Hamza Abdullah Saadi Shawahnah

A part-time university lecturer at Al-Quds Open University, Qalqilyah, Palestine, College of Educational Sciences, Tafsir and Quranic sciences and an expert in Quranic studies

Abstract

This paper is entitled «The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran.» The purpose of is to shed light on the distinguishing features of the glorification (Tasbeeh) of Prophets, peace be upon them, as indicated in the verses of the Holy Quran. To achieve this objective the researcher adopted the inductive and deductive approaches to present the Quranic verses that deal with the glorification of prophets. He drew the most important educational aspects from their approach to the performance of this act of worship. The findings of this research reached are as follows: glorification has a high status in the Holy Quran; the Prophets are masters at praising and glorifying Allah with through all their doings verbal or non-verbal; their glorification of Allah is performed at all times; one should model himself on the Prophets by praising and glorifying Allah as much as possible. The study recommends that the original concept of praise (dhikr) in general and glorification in particular should be referred to by combining verbal expression, innermost beliefs and practice.

Keywords:

The Holy Quran- Tafsir- glorification- prophets.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الله شرع لعباده عبادات عظيمة، ومن أجلِّ العبادات التي أكَّد عليها القرآن الكريم في كثير من آياته عبادةُ الذِّكر، والعُمدَةُ في الأذكار تسبيح الله ﷻ، ولَمَّا كان الجُمُّ الغفير من المسلمين يدركون مكانة التسبيح، لكنَّهم يغفلون عن مدلوله الصحيح، جاء هذا البحث بعنوان (تسبيح الرسل ﷺ) في ضوء القرآن الكريم؛ لِنَتناول منهج أكثر الناس لزومًا للتسبيح وهم الرسل ﷺ، وصولًا إلى محاولة استنباط أبرز الجوانب التربوية من أدائهم لتسبيح الله ﷻ، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

- ١- أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقام الذِّكر عمومًا والتسبيح خصوصًا.
- ٢- إنَّ هذه الدراسة تتعلَّق بصفوة الخلق وهم الرسل ﷺ.
- ٣- إنَّ هذه الدراسة تعالج موضوعًا عقديًّا؛ وذلك لأنَّ مسألة تنزيه الله ﷻ الذي هو معنى التسبيح- يُعدُّ من مسائل الاعتقاد.
- ٤- إحياء معاني التسبيح التي ضعفت في نفوس المسلمين في الزمن المعاصر.



٥- إن هذه الدراسة تعالج عبادة عظيمة، يتكرر وقوعها من المسلم كل حين.

◆ مشكلة البحث:

هذا وتمثّل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هو هدي الرسل ﷺ في التسييح في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرّع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسية:

١- ما المقصود بالتسييح لغةً واصطلاحاً؟

٢- ما الآيات التي تضمّنت أخبارَ الرسل ﷺ الذين تَلَفَّظُوا بتسييح الله ﷻ؟

٣- ما القيم التربوية المستنبطة من أداء الرسل ﷺ لتسييح الله ﷻ؟

◆ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

١- التعرف على هدي الأنبياء ﷺ في التسييح.

٢- بيان مفهوم التسييح وفضله وإطلاقاته في القرآن الكريم.

٣- استجلاء القيم التربوية للتسييح، التي تسهم بدورها في رسم أبرز ملامح

الشخصية المسلمة الذاكرة.

٤- دعوة الغافلين إلى الذكر؛ وذلك بذكر أفضل النماذج البشرية التي حققت

ذكر الله ﷻ وتسييحه.

٥- انضباط عبادة التسييح بضوابط الكتاب والسنة.



◆ الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها :

من الدراسات السابقة المتعلقة بتسييح الرسل ﷺ في القرآن الكريم، رسالة علمية موسومة بـ (التسييح في الكتاب والسنة والردُّ على المفاهيم الخاطئة فيه)، للدكتور كندو (١). حيث تعرّضت الدراسة السابقة لمعاني التسييح في القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وبيان أنواعه، وذكر نظائره، وتوضيح حكمه، واستقراء سياقاته، وبعد البحث في الدراسات السابقة لم أعثر على أيّ دراسة قرآنية منشورة درست هذا الموضوع بشكل مستقلٍّ سوى هذه الدراسة -فيما اطلعتُ عليه-، على الرغم من تناولها موضوع التسييح بعمومه في القرآن الكريم والسنة الشريفة، إضافة إلى الحديث عن الآيات التي تُذكر فيها ألفاظ التسييح بتوسُّع، دون الحديث عن تسييح الرسل ﷺ على وجه الخصوص كما فعلتُ هنا.

لذا يتبيّن ندرة الدراسات القرآنية المحكّمة التي درست هذا الموضوع، وحاولت بيان منهج الرسل ﷺ في التسييح في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

◆ ما يضيفه البحث :

ما ندّعيه لهذه الدراسة من فروقات عن غيرها وما تضيفه علمياً هو:

١- إنَّ هذه الدراسة دراسة قرآنية موضوعية، اتّبعْتُ فيها منهجَ البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.

٢- إبراز هذه الدراسة هديّ الرسل ﷺ خصوصاً في التسييح كما عرضته آيات القرآن الكريم فحسب.

(١) د. كندو: التسييح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه.



◆ حدود البحث:

سيعتمد هذا البحث على آيات القرآن الكريم فحسب، إذ هو المصدر الأول للتربية الإسلامية، ولكنني سأعرج على كتب التفسير بالمأثور، لذا ستقتصر الدراسة في حدها الموضوعي على دراسة الآيات التي تَضَمَّتْ بنصّها مادّة (سبح) ضمن الحديث عن مقام التسييح في حياة الرسل ﷺ.

◆ منهج البحث:

طبيعة البحث وأهدافه تتطلّب استخدام المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث أستقرئ الآيات الكريمة التي تَضَمَّتْ تسييح المرسلين ﷺ، ثم أستنتج الفوائد والمعاني التربوية المستنبطة من تلك الآيات.

◆ خطة البحث:

قسّمتُ البحث إلى مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة: وتضمّنت أهمية الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث.

المطلب الأول: مفهوم تسييح الرسل ﷺ ونظائره في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نماذج من تسييح الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم ومعانيها.

المطلب الثالث: فضل التسييح والقيم التربوية المستنبطة من تسييح الرسل ﷺ

في القرآن الكريم.

الخاتمة: تشمل على أهمّ النتائج والتوصيات.



المطلب الأول:

مفهوم تسبيح الرسل ﷺ ونظائره في القرآن الكريم

سأبين في هذا المطلب المقصود بالتسبيح، من خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثم سأعرج على ذكر نظائره في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

◆ الفرع الأول: مفهوم تسبيح الرسل ﷺ.

أولاً: معنى التسبيح:

التسبيح لغة: مصدر سَبَّحَ، وعَرَّفَه الأزهري بأنه: تنزيه الله ﷻ من سوء، وتبعيده منه، من قولك: سَبَّحْتُ في الأرض إذا أبعدتَ فيها، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]^(١)، ويأتي التسبيح بمعنى الذِّكْر والصلاة، ويكون بمعنى التحميد، نحو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، ويكون بمعنى التعجب والتعظيم لما اشتمل الكلام عليه، نحو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وقيل في قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا نَسِيحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] أي: لولا تستثنون^(٢).

أما التسبيح في اصطلاح المفسرين، فقد عرّف بتعاريف عديدة؛ وأجمع تعريف

(١) انظر، الأزهري: تهذيب اللغة، (سَبَّحَ)، (٤/ ١٩٥).

(٢) انظر، ابن منظور: لسان العرب، (سَبَّحَ)، (٢/ ٤٧٠ - ٤٧٥). والأزهري، تهذيب اللغة، (٤/ ١٩٥).



له - في نظري - ما ذكره أبو السعود أنه: «تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عمّا لا يليق بجنابه»^(١).

ومن خلال النظر في التعريف السابق، يتضح أنّ التسبيح ليس مُجرّد قول: (سبحان الله) فحسب؛ بل يشمل تنزيه الله ﷻ باللسان والقلب والجوارح على حدّ سواء.

وهكذا يتّضح بأنّ التسبيح في أصله اللغوي دائماً يدلُّ على معانٍ لا تُصرف إلّا لله وحده؛ لأنّ المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله ﷻ، لذا فإنّ كلمة (سبحان الله) تتضمّن أصلاً عظيماً من أصول التوحيد، وهو إبعاد القلوب والأفكار عن أن تظنَّ بالله ﷻ نقصاً.

وقد ورد التسبيح بمعنى تنزيه الله ﷻ عن كلّ سوء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وآثار السلف الصالح، من شواهد ذلك في الكتاب العزيز قوله ﷻ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ولمّا دلّ التسبيح على تنزيه الله ﷻ عن النقائص، استلزم اتّصافه بالكمال المطلق، فكان التسبيح دالّاً على التعظيم لله ﷻ، ويُقرّر هذا المعنى شيخ الإسلام فيقول: «والأمر بتسبيحه يقتضي -أيضاً- تنزيهه عن كلّ عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإنّ التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده»^(٢).

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٨/ ٢٠٣).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (١٦/ ١٢٥).



ثانياً: معنى الرسل والأنبياء:

اتَّفَقَ جمهور أهل السنَّة والجماعة ومَن وافقهم على أنَّ النبيَّ غير الرسول، ويدلُّ على ما ذهبوا إليه ما ورد في الكتاب العزيز من عطف النبيِّ على الرسول، كما في قوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيِّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْفَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معلوم، ولم يبقَ أمام طالب الحقِّ إلا أن يقول بالتفريق بين النبيِّ والرسول، وتلمُّسًا لهذا الفرق، فقد اختلف أهل العلم في تحديد تعريف كلِّ منهما على عدَّة أقوال^(١).

وذهب آخرون إلى أنَّه لا فرق بين الرسول والنبيِّ^(٢).

ويظهر أن القول الأخير فيه نظر، وعليه يترجَّح في التفريق بينهما، أن النبيَّ هو: مَنْ بُعث لقوم موافقين، وأمَّا الرسول فيعني: مَنْ بُعث لقوم مخالِّفين، وإلى نحو هذا القول ذهب ابن تيمية، حيث يقول: إنَّ «النبيَّ هو: الذي يُنبئه الله، وهو يُنبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسِل مع ذلك إلى مَنْ خالف أمر الله؛ ليلبِّغه رسالةً من الله إليه؛ فهو رسول، وأمَّا إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يلبِّغه عن الله رسالة؛ فهو نبيٌّ، وليس برسول، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيِّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْفَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، وقوله: ﴿مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيِّ﴾؛ فذكر إرسالاً يُعْمُّ النوعين، وقد خَصَّ أحدهما بأنَّه رسول؛ فإنَّ هذا هو الرسول المطلق

(١) وليس المقام هنا مقام تفصيل، ولمزيد بيان في التفريق بين النبيِّ والرسول. انظر، الأشقر: الرسل والرسالات، (ص: ١٤ - ١٥).

(٢) والمقصود هنا معظم المعتزلة ومَن شايعهم في قولهم: إنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبيِّ. انظر، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، (ص ٥٦٧).



الذي أمره بتبليغ رسالته إلى مَنْ خالف الله؛ كنوح» (١).

ثالثاً: المقصود بتسبيح الرسل ﷺ لله ﷻ :

والمقصود بتسبيح الرسل ﷺ لله ﷻ في هذا البحث، هو دراسة الآيات القرآنية التي وردت في سياق تنزيه الرسل ﷺ لله ﷻ عن النقائص، وتضمنت أحد مشتقات لفظة التسبيح.

◆ الفرع الثاني: نظائر التسبيح في القرآن الكريم:

من خلال تتبعي للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وحملت في طياتها معنى التسبيح، تبين أنها أكثر من لفظ، وهي:

أولاً: السلام: ومن أسماء الله الحسنی التي تدلُّ على معنى التسبيح والتنزيه اسم (السلام)، كما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال ابن القيم معلّقاً: الله أحقُّ بهذا الاسم من كلِّ مسمّى به؛ لسلامته سبحانه من كلِّ عيب ونقص من كلِّ وجه (٢).

ثانياً: التقديس: ورد اسم الله (القدوس) بمعنى تسبيح الله ﷻ وتنزيهه، كما في قوله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١]، و﴿الْقُدُّوسُ﴾ «أي: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال» (٣).

(١) ابن تيمية: النبوات، (٢/٧١٤).

(٢) انظر، ابن القيم: الفوائد، (٢/١٣٥).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٨/١١٥).



ثالثاً: تعالَى: ورد الفعل (تعالَى) مسنداً إلى الله ﷻ بمعنى التسييح في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَدِيلًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، قال أبو جعفر: «وأما قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فتنزيهٌ من الله ﷻ نفسه، وتعظيمٌ لها عما يقول فيه المبطلون، ويدعون معه من الآلهة والأوثان» (١).

رابعاً: حاش لله: ورد لفظ (حاش لله) بمعنى التسييح في قوله ﷻ: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَمِلْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، قال ابن عاشور في معنى (حاش لله): «وحاش لله: مبالغة في النفي والتنزيه» (٢).

ويوضح صاحب «الكشاف» دلالة (حاش) على التنزيه لله ﷻ فيقول: (حاش): كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القومُ حاشاً زيد، وهي حرف من حروف الجرِّ، فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى حاشا الله: براءة الله ﷻ، وتنزيه الله ﷻ، ثم قال: ﴿لِلَّهِ﴾؛ لبيان من يُبرأ ويُنزّه (٣).

خامساً: الحمد: وردت لفظة (الحمد) بمعنى التسييح في القرآن الكريم عند عدم الاقتران بينهما، كما في قوله ﷻ: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبُرَ النُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠].

وقرّن التسييح بالحمد كثيراً في القرآن الكريم؛ لأنّ «التسييح يتضمّن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمّن إثبات صفات الكمال التي يُحمد عليها» (٤).

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٣/ ٣١٧).

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، (١٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر، الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، (٢/ ٤٦٥).

(٤) ابن تيمية: جامع المسائل، (ص: ٢٧٨).



سادساً: التأويب: وردت لفظة (التأويب) بمعنى التسييح، كما في قوله ﷺ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالُ الْحَدِيدُ﴾ [سبأ: ١٠]، يقول

الطبري: «(أوبى معه): سبّحي معه إذا سبّح»^(١).



(١) الطبري: جامع البيان، (٥٠ / ١٤).



المطلب الثاني:

نماذج من تسبيح الرسل ﷺ لله ﷻ

في ضوء القرآن الكريم ومعانيها

سأستقري في هذا المطلب نماذج من تسبيح المرسلين ﷺ لله ﷻ، ثم سأعرج على ذكر معاني التسبيح في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

◆ الفرع الأول: نماذج من تسبيح الرسل ﷺ لله ﷻ في ضوء القرآن الكريم.

الرسل ﷺ سادات الذاكرين، فهم أعظم من سبَّح الله ﷻ ونزَّهه من عباده عن كل ما لا يليق به؛ وذلك لأنهم وصفوه بما أوحاه الله ﷻ إليهم.

وقد قصَّ القرآن الكريم علينا طرفاً من تسبيح أنبيائه ﷺ، لذا سأستعرض الرسل ﷺ الذين نصَّ القرآن الكريم على أنهم كانوا من المسبِّحين، سواء ورد ذلك بالأمر الإلهي لهم به، أو ورد بأمرهم لأقوامهم به، أو بإخباره ﷻ عن لهجهم بالتسبيح، أو بذكره ﷻ لتسبيح الرسل ﷺ لذاته العليَّة، أو بيانه لبعض فضائله وثمراته، ذاكراً الآيات الكريمة وفق تصنيف يناسبها، ثم معقِّباً عليها بتعقيب مناسب، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تسبيح عيسى ﷺ لربه ﷻ: حكى القرآن الكريم تسبيح عيسى ﷺ، وذلك في معرض براءته من شرك النصارى ومقولاتهم الكفرية، فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْمِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي



أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ
الْغُيُوبَ ﴿[المائدة: ١١٦].

وبدأ المسيح ﷺ بالتسبيح ها هنا قبل الجواب لأمرين؛ أحدهما: تنزيهاً له عما أُضيف إليه. والثاني: خضوعاً لعزته، وخوفاً من سطوته (١).

ويُلَمَحُ مِنْ تَنْزِيهِ الْمَسِيحِ ﷺ لِرَبِّهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْآيَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ، عِظَمُ شَأْنِ التَّسْبِيحِ فِي الْعَقِيدَةِ؛ إِذْ هُوَ مِنْ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ التَّسْبِيحِ تَنْزِيهُهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ، وَهَذَا وَاجِبٌ كَمَا لَا يَخْفَى، وَبِالتَّالِيِ يَنْبَغِي أَنْ يُوَاطِئَ الْقَلْبُ لِلْفِظِ التَّسْبِيحِ، وَأَنْ يَسْتَحْضِرَ مَعْنَاهُ.

وَالْمَتَأَمَّلُ فِي جَوَابِ الْمَسِيحِ ﷺ لِرَبِّهِ ﷻ فِي مَا سَبَقَ، يَلْحَظُ حُسْنَ أَدْبِهِ فِي الْخُطَابِ، وَيُوضِّحُ ابْنَ الْقِيَمِ هَذَا الْأَدَبَ مِنْهُ مَعَ اللَّهِ ﷻ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَيَقُولُ: «وَتَأَمَّلْ أَحْوَالَ الرِّسْلِ - صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ - مَعَ اللَّهِ، وَخُطَابِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ. كَيْفَ تَجِدُهَا كُلُّهَا مَشْحُونَةً بِالْأَدَبِ قَائِمَةً بِهِ؟ قَالَ الْمَسِيحُ ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ،﴾ [المائدة: ١١٦]، وَلَمْ يَقُلْ: لَمْ أَقُلْهُ. وَفَرَقَ بَيْنَ الْجَوَابَيْنِ فِي حَقِيقَةِ الْأَدَبِ. ثُمَّ أَحَالَ الْأَمْرَ عَلَى عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ بِالْحَالِ وَسِرِّهِ. فَقَالَ: ﴿تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦]، ثُمَّ بَرَأَ نَفْسَهُ عَنْ عِلْمِهِ بِغَيْبِ رَبِّهِ وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ، وَوَصَفَهُ بِتَفَرُّدِهِ بِعِلْمِ الْغُيُوبِ كُلِّهَا. فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ﴾ [المائدة: ١١٦]» (٢).

ثانياً: تسبيح داود ﷺ لربه ﷻ: ونموذج آخر من نماذج الرسل المسبِّحين،

(١) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٦/ ٣٧٥).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٢/ ٣٥٨).



قَصَّهُ اللهُ ﷻ علينا في كتابه الكريم وهو تسبيح نبيِّه داود ﷺ، حيث أخبر ﷺ عن تأويب الطير وتسبيح الجبال معه ﷻ، وذلك في مشهدين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله ﷻ في معرض تعداد ما أنعم به ﷻ على داود ﷻ، فقال ﷻ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وكانت الطير والجبال تسبِّح مع داود ﷻ؛ وذلك لطيب صوته بتلاوة كتاب الله ﷻ (الزبور)، وكان إذا ترنَّم به تقف الطير في الهواء، فتجاوبه، وتردُّ عليه الجبال تأويباً^(١).

وقدّمت الجبال على الطير ها هنا؛ لأنَّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد^(٢).

ويشير الإمام النسفي إلى عظمة الخالق من خلال هذا التعبير القرآني الفريد، فيقول: «وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى؛ حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا، وإذا دعاهم أجابوا؛ إشعاراً بأنه ما من حيوان إلا وهو منقاد لمشيئة الله»^(٣).

والثاني: قوله ﷻ عن ترداد الجبال والطير التسبيح مع داود ﷻ في أوَّل النهار وآخره، فقال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ** (١٨) **وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ** (١٩) **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَوَعَّاتْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ** ﴿ص: ١٧ - ٢٠﴾.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٥/٣٥٨).

(٢) انظر، النَّسْفِيُّ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٢/٤١٥).

(٣) النَّسْفِيُّ، مدارك التنزيل، (٣/٥٥).



وفي الموضوعين السابقين إشارة إلى تسبيح الجمادات والكائنات كلها بحمد ربها، حيث أسند التسبيح فيها إلى الطير والجبال، كما أسند إلى السماوات السبع والأرض والرعدي في مواضع أخر من الكتاب العزيز، ويؤكد هذا عموم قوله ﷺ: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، ولا ريب أن في تسبيح الكائنات بحمد خالقها ﷺ - ما عدا كفرة الإنس والجن - إرشادًا للعبد إلى الإكثار من ذكر الله ﷻ والتسبيح بحمده؛ لئلا تكون تلك المخلوقات التي فضله الله ﷻ عليها أكثر منه ذكرًا، وأفضل منه تسبيحًا، فحريّ بالمؤمن أن يكثر من تسبيح الله ﷻ في كل أوقاته، ولا يكون من الغافلين.

وبالتالي فإنه لا يستبعد أن تسبيح الجبال يكون بلسان المقال ولسان الحال في الوقت نفسه، لذا فإنه تسبيح حقيقي على كيفية لا يعرفها البشر، ويدل عليه قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ثالثًا: تسبيح يونس ﷺ لربه ﷻ: يعرض القرآن الكريم نموذجًا آخر لأحد سادات المسبِّحين، وهو نبيُّ الله يونس ﷺ، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله ﷻ: ﴿وَذَا النُّؤُوبِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وفي الآية الآتية جمع ﷻ بين التسبيح والتهليل، فقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ تهليل، وقوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تسبيح، وقد ورد التسبيح مقترنًا بالتهليل في مواضع أخرى في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والحكمة من ورود صيغة التسبيح مقرونة بالتهليل، أن التهليل صريح في نفي الألوهية عن غير الله ﷻ، وإثباتها له، كما أن التسبيح صريح في نفي النقائص والعيوب عن الله ﷻ، ففي الاقتران بينهما توكيد



لتوحيد الله ﷻ وتنزيهه، قال ابن حجر: «فمنطوق سبحانه الله تنزيهه، ومفهومُه توحيد، ومنطوق لا إله إلا الله توحيد، ومفهومُه تنزيهه، يعني فيكون لا إله إلا الله أفضل؛ لأنَّ التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه»^(١).

ومن الفوائد المستنبطة من الآية، أنَّ من آداب الدعاء أن يصدرَّ الداعي دعاءه بالتهليل والاستغفار والاعتراف بالذنب؛ فإنه حريٌّ أن يستجاب له، ومن هنا حظيت هذه الدعوة بالمكانة العظيمة، ودلَّت السنة على ذلك، فعن النبي ﷺ قال: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(٢).

الثاني: قوله ﷻ موضِّحاً أهمية التسبيح الذي ذكر في الآية السابقة: ﴿وَإِنْ يَأْتِ سَأَلَكَ السَّالِطُونَ فَصَلِّ لَهُمْ كَمَا صَلَّيْتَ لِرَبِّكَ إِذْ أَقْبَىٰ إِلَىٰ أَلْفِكَ الْمَسْحُوتِ ﴿١٣٩﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَبَدَّدَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَنْعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

والأظهر أن التسبيح المقصود هنا هو تسبيح اللسان الموافق للجانان^(٣). ويُستفاد من هذه الآية أن التسبيح أحد أسباب النجاة من المخاطر، مثلما نجى الله ﷻ نبيه يونس عليه السلام وهو في أصعب الظروف عندما كان في بطن الحوت، فنزّهه ربّه ﷻ بكلمة ﴿سُبْحَانَكَ﴾، فاستجاب له.

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٠٧/١١).

(٢) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، حديث رقم (٣٥٠٥)، (٥٢٩/٥)، قال الألباني: صحيح.

(٣) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (١٢٧/١٥).



وردد التعبير القرآني بصيغة اسم الفاعل ﴿الْمُسَبِّحِينَ﴾؛ وذلك للإيذان بأنَّ يونس ؑ كان يكثر من عبادة التسبيح في كلِّ أوقاته، فقد كان ﷻ من المسبِّحين في بطن الحوت بدلالة الآية، وكان من المسبِّحين قبل ذلك قطعاً؛ فإنه نبيُّ كريم، والأنبياء ﷺ أتمَّ البشر ذكراً وتسبيحاً كما تقرَّر.

رابعاً: تسبيح زكريا ﷺ لربِّه ﷻ: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح نبيِّه زكريا ﷺ لربِّه ﷻ، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

الأول: قوله ﷻ أمراً زكريا ﷻ بكثرة الذِّكر والشكر والتسبيح، كما قال ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

ومعنى قوله ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ﴾ قُلْ: سبحان الله، وقال قوم: معناه: صلِّ، والقول الأوَّل أصوب؛ لأنه يناسب الذِّكر، ويُستغرب مع امتناع الكلام مع الناس، و(العشيِّ) في اللغة: من زوال الشمس إلى مغيبها^(١).

والثاني: قوله ﷻ مخبراً عن أمر زكريا ﷻ قومه بالذِّكر عموماً وبالتسبيح خصوصاً: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

وقوله ﷻ: «﴿أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: موافقةً له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة؛ زيادةً على أعماله، وشكراً لله على ما أولاه»^(٢).

خامساً: تسبيح موسى ﷺ لربِّه ﷻ: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح موسى ﷺ لربِّه ﷻ، وذلك في ثلاثة مواضع، وهي:

(١) انظر، ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/٤٣٢).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٥/٢١٦).



الأول: تسبيح موسى ﷺ عند نداء الله ﷻ له، وذلك في قوله: ﴿فَمَا جَاءَ هَانُودَىٰ أَنْ بُورِكَ مِّنَ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨].

قيل: إن موسى ﷺ قال هذا التسبيح حين فرغ من سماع النداء؛ استعانةً بالله ﷻ وتنزيهاً له، وقيل: هو من قول الله ﷻ، ومعناه: وبُورك فيمن سبَّح الله رب العالمين (١).

والثاني: تسبيح موسى ﷺ عند لقاء ربه ﷻ، وذلك في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: فلما تاب إلى موسى ﷺ فهمه من غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خر لها ﷻ، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: تنزيهاً لك، يا رب، وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا، ثم يعيش، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بك من قومي، أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك» (٢).

والثالث: قوله ﷻ مخبراً عن دعاء موسى ﷺ ربه ﷻ بأن يجعل أخاه هارون ﷺ وزيراً له؛ ليعينه على التسبيح والذكر، ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿أَشَدُّ دَبِيحًا أَزْرَىٰ﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿طه: ٢٩ - ٣٤﴾.

ومما يلحظ من قول موسى ﷺ: ﴿كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿طه: ٣٣ - ٣٤﴾، أن أرقى درجات التسبيح عند البشر هو تسبيح الرسل ﷺ، وأن مدار العبادات كلها

(١) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (١٣/١٦٠).

(٢) الطبري: جامع البيان، (١٣/١٠٢).



على ذكر الله ﷻ وتسيحه، كما أن تنزيه الله ﷻ وتسيحه عمّا يفتريه الظالمون في حق الخالق من مقاصد التوحيد والدعوة، حيث ذكر موسى ﷺ الفائدة من سؤاله ربه ﷻ بأن يُشرك أخاه هارون ﷻ معه في النبوة، وهي أن يكثر منهما ذكره، لذا أوصاهم الله ﷻ بمداومة ذكره قائلاً: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، وما ذلك إلا لأنّ في ذكر الله ﷻ عوناً على جميع الأمور.

وإذا كان هذا هو شأن الرسل ﷺ مع التسييح، على الرغم من منزلتهم العظيمة عند الله ﷻ، فينبغي على العبد أن يجتهد في الاقتداء بهم، فيكثر من تسييح الله ﷻ في ليله ونهاره؛ فإنّ في إخبار الله ﷻ عنهم في كتابه العزيز ترغيباً لغيرهم في الاقتداء بهم من باب أولى.

سادساً: تسييح محمد ﷺ لربه ﷻ: يحدّثنا القرآن الكريم عن نموذج آخر، هو خير من لازم تسييح الله ﷻ، وهو النبيّ محمد ﷺ، ومن شواهد تسيحه لربه ﷻ كما ورد في الكتاب العزيز ما يأتي:

١- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٢- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ [الأعلى: ١].

٣- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

٤- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩ - ٤٠].



٥ - ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٧٤﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

[الحجر: ٩٧ - ٩٨].

٦ - ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

٧ - ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

٨ - ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

٩ - ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ

النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩].

١٠ - ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ -

[١٨١].

١١ - ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا

كَتَبًا نَقَرُوهُ وَقَدْ سَبَّحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

١٢ - ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ

وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

١٣ - ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مَنْهَمَّاءَ اثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٤ - ٢٦].

١٤ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ

وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

١٥ - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].



١٦ - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ

خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

ونلاحظ من الآيات الكريمة عدة ملحوظات، وهو ما سيجده القارئ في المطلب التالي.

◆ الفرع الثاني: معاني التسبيح في القرآن الكريم:

المتدبر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد ما يأتي:

أ- يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح على الصلاة، سواء كانت صلاة الفريضة أو صلاة التطوع، فجاءت بمعنى صلاة التطوع في قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وجاءت بمعنى صلاة الفريضة في قوله ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، ومما يدل على أن المقصود بالتسبيح هنا صلاة الفريضة حديث جرير بن عبد الله ﷺ فقد قال: «كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]»^(١).

ومن المعلوم أن الصلاة تتضمن منتهى التسبيح قولاً وعملاً، كما هو الحال في التسبيح القولي في دعاء الاستفتاح والركوع والسجود، وعليه فلا غرابة في تسمية

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، حديث رقم (٤٨٥١)، (٦/١٣٩).



الصلاة تسييحًا، ويعلّل الزجاج ذلك، فيقول: «وإنما سمّيت الصلاة تسييحًا؛ لأنّ التسبيح تعظيم الله وتبرّثه من السوء، والصلاة يُوحّد الله فيها ويُحمّد ويُوصف بكلّ ما يُبرّثه من السوء»^(١).

ب- كرّر الله ﷻ في كتابه العزيز أمره لنبيه وعبدّه محمد ﷺ بالتسييح، بعد إخباره عن ضيق صدره من إيذاء الكافرين، وأمره له بالصبر كما في مواضع عديدة، منها قوله ﷻ: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨]؛ وفي هذا الترتيب إيحاء إلى أنّ الصبر يُعين على تحمّل الشدائد، كما قال ﷻ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ولذا ينبغي للمكروب أن يفزع إلى الله ﷻ بالتسييح وغيره من ألوان القربات؛ كي يكشف الله ﷻ عنه كُربته، قال الرازي: «إنما أمر عقيب الصبر بالتسييح؛ لأنّ ذكر الله تعالى يفيد السلوى والراحة؛ إذ لا راحة للمؤمنين دون لقاء الله ﷻ»^(٢).

ج- إنّ الأوامر التي خوطب بها النبيّ محمد ﷺ بالتسييح أصلاً في آيات كثيرة، موجّهة ذاتها إلى كلّ المكلفين من أمته تبعاً كذلك ما لم يُقم دليل على الخصوصية، ومع ذلك تواتر الأمر الإلهي للمؤمنين باستدامة تسبيح الله ﷻ في القرآن الكريم في آيات عدّة، منها قوله ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٢].

د- التسييح من المقامات التي لها صلة بأسماء الله ﷻ، فالمتتبّع لآيات الذكر الحكيم التي تضمّنت تسبيح النبي محمد ﷺ؛ يجد أنّ التسبيح يقترن بأسماء الله ﷻ،

(١) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، (١/٤٠٩).

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، (٢٢/١١٣).



ومن شواهد ذلك تكرُّر الأمر للنبيِّ محمد ﷺ بالتسبيح باسم (العظيم) ثلاث مرَّات، كما في قوله تعالى ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، [الواقعة: ٩٦]، [الحاقة: ٥٢]، وقوله ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، كما قرن الله ﷻ في مواضع أُخر بين التسبيح وبعض أسمائه الحسنی، كما في قوله ﷻ: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، حيث قرن ﷻ في هذه الآيات بين التسبيح وبعض أسمائه ﷻ، كاسم لفظ الجلالة (الله) والقهَّار والرَّحْمَن والواحد.

هـ- التفرقة بين استعمال لفظ التسبيح متعلِّقًا بلفظ اسم الله، وبين عدم تعلُّقه به، ويفرِّق صاحب «التحرير والتنوير» بين استعمال ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ونحوها، واستعمال ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ ونحوها في الكتاب الكريم، فيقول: عُدِّي فعل الأمر بالتسبيح هنا إلى اسم، فقد تعيَّن أنَّ المأمور به قول دالٌّ على تنزيه الله بطريقة إجراء الأخبار الطيبة أو التوصيف بالأوصاف المقدَّسة؛ لإثباتها إلى ما يدلُّ على ذاته ﷻ من الأسماء والمعاني، فتسبيحُ اسم الله يعني: النطق بتنزيهه في نفسه وبين الناس بذكر يليق بجلاله من العقائد والأعمال كالسجود والحمد، ويشمل ذلك استحضار الناطق بألفاظ التسبيح معاني تلك الألفاظ؛ إذ المقصود من الكلام معناه، وتبظاهر النطق مع استحضار المعنى يتكرَّر المعنى على ذهن المتكلِّم، ويتجدَّد ما في نفسه من تعظيم الله ﷻ.

وأما تفكُّر العبد في عظمة الله ﷻ، وترديدُ تنزيهه في ذهنه، فهو تسبيح لذات الله ومسمَّى اسمه، ولا يسمَّى تسبيح اسم الله؛ لأنَّ ذلك لا يجري على لفظ من أسماء



الله ﷺ، فهذا تسبيح ذات الله، وليس تسبيحًا لاسمه (١).

و- تنوع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، حيث جاء فعل الماضي (سَبَّحَ)، وفعل المضارع (يسبِّحُ)، وفعل الأمر (سَبِّحْ)، وصيغة المصدر (سبحان)، وإنما عبّر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى؛ لبيّن أنّ ذلك التسبيح لله ﷺ هو شأن أهل السماوات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل، (٢) ففيه إيماء إلى أنّه ينبغي الاستمرار في تنزيه الله ﷺ في كل وقت، كما يُشعر استخدام الذكر الحكيم للتسبيح بصيغة فعل الأمر، بالتركيز على أهمية التسبيح.

ز- قول: (سبحان الله وبحمده) من أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة من القرآن الكريم، كما في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، كما جاء في عدد كبير من أحاديث السنّة النبوية الشريفة ما يخصُّ فضل التسبيح بحمد الله، منها قول النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده» (٣).

وتبيّن ممّا سبق في هذا المطلب، أنّ الرسل ﷺ هم أكمل البشر ذكراً، وأتمّهم تسبيحاً، وقد شمل تسبيحهم القول والاعتقاد والعمل، كما شمل الأحوال جميعها. كما خلّصتُ إلى أنّ في توجيه الله ﷺ لأنبيائه ﷺ أن يسبّحوه؛ دلالة على أنه ﷺ يحبُّ التسبيح والتمجيد وغيره من ألوان الذكر، ويحبُّ من عباده أن لا يفترّوا عن تسبيحه ﷺ، ففيه تنبيه للمؤمنين إلى الإكثار من تسبيح الله ﷺ باللسان والجنان والأركان.

(١) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٣٠ / ٢٧٤).

(٢) الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧ / ٥٤١).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم (٦٤٠٦)، (٨ / ٨٦).



وظهر تتابع ألفاظ تسييح الله ﷺ كثيراً في القرآن الكريم؛ ولعلَّ الحكمة من ذلك؛ كي يرتاض لسان التَّالِي لكتابه الكريم على الذِّكْر، وليتعلَّم الأدب مع الله ﷻ، لذا فحريٌّ بالمؤمن أن يرطِّب لسانه بالتسييح؛ لينال الأجر العظيم من الله ﷻ.

كما تبيَّن من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم الآنفه الذِّكْر، أن الله ﷻ قد كرَّر أمره بالتسييح لنبينا محمد ﷺ على الخصوص في مواضع كثيرة، فقام ﷺ بهذه العبادة خير قيام، فأكثر من تسييح الله ﷻ في صلاة الفريضة والتهجد، كما أكثر من تسييحه ﷻ جميع الأوقات وسائر الأحوال، وختم ﷺ عمره المبارك بالتسييح والحمد والاستغفار، كما رغب أمته بالإكثار من ذكر الله ﷻ وتسييحه، وبيَّن لهم فضائله كما تجلَّى ذلك في أحاديث كثيرة، فإذا كان هذا هو شأن النبيِّ محمد ﷺ مع التسييح رغم علوِّ قدره، واصطفائه بالرسالة، وعصمته من الذُّب، فكيف يكون حال العباد الخطَّائين؟!

وفي ختام هذا المطلب أحسب أن القارئ طوَّف في جنبات التسييح في حياة الرسل ﷺ، وتعرَّف على سادات المسبِّحين من البشر، ووقف على مشاهد من ذكرهم لله ﷻ، واتضح له إجابة السؤال الثاني: من هم الرسل ﷺ الذين قصَّ القرآن الكريم تسييحهم لله ﷻ؟

فإذا كان ذلك كذلك؛ فإني أزعم أن القارئ قد تشوَّقت نفسه؛ لمعرفة القيم التربوية المستنبطة من تسييح الرسل ﷺ، وهذا هو موضوع المطلب التالي.





المطلب الثالث

فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ

في القرآن الكريم

سأبين في هذا المطلب فضل التسبيح في القرآن الكريم، ثم سأعرج على استنباط أهم القيم التربوية من تسبيح الرسل ﷺ في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

◆ الفرع الأول: فضل التسبيح^(١):

فإن التسبيح من أجل العبادات القولية، وله منزلة جلية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومما يدل على فضله في التنزيل العزيز على وجه الخصوص ما يأتي:

* إن التسبيح عبادة عقدية؛ لأن حقيقته تنزيه الله ﷻ عن صفات النقص، وهذا من أصول الاعتقاد.

* إخبار الله ﷻ عن تسبيح الجمادات والكائنات له ﷻ، حيث أخبر ﷺ عمّا أنعم به على نبيه داود ﷺ من تأويب الطير وتسبيح الجبال معه، كما في قوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

* إن الله ﷻ جعل التسبيح شعاراً لرسله وأنبيائه ﷺ، كما أمر به عباده عامة

(١) لمزيد بيان في هذا الموضوع. انظر، شواهنة: تسبيح الرسول محمد ﷺ دراسة موضوعية في ضوء

القرآن الكريم، (ص ١٨ - ١٩).



ورسُله ﷺ خاصة في مواضع عديدة في كتابه العزيز، وفي استخدام القرآن الكريم للتسبيح بصيغة فعل الأمر خاصّة دلالة بيّنة على أهميّته.

* اتصاف المولى ﷺ بصفة النزاهة من كلّ عيب، وقد اشتقّ من صفة التسبيح اسم من أسمائه الحسنی، حيث سمّی ﷺ نفسه بـ(السُّبُوح)، ومن الأسماء الحسنی التي ترجع إلى هذا المعنى اسمه القدّوس والسلام والمتعالی؛ وفي ذلك إشارة كبيرة إلى فضل التسبيح ومكانته الجليلة.

* إنّ للتسبيح ثمارًا عظيمة، منها أنّه يصل بالذاكر المسبِّح إلى مرتبة الرضا، وانسراح الصدر، كما أنّه يُعين على الصبر، ولذلك يأمر المولى ﷺ نبيّه محمّدًا ﷺ به بعد أمره له بالصبر في خمسة مواضع من كتابه العزيز، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠].

* كثرة ورود ألفاظ التسبيح في القرآن الكريم، حيث وردت مادّة (سَبَّحَ) في سبعة وثمانين موضعًا بتصاريحها المتعدّدة، وهذا دليل بين على الأهميّة القصوى التي تحظى بها هذه العبادة،^(١) ومما ورد في شأنه استهلال سبع سُور من القرآن الكريم به، وهي السُّور التي سُمّيت بالمسبِّحات، وهي: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى، كما ذكر الله ﷻ التسبيح في مفتتح سورة النحل، وذلك في قوله ﷻ: ﴿أَنَّى أَمَرَ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

* جعل الله ﷻ من حكم بعثة النبي محمّد ﷺ تسبيح الله وتنزيهه، كما في قوله:

(١) انظر، عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (سَبَّحَ)، (٣٣٩ - ٣٤٠).



﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٩٠﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

* أفراد التسبيح بالذکر من بين الأذکار في بعض آيات القرآن الكريم، بالرغم من اندراجه في عموم الأذکار، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ على لسان موسى ﷺ: ﴿ كَيْ تَسْبِحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، وفي هذا دلالة بيّنة على أنه العمدة.

◆ الفرع الثاني: القيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ في القرآن الكريم.

بعد الانتهاء من بيان المنزلة الجليلة للتسبيح في القرآن الكريم، فإنه يحسن بنا أن نعرّج على أهمّ الجوانب التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ لربّهم ﷻ في الذکر الحكيم، ومن أهمّها ما يأتي:

١- التسبيح منهج الرسل ﷺ عموماً: حيث لازمت عبادة الذکر والتسبيح جميع المرسلين ﷺ، فكانوا أئمة في كثرة ذكّهم لله ﷻ وتسبيحهم لذاته العليّة بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد أكّد القرآن الكريم أنّ تسبيح الله ﷻ كان شأن رسل الله ﷻ جميعاً، ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم تبين أنّ الله ﷻ قصّ نماذج عديدة من تسبيح رسله ﷺ؛ وذلك كي يقتدي المسلم بالمرسلين ﷺ في دوام ذكّهم لربّهم ﷻ.

وقد أمر الله ﷻ أنبياءه الكرام ﷺ بهذه العبادة الجليلة، ومن شواهد ذلك أمره ﷻ نبيّه زكريا ﷺ بالتسبيح بقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران: ٤١]، وفي الوقت نفسه يطلب زكريا ﷺ من قومه تسبيح الله ﷻ، كما حكى ﷻ: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١١]، وأخبر الله ﷻ عن نبيّه داود ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ الْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨]، كما ذكر ﷻ عن بعض رسله ﷺ



لَهَجَهُمُ بِالتَّسْبِيحِ، كَمَا قَالَ ﷺ عَلَى لِسَانِ الْمَسِيحِ عِيسَى ﷺ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَحَكِي ﷺ تَسْبِيحَ الْكَلِيمِ مُوسَى ﷺ - أَيْضًا - بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، كَمَا قَصَّ تَسْبِيحَ يُونُسَ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، هَذَا وَقَدْ أَمَرَ ﷺ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمَائِكَ الْعَظِيمَةِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

٢- اِخْتِصَاصُ التَّسْبِيحِ بِاللَّهِ ﷻ وَحَدَهُ: فَإِنَّ التَّمَثُّلَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَلْحَظُ أَنَّ التَّسْبِيحَ سِوَاهُ جَاءَ بِاللَّفْظِ أَوْ بِالِاعْتِقَادِ حَقًّا خَالِصًا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ ﷻ، لِذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْعَتَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاهُ أَيًّا كَانَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ وَحَدَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ الْمَطْلَقِ، كَمَا أَنَّ لِغَيْرِهِ - أَيًّا كَانَ - صِفَاتِ النِّقْصِ، مِنْ هُنَا لَا يُذَكَّرُ لَفْظُ التَّسْبِيحِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا مُضَافًا إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ أَوْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ أَوْ ضَمِيرٍ عَائِدٍ إِلَيْهِ ﷻ، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَسُبَّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] (١).

٣- اقْتِرَانُ التَّسْبِيحِ بِالْفَافِ الذِّكْرِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ﷻ: فَإِنَّ التَّمَتُّعَ لِأَلْفَافِ التَّسْبِيحِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَجِدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَرَنَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ كَثِيرًا بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالْفَافِ الذِّكْرِ الْآخَرَى، حَيْثُ قَرَنَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالدِّكْرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿كَيْ تَسْبِيحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، وَقَرَنَ التَّسْبِيحَ بِالْحَمْدِ وَهُوَ الْأَغْلَبُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، وَقَرَنَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: ٥٥]، وَقَرَنَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، كَمَا

(١) انظر، شواهنة: مقال بعنوان: تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم.



في قوله ﷺ: ﴿دَعَوْلَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]، وقرن بين التسبيح والسلام على الرسل ﷺ، كما في قوله ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٣٧ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨١]، وقرن التسبيح بالصبر، كما في قوله ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠]، وقرن التسبيح بالتوكل، كما في قوله ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقرن التسبيح بالإيمان، كما في قوله ﷺ: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَسُبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٤].

وما سبق إيراده لا يفهم منه أن التسبيح يرد دائماً مقترناً ببعض ألفاظ الذكر الأخرى، فقد يرد مفرداً أحياناً، ومنه التسبيح الذي جاء به النبي عيسى ﷺ في قوله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة: ١١٦].

٤ - أزمنة التسبيح: التسبيح عبادة تُشرع في كلِّ وقت، لكنها تتأكد في الأوقات الفاضلة، ومن الأزمنة التي جاء الأمر بالتسبيح فيها زمنُ النهار وأطراف النهار ووقت الصُّبح، والمراد: صلاة الفجر، والغدو، والبكرة، وقبل طلوع الشمس، وهذه الألفاظ تطلق على زمن واحد وهو أوَّل النهار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والإشراق وهو: وقت شروق الشمس، والعشي، ويطلق على الوقت من زوال الشمس إلى غروبها، فيدخل فيه وقتا الظهر والعصر، ومن ذلك صلاتي الظهر والعصر، وقبل غروب الشمس، والأصيل، ووقت الأصيل: بعد العصر إلى غروب الشمس، والمساء، والليل وأناة الليل، وهو: أوَّل الليل من حين تغرب الشمس أو تدنو من الغروب إلى أن يظلم الليل، وإدبار النجوم، ووقت إدبار النجوم: هو وقت السحر قبيل النهار، وحين القيام، ويقصد به: الصلاة، سواء كانت فرضاً أو نفلاً،



وأدبار السجود، ويقصد به: بعد انتهاء الصلاة.

وفي مجيء الأمر بالتسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح، فينطلق العبد يسبح خالقه ويحمده في أوقات الليل والنهار جميعها، كما أشار ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ﴾ [الشرح: ٧-٨].

ولعلَّ الحكمة من مزيد تخصيص زمني الصباح والمساء بالتسبيح كثيراً؛ لتكرُّرهما، ولشرفهما؛ كونهما آيتين عظيمتين من آيات الله ﷻ، ولسهولته فيهما، وليعمَّ الأمر بالتسبيح جميع الأوقات، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء عند وقت الصباح ووقت الغروب، أمَّا الحكمة من الأمر بالتسبيح بالليل؛ لأنه محلُّ السكون والنوم، فهو أشقُّ على النفوس، فالثواب فيه أعظم، كما أنه أجمع للقلب، وعليه فللذكر في الليل مزية على غيره من الأوقات.

وفي ختام هذا المطلب أحسب أن القارئ طوَّف في جنبات تسبيح الرسل ﷺ لربِّهم ﷻ، واتضح له إجابة السؤال الثالث: ما أهمُّ القيم التربوية المستنبطة من تسبيحهم ﷺ؟ وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولم يتبقَّ إلاَّ إيضاح ما خرجت به الدراسة من نتائج وتوصيات تضمَّنتها خاتمة الدراسة، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد التالي.





الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع (تسبيح الرسل ﷺ) في ضوء القرآن الكريم)، من خلال استقراءٍ لعددٍ غفيرٍ من الآيات القرآنية، يمكن استنباط النتائج الآتية:

* أجمع تعريف للتسبيح في الشرع، أنه: تنزيه الله ﷻ اعتقادًا وقولًا وعملاً عمّا لا يليق بجنابه.

* نظائر التسبيح في القرآن الكريم هي: الحمد، والسلام، والتقديس، والتأويب، وتعالى، وحاش لله.

* للتسبيح منزلة جليلة، ومما يدلُّ على فضلِهِ، أنه عبادة اعتقادية؛ لأنَّ حقيقته تنزيه الله ﷻ عن صفات النقص، وأنَّ الله ﷻ جعله شعارًا لرسوله وأنبياؤه ﷺ، وأنَّ الله ﷻ أمر به عباده عامّة ورسوله ﷺ خاصّة أمرًا صريحًا في كتابه الكريم، كما سمّى الله ﷻ ذاته العليّة (السُّبُوح)، إضافة إلى كثرة ورود ألفاظه في القرآن الكريم، حيث وردت مادة (سَبَّح) في سبعة وثمانين موضعًا بتصاريفها المتعدّدة، ناهيك عن اقترانه بألفاظ الذّكر والثناء على الله ﷻ، كالحمد والذّكر والإيمان والدعاء والاستغفار والصبر والتوكل، واقترانه -أيضًا- ببعض أسماء الله الحسنی وصفاته العلی، فضلًا عن بيان القرآن الكريم لبعض ثمراته، ومنها أنَّ الله ﷻ جعله زادًا للصّابرين، كما جعله أحد أسباب النجاة من المخاطر، كما يستفاد من قصة نجات النبي يونس ﷺ.



* التَّسْبِيحُ عِبَادَةٌ تُشْرَعُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَكِنَّهَا تَتَأَكَّدُ فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَفِي مَجِيءِ الْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَزْمَنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ إِرْشَادٌ لِلْعِبَادِ بِإِدَامَةِ التَّسْبِيحِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَإِيذَانًا بِاِخْتِصَاصِ بَعْضِ أَزْمَنَةِ التَّسْبِيحِ بِمَزِيدِ مَزِيَّةٍ عَلَيَّ غَيْرِهَا.

* اِخْتِصَاصِ التَّسْبِيحِ بِاللَّهِ ﷻ وَحَدَهُ؛ فَإِنَّ الْمَتَأَمَّلَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَلْحَظُ أَنَّ التَّسْبِيحَ سِوَا مَا جَاءَ بِاللَّفْظِ أَوْ بِالِاعْتِقَادِ حَقٌّ خَالِصٌ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ ﷻ، لِذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْعَتَ بِهَا أَحَدٌ سِوَا أَيَّامًا كَانَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ وَحَدَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ.

* الْمَتَدَبِّرُ فِي إِطْلَاقَاتِ مِصْطَلَحِ التَّسْبِيحِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَجِدُ أَنَّهُ يَكْثُرُ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ إِطْلَاقِ التَّسْبِيحِ عَلَيَّ الصَّلَاةِ، وَأَنَّ التَّسْبِيحَ مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي لَهَا صَلَاةٌ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ، وَتَنْوَعُ تَصَارِيفِ التَّسْبِيحِ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّ قَوْلَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) مِنْ أَفْضَلِ صِيغِ التَّسْبِيحِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

* تَنْوَعُ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عَرْضِ تَسْبِيحِ الرُّسُلِ ﷺ لِرَبِّهِمْ ﷻ، فَتَارَةً يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَتَارَةً يُوجِّهُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْمُرُوا بِهِ أَقْوَامَهُمْ، وَتَارَةً يَذْكَرُ تَسْبِيحَ رُسُلِهِ ﷺ لِذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ، وَأُخْرَى يَبَيِّنُ فَضَائِلَهُ وَثَمَرَاتِهِ.

* التَّسْبِيحُ مِنْهُجُ الرُّسُلِ ﷺ عَمُومًا، حَيْثُ لَازِمَتْ عِبَادَةُ التَّسْبِيحِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، فَكَانُوا أُمَّةً فِي كَثْرَةِ تَسْبِيحِهِمْ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَشَاهِدَ عَدِيدَةٍ مِنَ تَسْبِيحِ رُسُلِهِ ﷺ، وَمِنْهُمْ نَبِيُّ زَكَرِيَّا وَدَاوُدُ وَالْمَسِيحُ عِيسَى وَالْكَالِمُ مُوسَى وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



* الحكمة من تتابع ألفاظ تسييح الله ﷻ في القرآن الكريم؛ كي يرتاض لسان التَّالِي على الذكر، وليتعلَّم الأدب مع الله ﷻ، فحريُّ بالمؤمن أن يرتب لسانه بالتسييح؛ لينال الأجر العظيم من الله ﷻ.

وفي ضوء هذه النتائج، فإنِّي أوصي بما يأتي:

- ١- العودة إلى المفهوم الأصيل للذكر عمومًا وللتسييح خصوصًا؛ من خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.
 - ٢- توجيه البحوث العلمية إلى البحث في العبادات القلبية في القرآن الكريم، ودراسة أثرها في تنمية الشخصية.
- وبعد؛ فهذا ما يسر الله ﷻ للباحث الوصول إليه في هذا البحث المختصر، وأسأله ﷻ أن يجعلنا ممن يسبحه كثيرًا ويذكره كثيرًا، وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه وتاج رسله محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.





ثَبْتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- «تهذيب اللغة»، الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠)، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠١م).
- ٣- «الرسل والرسالات»، الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي: (ط٦، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).
- ٤- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٥- «النبوات»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (ط١، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ٢ / ٧١٤.
- ٦- «جامع المسائل»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (ط١، مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).
- ٧- «مجموع الفتاوى»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- ٨- «سنن الترمذي»، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).



- ٩- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، (د. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
- ١٠- «مفاتيح الغيب»، الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، (ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- ١١- «معاني القرآن وإعرابه»، الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ١٢- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل»، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ): تخريج: الإمام الزيلعي، (ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- ١٣- «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، (د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).
- ١٤- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: ١٣٩٣هـ)، (د. ط، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١٥- «تسبيح الرسول محمد ﷺ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم»، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: بحث محكم، (المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن)، مج (٦)، ع (١)، (١٤٤٢هـ).
- ١٦- «تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم»، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: مقال بعنوان: «مجلة البيان، ع (٣٨٨)، ٨ / ٨ / ٢٠١٩م.
- ١٧- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ): تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخرريج: أحمد محمد شاكر، (ط١، د. ن، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٨- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ): (د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).



- ١٩- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨هـ)، (د. ط، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٢٠- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ): تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
- ٢١- «شرح الأصول الخمسة»، القاضي عبد الجبار، أحمد بن خليل بن عبد الله الهمداني (ت: ٤١٥هـ)، (تحقيق: عبد الكريم عثمان، (ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٥م).
- ٢٢- «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- ٢٣- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ٢٤- «الفوائد»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- ٢٥- «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- ٢٦- «التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه»، د. كندو، محمد بن إسحاق، (ط١، الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٦هـ).
- ٢٧- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، السَّفِي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، (ط١، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).



References and Sources

1. The Holy Quran
2. (**Tahzeeb Al-Lughah**), Al-Azhari, Abu Mansour Mohammed bin Ahmed (Died: 370), investigated: Mohammed Awad Mereb, (1st edition, Beirut, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, 2001 AD).
3. (**Messengers and Messages**), Al-Ashqar, Omar bin Suleiman bin Abdullah Al-Otaibi: (6th Edition, Kuwait, Dar Al-Nafaees for Publishing and Distribution, 1410 AH / 1989 AD).
4. (**Al-Jamei' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar m'm Omouri Rasulillah PBUH, wa-Sunanih wa Ayamih**), Al-Bukhari, Abu Abdullah Mohammed bin Ismail Al-Jaafi (Died: 256), investigation: Dr. Mustafa Dib Al-Bagha, (3rd Edition, Beirut, Dar Ibn Katheer, 1407 AH - 1987 AD).
5. (**Al-Nobowwat**), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigation: Abdul Aziz bin Saleh Al-Tuwyan, (1st edition, Riyadh, Adwaa al-Salaf, 1420 AH / 2000 AD), 2/714.
6. (**Jamei Al-Masa'el**), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigation: Mohammed Uzair Shams, supervised by: Bakr bin Abdullah Abu Zaid, (1st edition, Makkah, Dar Alam Al-Fawaed for Publishing and Distribution, 1422 AH).).
7. (**Majmou Al-Fatwa**), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigated: Abdul Rahman bin Mohammed bin Qasim, (No edition number, Kingdom of Saudi Arabia, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an - 1416 AH / 1995 AD).
8. (**Sunan Al-Tirmidhi**), Al-Tirmidhi, Abu Issa Mohammed bin Issa bin Surah bin Musa (Died: 279 AH), investigation: Bashar Awad Maarouf, (1st Edition, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Co., 1395 AH - 1975 AD).
9. (**Fath Al-Bari, Sharh Sahih Al-Bukhari**), Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed



- bin Ali Al-Asqalani (Died: 852) (No edition number, Beirut, Dar Al-Maarifah, 1379 AH).
10. (*Mafatih Al-Ghaib*), Al-Razi, Abu Abdullah Fakhr Al-Din Mohammed Bin Omar (Died: 606 AH), (3rd Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage, 1420 AH).
 11. (*Maani Al-quran wa Eraboh*), Al-Zajjaj, Abu Is'haq Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl (Died: 311 AH), investigation: Abdul Jalil Abdo Shalabi, (1st Edition, Beirut, World of Books, 1408 AH - 1988 AD).
 12. (*Al-Kashf a'n Haqiqatu Al-Tanzeel wa Eyoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Tanzeel*), Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud Bin Omar (Died: 538): Investigated: Imam Al-Zaila'i, (3rd Edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH).
 13. (*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*), Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed Al-Emadi (Died: 982 AH), (No edition number, Beirut, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, without publishing date).
 14. (*Adwa Al-Bayan fi Edah A_Quran bil-Quran*), Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin bin Mohammed Al-Mukhtar bin Abdul Qader (Died: 1393 AH), (No edition number, Lebanon, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1415 AH - 1995 AD).
 15. (*Prophet Mohammed's Tasbeeh, an objective study in View of the Holy Qur'an*), Shawahna, Hamza Abdullah Saadah: Arbitrary Research, (The Kingdom of Saudi Arabia, Journal of Sharia Sciences and Arabic Language, Princess Noura bint Abdul Rahman University), Vol. (6), Issue (1), (1442 AH).
 16. (*Believers Tasbeeh in View of the Holy Qur'an*), Shawahna, Hamza Abdullah Saadah: entitled article: Al-Bayan Magazine, Issue (388), 8/8/2019 AD.
 17. (*Jami' al-Bayan fi Tafseer Ayei Al-Quran*), Al-Tabari, Abu Jaafar Mohammed bin Jarir (Died: 310 AH): Investigation: Mahmoud Mohammed Shaker, and investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, (1st edition, No Publisher, Al-Resala Foundation, 1420 AH / 2000 AD).
 18. (*At'tahreer wa-Atanweer*), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Mohammed bin Mohammed Al-Taher (Died: 1393 AH): (No edition number, Tunis, Tunisian Publishing House, 1984 AH).
 19. (*The Indexed Dictionary of the Words of the Noble Qur'an*), Abdel-Baqi, Moham-



- med Fouad (Died: 1388 AH), (1st Edition, Cairo, Dar Al-Hadith, 1422 AH - 2001 AD).
20. (*Al-Mohriru Al-Wajiz fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz*), Ibn Attia, Abu Mohammed Abdul Haq bin Ghaleb Al-Andalusi Al-Maharbi (Died: 542 AH): Investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Mohammed, (1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Elmiyyah, 1422 AH).
 21. (*Sharhu Al-Usool Al-Khamsah*), Al-Qadi Abdul-Jabbar, Ahmed bin Khalil bin Abdullah Al-Hamadhani (Died: 415 AH), (Investigated by: Abdul Karim Othman, (1st edition, Cairo, Wahba Bookstore, 1965 AD).
 22. (*Al-Jane'i Li-Ahkam Al-Quran*), Al-Qurtubi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr (Died: 671 AH) investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tafayesh, (2nd Edition, Cairo, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 1384 AH - 1964 AD).
 23. (*Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen*), Ibn al-Qayyim, Mohammed ibn Abi Bakr ibn Ayyub (Died: 751 AH), Investigated by: Mohammed al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, (3rd Edition, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1416 AH - 1996 AD).
 24. (*Al-Fawaed*), Ibn Al-Qayyim, Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub (Died: 751 AH), (2nd Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Elmiyya, 1393 AH / 1973 AD).
 25. (*Tafseer Al-Quran Al-Azeem*), Ibn Katheer, Abu Al-Fidaa Ismail bin Omar Al-Dimashqi (Died: 774 AH), investigation: Sami bin Mohammed Salama, (2nd edition, Taibah Publishing and Distribution, 1420 AH / 1999 AD).
 26. (*Tasbeeh in the Holy Quran and Sunna and Reply to Misconceptions*), Dr. Kendo, Mohammed bin Is'haq, (1st Edition, Riyadh, Dar Al-Minhaj, 1426 AH).
 27. (*Madarik Attanzeel wa-Haqaiqu at-Tweel*), Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud (Died: 710 AH), investigation: Youssef Ali Badawi, (1st edition, Beirut, Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1419 AH - 1998 AD).





فهرس الموضوعات

المستخلص	٤٢٣
المقدمة	٤٢٥
المطلب الأول: مفهوم تسبيح الرسل ﷺ ونظائره في القرآن الكريم	٤٢٩
الفرع الأول: مفهوم تسبيح الرسل ﷺ	٤٢٩
الفرع الثاني: نظائر التسبيح في القرآن الكريم:	٤٣٢
المطلب الثاني: نماذج من تسبيح الرسل ﷺ لله ﷻ في ضوء القرآن الكريم ومعانيها	٤٣٥
الفرع الأول: نماذج من تسبيح الرسل ﷺ لله ﷻ في ضوء القرآن الكريم	٤٣٥
الفرع الثاني: معاني التسبيح في القرآن الكريم:	٤٤٤
المطلب الثالث: فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ في القرآن الكريم	٤٤٩
الفرع الأول: فضل التسبيح:	٤٤٩
الفرع الثاني: القيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ في القرآن الكريم	٤٥١
الخاتمة	٤٥٥
ثبت المصادر والمراجع	٤٥٨
رومنة المصادر والمراجع	٤٦١
فهرس الموضوعات	٤٦٥

مجلة تراث
عقود



ملف تعريفى عن المجلة
باللغة الإنجليزية



Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022 **Part One**

Chairman of the Editorial Board

Prof. Dr. Muhammad bin Abdul-Aziz Al-Awaji

Professor at the Department of Interpretation
And Quranic Seiences, Islamic University

Managing Editor

Prof. Dr. Muhammad Bin Abdullah Al-Rbiha

The professor of Quran Tafseer and its Science
in OM-Alqura University in Mecca

Editorial Secretary

Mustafa Mahmud Abdullwahed



Copyright ©

Tadabbur Magazine

480 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658



Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375



Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be
addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia

PO Box 7119

Medina 41462

info@tadabburmag.sa



+966 50 30 72 333



@tadabburmag



http://www.tadabburmag.sa



All contributions express their authors' views



Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

◆ **Mission:** To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

◆ **Vision:** The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

◆ **Aims:**

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

.....



One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

.....



◆ Editorial Board:

1. Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji; Professor, Department of Commentary and Qur'anic Studies at the Islamic University. (Chairman).
2. Prof. Ibraheem ibn Salih al-Humaidi, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, University of al-Qasim.
3. Prof. Abd al-Rahman ibn Nasir al-Yusuf, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
4. Prof. Yusuf ibn Abdullah al-Ulaiwi, Associate Professor, Department of Fine Expression [al-Balaghah], Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
5. Dr. Buraik ibn Saeed al-Qarni, Associate Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
6. Prof. Muhammad ibn Abdullah al-Rabeeah, The professor of Quran Tafseer and its Science in OM-Alqura University in Mecca.
7. Mustafa Mahmood Abd al-Wahid, Editorial Secretary.,

.....



◆ Consultative Committee

1. **Dr.Faysal Jameel Ghazawi**, The Imam and Preacher of the Grand Holy Mosque in Makkah.
2. **Prof. al-Shaid al-Bushikhi**, Chairman, Board of Directors, Mubdi` Foundation for Studies and Research, Morocco.
3. **Prof. Fahd ibn Abd al-Rahman al-Roomi**, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
4. **Prof. Abd al-Rahman ibn Maadah al-Shihri**, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
5. **Prof. Ali ibn Ibraheem al-Zahrani**, Professor of Higher Studies, Head of the Department of Education, the Islamic University, Madinah.
6. **Prof. Yahya ibn Muhammad Zamzami**, Supervisor, King Abdullah's Chair for the Qur'an and its Studies at Umm al-Qura University, Makkah.
7. **Professor Abd Elhakeem Mohammed Al Onays**, Head of researchers and a member of senior scholars' board of Islamic Affairs and Charitable Activities Department –Dubai
8. **Professor Taha Hamad Abdeen**, The professor of Quran Tafseer and its Science.
9. **Prof. Ahmad Khalid Shukri**, Professor, Faculty of Islamic Jurisprudence [Shariah], University of Jordan.
10. **Prof. Ahmad ibn Muhammad al-Sharqawi**, Professor of Commentary and Qur'anic Studies, University of al-Azhar, Cairo, Egypt.



Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

◆ **Firstly: Nature of the Material published:**

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

◆ **Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:**

- 1- The researches shall be in the fields of the Magazine.
- 2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan
- 3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.



- 4- The research shall be divided into sections (**subjects**) according to the **research plan**, so that they seem to be interrelated and coherent.
- 5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.
- 6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main **findings and recommendations thereof**.

◆ **Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:**

- The number of the research pages shall not be more than **50** pages, with an **A4** size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than **25** pages.
- The Page margins shall be within **2 cm** from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the **traditional Arabic** font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The **Times New Roman** font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The **Quranic verses** shall be written according to the **Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an**, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).



- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.
- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.
- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.
- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.
- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.
- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].



◆ Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣahīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).



An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," *Al-Muṭairi*, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- ↳ The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- ↳ The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- ↳ The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

■ References should be alphabetised.

◆ **Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:**

- 1- **Sending the research to the Magazine website or e-mail** shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.
- 2- **The Editorial Board of the Magazine** has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.



- 3- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.
- 4- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.
- 5- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.
- 6- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.
- 7- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

.....



Table of Contents

Subject	Page
◆ From the Editor	17
Essays and Research	
◆ The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: An Analytical Study Dr. Bey Zekkoub Abdelali	21
◆ Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou'	155
◆ The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha	235
◆ Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study Mohammad bin Abdul-Kareem bin Baigham	335
◆ The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran Hamza Abdullah Saadi Shawahnah	421

.....

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿ كَتَبَ آتْرَآئَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكَ لِيَدَّبَّرُوا آتْمِيَهُ وَلِيَسْتَذْكُرُوا أُولَآءِ الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ١٢٩]

Part One

TADABBUR MAGAZINE Index:

- The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: An Analytical Study
Dr. Bey Zekkoub Abdelali
- Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran
Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garboi
- The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models
Dr. Al-Amir Mablouz Mohamed Abu Aisha
- Diacritical Marks Differences In Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study
Mohammad bin Abdul-Kareem bin Baigham
- The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran
Hamza Abdullah Saadi Showahnah

